العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2015/09/06 – الموافق لـ 22 ذوالقعدة 1436

السنة 38 العدد 10030

Sunday 06/09/2015

38th Year, Issue 10030

وجوه

جميل ملاعب ص 10
مشغولا برسم ضيوف حديقته

هارولد بنتر ص 9
متسائلا: ما الذي يجري حين لا تقال الكلمات

عرار ص 8
متمرد ثار من أجل الناس وضدهم

حسين أمير عبداللهيان ص 7
قبلة يهوذا على خد حليفه الأسد

العرب الثقافي

سلمى الخضراء الجيوسي: أمة عربية يتيمة

قصائد جديدة للشاعرة السودانية نجلاء عثمان التوم

هيثم الزبيدي: ثقافة الرخيص

نائل بلعاوي: حين يرحل هؤلاء

لطفية الدليمي: كيف نكتب سيرتنا

أبو بكر العيادي: نيتشه المناهض للمنظومة

أمير العمري: مهرجان فينيسيا يستعيد المخرج ماركو بيللوكيو ص11 إلى 16

التزام إماراتي خليجي بهزيمة الحوثيين

● الشيخ محمد بن زايد: تطهير اليمن من الميليشيات هدف لن نحيد عنه ● التحالف يشن أعنف الغارات على صنعاء

❑ **أبوظبي** – تعهد الشيخ محمد بن زايد ولي عهد أبوظبي بالمضي في الحرب على الحوثيين حتى هزيمتهم وذلك بعد مقتل 60 جنديا من دول التحالف بينهم 45 إماراتيا.

ويأتي هذا بالتزامن مع تكثيف طيران التحالف العربي لغاراته على مواقع المتمردين المرتبطين بإيران ما يعكس قرارا من التحالف بتسريع معركة صنعاء.

وقال الشيخ محمد بن زايد إن "دولة الامارات ماضية في مقدمة التحالف العربي مع السعودية في الدفاع عن اليمن والمنطقة حتى يعود الأمن والاستقرار والسلام لليمن".

وشدد خلال استقباله الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي على أن "مثل هذه الأحداث لن تثنينا عن القيام بواجبنا الأخوي والانساني تجاه أشقائنا بل ستزيدنا إصرارا وعزيمة وقوة لتحقيق الأهداف الأمنية والإنسانية في المنطقة".

وقال إن "أبطالنا من أبناء القوات المسلحة في ميادين المعركة زادت عزيمتهم وتصميمهم بعد الحادث الأليم على تحرير وتطهير اليمن من الحثالة الموجودة".

واستقبل الشيخ محمد بن زايد أمس الرئيس هادي الذي حل بالإمارات لتقديم العزاء في الجنود الذين قتلوا الجمعة خلال تفجير بمأرب (وسط اليمن).

وكان ولي عهد ابوظبي قال قبل ذلك في كلمة أبّن فيها الجنود الذين قتلوا في اليمن إن "أبناء الإمارات ثابتون في المضي بطريق إزاحة الظلم والضيم عن إخواننا اليمنيين".

وأكد في حسابه على تويتر أن "تطهير اليمن من الميليشيات الانقلابية والعدوانية التي عاثت فسادا وتخريبا هدف لن نحيد عنه".

ووصلت إلى العاصمة الإماراتية أبوظبي فجر أمس جثامين 45 جنديا إماراتيا قتلوا خلال تفجير صاروخ أطلقه المتمردون في منطقة صفار قرب مأرب، وذلك على متن طائرة عسكرية تابعة للقوات الجوية والدفاع الجوي يرافقها ضباط وضباط صف من القوات المسلحة.

وجرت المراسم العسكرية الخاصة لاستقبال الجثامين على أرض المطار حيث كان عدد من كبار ضباط القوات المسلحة في الاستقبال.

ونقلت قناة الاخبارية السعودية أمس على حسابها على تويتر عن العميد أحمد عسيري المتحدث باسم قوات التحالف قوله إن عشرة جنود سعوديين قتلوا عندما هاجم مقاتلو الحوثي مستودع أسلحة أول أمس الجمعة.

وبذلك يرتفع عدد القتلى بين قوات التحالف التي تحارب الحوثيين إلى 60 بينهم خمسة بحرينيين.

وشهدت الليلة قبل الماضية وصباح أمس قصفا مكثفا لطيران التحالف العربي على مواقع حوثية، في خطوة قال متابعون للشأن اليمني إنها تعبّر عن قرار خليجي بالرد بقوة على التفجير، واعتبار الحادثة المؤلمة مسوغا لاتخاذ قرار بالتقدم نحو صنعاء.

وقال المتابعون إن جريمة الحوثيين في صفار أسقطت كل مزاعم المتمردين عن الحل السياسي، وتركت خيارا وحيدا لحل الأزمة وهو الحسم العسكري.

وقالت وكالة أنباء الإمارات إن سلاح الجو الإماراتي قصف مصنعا لتصنيع الألغام في مدينة صعدة التي يهيمن عليها الحوثيون بشمال اليمن إضافة إلى معسكرات ومستودعات أسلحة بمحافظة إب بوسط البلاد وفي العاصمة صنعاء وألحقت بها خسائر جسيمة.

وقال سكان في صنعاء إن مبنى وزارة الدفاع الذي يسيطر عليه الحوثيون ومركز قيادة قوات الأمن الخاصة كانا من بين الأهداف التي قصفتها طائرات التحالف.

الشيخ محمد بن زايد يؤكد للرئيس اليمني أن مهمة الإمارات وبقية دول التحالف مستمرة حتى إعادة الاستقرار في اليمن

وأغارت مقاتلات عربية منذ ساعات الفجر الأولى على المقر العام للقوات الخاصة في وسط صنعاء ومخازن للأسلحة في فج عطان والنهدين الجبلين المطلين على جنوب العاصمة ومواقع للمتمردين إلى الغرب.

وصرح مسؤول محلي بـ"أنها أعنف الغارات في صنعاء" منذ بداية حملة الغارات الجوية على اليمن نهاية مارس الفائت.

واستهدف التحالف كذلك مواقع للمتمردين في منطقة بيحان في محافظة شبوة (جنوب شرق) الواقعة جنوب محافظة مأرب.

وأكدت مصادر خاصة لـ"العرب" أن رئيس هيئة الأركان اليمني ووزير الداخلية في الحكومة اليمنية يتواجدان في المنطقة التي تم فيها التفجير إلى جانب لجنة عسكرية سعودية إماراتية مشتركة.

وأضافت المصادر أن قوة جديدة دخلت من الحدود السعودية باتجاه مأرب في إشارة إلى إصرار قوات التحالف على المضي قدما في خطة تحرير صنعاء.

وقال الصحفي عبدالوهاب بحيبح من منطقة صافر في اتصال مع "العرب" إن قوات التحالف أعادت انتشارها وإن الاستعدادات العسكرية مازالت تجري على قدم وساق.

رسالة الإمارات في اليمن.. منذ الشيخ زايد

خيرالله خيرالله

ص 5

إسلاميو المغرب يفشلون في الفوز بالانتخابات المحلية رغم الخروقات

فاطمة الزهراء كريم الله

❑ **الرباط** – فشل حزب العدالة والتنمية ذو الخلفية الإسلامية في الفوز بالانتخابات المحلية وحلّ ثالثا خلف حزبي الأصالة والمعاصرة، والاستقلال، وذلك رغم الخروقات القانونية التي جرت في عدة مناطق والتي اتهمت المعارضة رئيس الحكومة عبدالإله بن كيران بترتيبها خدمة لحزبه.

واعتبرت أحزاب المعارضة، أن الانتخابات المحلية والجهوية شابتها اختلالات كبيرة، محملة بذلك المسؤولية إلى اللجنة المشرفة عن الانتخابات المكونة من رئيس الحكومة ووزير الداخلية ووزارة العدل.

وقال حميد شباط أمين عام حزب الاستقلال في اتصال مع "العرب" هذه الانتخابات عرفت سابقة تاريخية للخروقات التي أثّرت على سير عملية الاقتراع، محملا المسؤولية لرئيس الحكومة ووزير العدل باعتبارهما المشرفين على العملية الانتخابية.

وأضاف شباط أن هناك انفلاتات حقيقية بمختلف المدن، حيث تم منع الكثير من المواطنين من الإدلاء بأصواتهم في فاس، مطالبا رئيس الحكومة ووزارة الداخلية بفتح تحقيق عاجل في الأمر.

وأعلن بلاغ لوزارة الداخلية، بعد الفرز النهائي للأصوات، فوز حزب الأصالة والمعاصرة بالمرتبة الأولى، متبوعا بحزب الاستقلال في المرتبة الثانية، ثم حزب العدالة والتنمية في المرتبة الثالثة، يليه حزب التجمع الوطني للأحرار، فالحركة الشعبية ثم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية.

وأكد بلاغ للوزارة، أن حزب الأصالة والمعاصرة، حصل على 6655 مقعدا، وفي المرتبة الثانية حصل حزب الاستقلال على 5106 مقعدا، بالمقابل حصل حزب العدالة والتنمية على 5021 مقعدا، وحصل حزب التجمع الوطني للأحرار على 4408 مقعدا، و حصلت الحركة الشعبية على3007 من المقاعد، في حين حصل الاتحاد الاشتراكي على 2656 مقعدا ثم الاتحاد الدستوري على 1489 مقعدا.

وقالت خديجة الرويسي القيادية البارزة في حزب الأصالة والمعاصرة، في اتصال مع "العرب" إن "حزبها سجل مخالفات جسيمة، تتمثل في عنف واستفزاز ضد مرشحي الحزب ومرشحاته، وحالات اقتحام مكاتب التصويت، والقيام بأعمال الحملة الانتخابية يوم الاقتراع، والمس بسرية التصويت، كما سجلنا منع ناخبين من الولوج إلى مكتب التصويت للإدلاء بأصواتهم".

وأضافت الرويسي أن حزبها تقدم بعدة شكاوى لوكيل الملك مطالبا بفتح تحقيقات عاجلة، وحملت الحكومة مسؤولية ما جرى بصفتها الجهة المشرفة.

من جهته، عبر إدريس لشكر الكاتب الأول لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في تصريح لـ"العرب"، عن غضبه من "الخروقات التي شوشت على سير عملية الاقتراع في مختلف المدن والجهات، وعن المخالفات وبينها خاصة شراء أصوات الناخبين والقيام بالدعاية الحزبية يوم الاقتراع".

ووجه لشكر انتقاداته للحكومة على الصمت على هذه الخروقات، مشيرا إلى أن الذي حصل على المرتبة السادسة، سيتخذ القرارات المناسبة سواء الطعن السياسي أو القضائي في النتائج.

وقال مراقبون إن التراجع الصارخ لحزب العدالة والتنمية في نتائج الانتخابات هو مؤشر يزكي موقف الشارع من الحزب الإسلامي الذي يقود الائتلاف الحكومي، الذي بدأت شعبيته تتراجع تدريجيا، خاصة بعد تنكره للوعود التي سبقت توليه رئاسة الحكومة، واتخاذه لمجموعة من القرارات ضد مصالح الشعب، بالتوازي مع تعايشه مع الفساد الذي رفع شعار محاربته قبيل الانتخابات التشريعية.

ولفتوا إلى أن المغاربة اكتشفوا أن الوعود التي قدمها الإسلاميون هي خدعة للوصول إلى الحكم، وهو ما حدا بهم إلى اختيار حزب الأصالة والمعاصرة أو حزب الاستقلال.

وجاءت هزيمة إسلاميي المغرب لتؤكد أن الشعوب العربية اغترّت بالشعارات الدينية للأحزاب الإسلامية في أكثر من بلد، وأن تجاربهم في الحكم تنتهي دائما إلى الفشل وهو ما عبّرت عن انتخابات المغرب ومن قبلها الانتخابات التونسية منذ قرابة العام، حيث سحب التونسيون ثقتهم من حركة النهضة الإسلامية ومنحوها لنداء تونس وهو حزب ليبرالي.

الأصالة والاستقلال يتصدران في ضربة مؤلمة للإسلاميين ص 2

الدروز ينتفضون على الأسد

❑ **بيروت** – أثار مقتل رجل الدين الدرزي البارز الشيخ وحيد البلعوس في انفجار سيارة مفخخة الجمعة احتجاجات ضد النظام السوري في مدينة السويداء ذات الغالبية الدرزية تخللها إطلاق نار ومقتل عناصر من القوى الأمنية.

ولم يستبعد متابعون للشأن السوري أن تتحول هذه الاحتجاجات إلى انتفاضة واسعة خاصة بعد تصريحات الزعيم الدرزي وليد جنبلاط التي دعا فيها إلى انتفاضة درزية على نظام الأسد.

وبقيت السويداء ذات الغالبية الدرزية نسبيا بمنأى عن الحرب السورية.

وكان البلعوس يتزعم مجموعة "مشايخ الكرامة" التي تضم رجال دين آخرين وأعيانا ومقاتلين هدفها حماية المناطق الدرزية من تداعيات النزاع السوري.

وبروز الجماعة هذه كان مؤشرا إلى تراجع سيطرة النظام في المدينة ورفض ألاعيب إدخالها في مواجهة مدينة درعا المحاذية لها؛ وأصبح لها أتباع في مختلف قرى المدينة وحازت على احترام كافة الأهالي.

ويتمتع البلعوس بشعبية كبيرة بين أبناء الطائفة الدرزية، وعرف بمواقفه الرافضة لقيام الدروز بالخدمة العسكرية الالزامية خارج مناطقهم. كما كان من أشد المعارضين للتنظيمات الإسلامية المتطرفة.

وقتل البلعوس الجمعة في انفجار سيارة مفخخة استهدفه أثناء مروره بسيارته في ضهر الجبل في ضواحي مدينة السويداء، وتلاه انفجار ثان قرب المستشفى الذي نقل إليه الجرحى والقتلى. وتسبب الانفجاران بمقتل 28 شخصا بينهم البلعوس وإصابة حوالى خمسين آخرين بجروح.

وكتب جنبلاط على تويتر "فلتكن هذه المناسبة انتفاضة الجبل، جبل العرب، الجبل السوري الأشم في مواجهة النظام".

وختم قائلا "الشيخ وحيد (البلعوس) انضم إلى تلك القافلة من الكبار من الشهداء. في النهاية، جبل العرب لا ينفصل عن باقي سوريا، جبل العرب هو جبل سوري شريف غير منفصل عن باقي سوريا".

وقال المرصد السوري لحقوق الانسان إن العشرات من أنصار الشيخ وحيد البلعوس خرجوا إلى الشارع بعد انتشار خبر مقتله، وحمّلوا النظام السوري مسؤولية التفجيرين.

وقال شهود عيان إن المحتجين حطموا تمثال حافظ الأسد في ساحة السير.

ويرى محللون أن مقتل البلعوس يصب خصوصا في مصلحة النظام.

وقال حسن حسن من مركز "شاتام هاوس" للأبحاث، ومقره بريطانيا، "كان البلعوس يجسد حركة الدروز الذين يسعون إلى الاستقلالية عن النظام، والراغبين في تقرير مصيرهم. وأضاف "أوضح النظام أنه لن يسمح بمثل هذه الحركة".

ورأى توما بييريه من جامعة أدنبرة من جهته أن موجة الغضب المحدودة هي الثمن الذي "بدا النظام مستعدا لدفعه لتحجيم حركة البلعوس"، مشيرا إلى "إلغاء الصوت الناقد الأكثر تأثيرا ضمن الطائفة الدرزية".

عثمان بن عفان وخالد منتصر

أحمد عدنان

ص 5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

انتخابات محلية وجهوية ناجحة في المغرب رغم الشوائب

الأصالة والاستقلال يتصدران الانتخابات المحلية في ضربة مؤلمة للإسلاميين

عكست الانتخابات المحلية والجهوية التي شهدها المغرب الجمعة، التقدم اللافت في مسار بناء ديمقراطية على أسس سليمة بفضل الإصلاحات الجوهرية التي أقرها الملك محمد السادس، ورغم بعض "الخروقات" التي تحدثت عنها أحزب سياسية إلا أن محللين اعتبروا أن هذه الانتخابات كانت في مجملها ناجحة.

محمد بن احمد العلوي

بن كيران يوهم المغاربة بكون حزبه المنتصر

□ **الرباط** – أسدل الستار عن الانتخابات المحلية والجهوية في المغرب بتصدر حزب الأصالة والمعاصرة وحزب الاستقلال نتائج المحلية، فيما فاز حزب العدالة والتنمية الذي يقود التحالف الحكومي منذ 2012 بصدارة انتخابات المجالس الجهوية.

ومثلت النتائج النهائية المعلنة من قبل وزارة الداخلية المغربية بالنسبة للانتخابات المحلية والتي توجت بفوز حزبين ليبراليين ضربة مؤلمة للإسلاميين الممثلين في حزب العدالة والتنمية الحاكم، والذي كان جند كل طاقاته في الحملة للفوز بصدارة الترتيب.

وهذه أول انتخابات محلية وجهوية تشهدها المملكة عقب الإصلاحات السياسية والاقتصادية الجوهرية التي أقرها الملك محمد السادس، وتبني دستور جديد في العام 2011.

وتعتبر هذه الانتخابات اختبارا حقيقيا للقوى السياسية في المملكة وفرصة لمعرفة توجهات الرأي العام المغربي خاصة وأن هناك تحديا أكبر وهو الانتخابات البرلمانية المقرر إجراؤها في العام المقبل.

وأعلن وزير الداخلية محمد حصاد، أمس السبت، عن تصدر حزب الأصالة والمعاصرة نتائج الانتخابات المحلية بحصوله على 6655 مقعدا (بنسبة 21.12 بالمئة)، متبوعا بحزب الاستقلال الذي حصل على 5106 مقعدا (16.22 بالمئة)، وحزب العدالة والتنمية الذي حصل على 5021 مقعدا (15.94 بالمئة).

وأضاف حصاد، في بلاغ، أنه بعد انتهاء عملية فرز وإحصاء الأصوات، حل حزب التجمع الوطني للأحرار رابعا بعد حصوله على 4408 مقعدا (13.99 بالمئة)، والحركة الشعبية على 3007 مقعدا (9.54 بالمئة).

وبالنسبة إلى المجالس الجهوية فقد كشفت النتائج عن تصدر حزب العدالة والتنمية النتائج بـ174 مقعدا أي 25.66 بالمئة بينما حصل حزب الأصالة والمعاصرة على 132 مقعدا أي 19.47 بالمئة فيما حصل حزب الاستقلال على 119 مقعدا أي بنسبة 17.55 بالمئة.

ويرى خبراء أن النتائج المعلنة بالنسبة إلى المحلية تكشف بوضوح عن عدم رضاء شعبي عن تمشي الحكومة التي يقودها حزب العدالة والتنمية الإسلامي.

وقد واجه عبد الإله بن كيران، خلال الأشهر الماضية موجة انتقادات واسعة نتيجة سوء إدارته للشأن الاقتصادي والاجتماعي والحقوقي، وقد حاول تدارك الأمر قبيل وخلال الحملة الانتخابية من خلال تقديم وعود كثيرة لم تلق صدى لدى الناخبين.

وبلغت نسبة المشاركة في هذا الاستحقاق الذي تمّ بالمغرب الجمعة 4 سبتمبر، 53.67 في المئة، وهي نسبة متقاربة مع الانتخابات الماضية التي أجريت في 2009.

وتنافس في هذه الانتخابات نحو 140 ألف مرشح على 32 ألف مقعد في المجالس المحلية.

وشارك في مراقبة هذه الانتخابات أكثر من أربعة آلاف مراقب محلي وأجنبي، وفق ما أعلنت عنه اللجنة العليا للانتخابات.

وفي تقييمه للعملية الانتخابية قال رضا الهمادي رئيس المرصد المغربي للسياسات العمومية، في تصريحات لـ"العرب"، إن الانتخابات مرّت وفق ما كان متوقعا لها، حيث عرفت نجاحا في التنظيم وإشرافا محكما لوزارة الداخلية.

وأضاف الهمادي إن ذلك يعود لما حقّقه المغرب حدا أدنى من التراكم ممّا سمح له بتنظيم انتخابات في جو من النزاهة والشفافية و حيادا للإدارة.

واستدرك رضا الهمادي قائلا إن هذا لا يعني عدم وجود خروقات عرفتها بعض الدوائر والتي تورّط فيها بعض أعوان الإدارة خصوصا بعض المقدمين كما هذا لا يعني أن تصرفات عدد كبير من المرشحين الذين أغدقوا الأموال وقاموا بممارسات تتنافى مع مبادئ العملية الانتخابية والتي أثّرت بشكل أو بآخر على نتائج بعض الدوائر.

وكان حزب الاستقلال قد تحدث عن "خروقات" شابت العملية الانتخابية في بعض المدن الكبرى مثل فاس، التي فاز بها حزب العدالة والتنمية الإسلامي، محملا الحكومة مسؤولية ذلك.

وقال الأمين العام لحزب الاستقلال، حميد شباط، على هامش لقائه مع قادة حزبي الأصالة والمعاصرة والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية مساء الجمعة، إن سير عملية التصويت في مدينة فاس شهد "خروقات كثيرة"، لافتا إلى أن مجموعة من الناخبين اكتشفوا لحظة التصويت أن أسماءهم لا توجد ضمن اللوائح الانتخابية.

هذه الخروقات ردّ عليها محمد حصاد وزير الداخلية واصفا إياها بـ "المعزولة وتم التعامل معها في حينها".

من جهته اعتبر سعيد الصديقي أستاذ القانون الدولي بجامعة العين للعلوم والتكنولوجيا بأبوظبي، في تصريحات "للعرب"، أن انتقادات الاستقلال تكشف عن عدم استعداد الحزب المعارض لتقبل الخسارة في عقر دار الأمين العام بفاس.

وحول ما يمكن لمسعى أحزاب المعارضة من أن ينتجه من آثار سلبية على العملية الديمقراطية، قال سعيد الصديقي إنه سيعطي صورة سيئة للعملية الانتخابية برمتها وسيعزز حجج الداعين للمقاطعة، كما سيعزز أيضا التصور السائد لدى شريحة واسعة من المواطنين بعدم مصداقية الانتخابات في المغرب.

وأضاف المحلل السياسي، أنه حتى حزب العدالة والتنمية الذي يقود الحكومة اشتكى بدوره من الخروقات الانتخابية، ويعتبر من الأحزاب التي قدمت العدد الأكبر من الطعون الانتخابية.

وفي شأن انخفاض عدد الناخبين قال رئيس المرصد المغربي للسياسات العمومية، إن الفئة العازفة عن التصويت اختارته قناعة منها بصعوبة إغرائها بالعرض السياسي للأحزاب المشاركة، ويبقى الشباب والطبقة الوسطى الغائب الأكبر عن العملية الانتخابية لانصرافها عن السياسة منذ سنوات خلت وهو ما كان نتيجة طبيعية لإفراغ الأحزاب من الأطر وإغراقها بالأعيان.

ورجح المحلل السياسي رضا الهمادي، أن عهد فوضى الانتخابات سينقضي بعدما بدأت مرحلة جديدة في السياسة بالمغرب بدأ يتشكل فيها حد أدنى من المنطق في تصويت المواطنين بعيدا عن المال والإنزالات.

ولفت رئيس المرصد المغربي للسياسات العمومية، في تصريحه لـ"العرب"، إلى "أن العشرية القادمة ستشهد تكريسا لهذا المنطق، لكن أحزابنا لا زالت تعيش على الممارسات البائدة المتشبعة بثقافة دساتير ما قبل 2011 وهو ما يثير تخوفات كبيرة في صفوف المواطن".

وعن الرهانات لهذه الانتخابات أشار رضا الهمادي، إلى أن "الرهان الأكبر للعملية الانتخابية الأخيرة يبقى كونها أول انتخابات في ظل القانون الانتخابي الجديد الذي منح سلطات واسعة للجهات واستقلالية في تدبير العديد من الملفات الكبرى وهو ما خرج ببلادنا من النموذج اليعقوبي الفرنسي شديد التمركز".

وخلص رضا الهمادي في تصريح "للعرب"، إلى أن العائق أمام هذا التحول الكبير في طريقة تدبير الجهات يبقى هو النخب المحلية ما يهدد بإفشال هذا المشروع برمته. كما أن عدم توفر الأحزاب على برامج جهوية مفصلة وعدم تفصيل القانون في بعض التفاصيل هو ما يهدد بتداخل كبير للاختصاصات بين العمدة ورئاسة الجهات والإدارة الترابية والسلطة التنفيذية على مستوى المركز.

> هذه الانتخابات تشكل اختبارا حقيقيا للقوى السياسية في المملكة وهي فرصة لمعرفة توجهات الرأي العام المغربي

ولاقت الانتخابات المحلية والجهوية في المغرب صدى دوليا كبيرا، حيث أكدت وزارة الخارجية الأميركية، أن الانتخابات التي جرت في الرابع من سبتمبر، تشكل خطوة مهمة وإيجابية إلى الأمام في إطار جهود المغرب نحو اللامركزية وتعزيز القرب من المواطنين.

وشددت الخارجية الأميركية على أن الولايات المتحدة تدعم جهود المملكة في مجال التنمية الديمقراطية المتواصلة، من خلال الإصلاحات الدستورية والقضائية والسياسية، التي أقرها الملك محمد السادس.

الانتخابات المغربية في أرقام

- 21.12 بالمئة النسبة التي حازها حزب الأصالة والمعاصرة الفائز الأول بالانتخابات المحلية
- 140 ألف مرشح على 32 ألف مقعد في المجالس المحلية
- 53.67 نسبة المشاركة
- 4 آلاف مراقب أجنبي ومحلي تابعوا العملية الانتخابية

ليون يبشر بنجاح مهمته في ليبيا مع اقتراب تنحيته

□ **جنيف** – يسابق المبعوث الأممي لليبيا برناردينو ليون الزمن للخروج بحل للأزمة الليبية يحسب له، قبل انتهاء مهمته، والتي يتوقع أن يخلفه فيها الألماني مارتن كلوبر.

وقال مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى ليبيا إن المحادثات الرامية لتشكيل حكومة وحدة وطنية ليبية دخلت مرحلتها النهائية، لافتا إلى أنه من المأمول التوصل إلى اتفاق بحلول 20 سبتمبر الحالي.

وأضاف "لدينا حقا فرصة للتوصل إلى اتفاق نهائي الأيام القادمة، وليس بوسعنا وليس بوسع ليبيا أن تضيع هذه الفرصة". إلا أنه ذكر أن أكثر الأمور صعوبة لم تحل بعد، وأن الجانبين لم يحسما بعد مسألة أعضاء الحكومة.

وتوجد خلافات كبيرة بين الأطراف الليبية، على خلفية موقف المؤتمر الوطني المنتهية ولايته الذي تقوده جماعة الإخوان، حيث يحاول الأخير استغلال عامل الوقت للضغط على ليون للموافقة على مطالبه المتمثلة في تنحية خصمهم الرئيسي الفريق خليفة حفتر القائد العام للجيش الليبي، ودمج مقاتليهم "فجر ليبيا" ضمن الجيش، مع تقاسم السلطة.

وقد اجتمع المبعوث الأممي مع مفاوضين من المؤتمر الوطني العام المنتهية ولايته على مدى خمس ساعات الجمعة في جنيف السويسرية، وأوضح أنه يتوقع عقد جولة محادثات جديدة الأربعاء القادم.

من جهة ثانية، أفاد دبلوماسيون لوكالة رويترز أن هذه الجولة ستكون في الصخيرات في المغرب.

وانطلقت الخميس، في مقر الأمم المتحدة بمدينة جنيف جولة جديدة من الحوار الليبي برعاية بعثة الأمم المتحدة في ليبيا.

ووفقا لوكالة الأنباء الليبية "وال"، يشارك في الحوار وفد عن كل مجلس النواب وبعض رؤساء المجالس المحلية والمؤتمر الوطني المنتهية ولايته ووفد عن بلدية مصراتة وأعضاء مجلس النواب المقاطعين لجلساته.

وكان المبعوث الأممي إلى ليبيا برناردينو ليون كان قد صرح أن الـ20 من الشهر الجاري سيكون آخر موعد للتوقيع على الاتفاق السياسي الليبي الذي تشرف عليه بعثته.

ويستبعد المحللون أن تنجح مفاوضات جنيف في ظل الشروط التعجيزية التي يطرحها المؤتمر الوطني المنحل والتي لن تجد صداها لدى الطرف المقابل أي الحكومة والبرلمان الليبي الذي يحظى بشرعية دولية.

> إيجاد حل سياسي للأزمة الليبية البوابة الرئيسية للقضاء على الإرهاب بهذا البلد، بيد أن تعنت القوى الإسلامية يجعل من هذه المهمة جد صعبة

ويرجح أن تنتهي مهمة ليون دون أن يبلغ مراده في نحت انتصار جديد يحسب له في مسيرته التي أشرفت على نهايتها في ليبيا دون أن يتم تحديد ذلك حتى الآن.

وبدأ الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون بالبحث عن خليفة ليون في مهمته بليبيا، وسط أصوات ترشح الألماني مارتن كوبلر.

ومارتن كوبلر هو مسؤول ألماني لدى الأمم المتحدة ويشرف حاليا على بعثة المنظمة الدولية في جمهورية الكونغو الديمقراطية.

وذكر دبلوماسيون في الأمم المتحدة أن كوبلر هو المرشح الأول لتولي رئاسة بعثتها في ليبيا، وإذا ما حسم الاختيار على الأخير من قبل الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون فإنه سيخلف برناردينو ليون الذي قال دبلوماسيون إنه من المتوقع أن يتنحى عن منصبه قريبا وقد تكون له طموحات سياسية في بلده أسبانيا.

وأوضح دبلوماسي رفيع المستوى في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة طالبا عدم ذكر اسمه أن كوبلر "خلّف انطباعاً جيداً لدى أعضاء المجلس لأنه إنسان يحب العمل على الأرض على أن يجلس طوال اليوم على مقعد في مكتب".

وتشهد ليبيا منذ سقوط حكم العقيد معمر القذافي صراعا سياسيا وعسكريا، يضاف إليهما تمدد التنظيمات الإرهابية وفي مقدمتها تنظيم الدولة الإسلامية، الأمر الذي يشكل تحديا كبيرا أمام المجتمع الدولي.

وذكر أمس السبت مسؤولون عسكريون ليبيون أن اشتباكات عنيفة اندلعت بين تنظيم الدولة الإسلامية ووحدات من الجيش قرب مدينة درنة بشرق ليبيا يوم الجمعة مما أدى إلى مقتل أربعة جنود.

وأضاف المسؤولون أن ثلاثة جنود أصيبوا أيضا خلال القتال مع تنظيم الدولة الإسلامية خارج مدينة درنة الواقعة شرقي مدينة بنغازي.

وقال ناصر الحاسي المتحدث باسم القوات الجوية الليبية المؤيدة للحكومة المعترف بها دوليا التي تتخذ من الشرق مقرا لها إن القوات الجوية هاجمت أيضا أهدافا يشتبه بأنها تابعة لتنظيم الدولة الإسلامية في بنغازي.

ويعتبر إيجاد حل سياسي سريع للأزمة الليبية البوابة الرئيسية للقضاء على الإرهاب بهذا البلد، بيد أن تعنت القوى السياسية ذات التوجهات الإسلامية والتي تسيطر عليها قوى إقليمية يجعل من هذه المهمة جد صعبة.

أصوات تتردد على قرب إعلان كوبلر خليفة ليون في ليبيا

لقاء الملك سلمان والرئيس أوباما يزيل البرود عن العلاقات الأميركية السعودية

القمة تتوج بعقد صفقة عسكرية بقيمة مليار دولار

تطرق لقاء القمة بين العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز والرئيس الأميركي باراك أوباما إلى جملة من القضايا الاقليمية بدءا بالاتفاق النووي وصولا إلى الأزمة اليمنية وقد كشف البيان المشترك عن توافق بين الزعيمين، بيد أن ذلك يبقى "حبرا على ورق" في انتظار تفعيلها على أرض الواقع وهذا مرهون بإرادة البيت الابيض الذي لطالما نكث مسؤولوه بوعودهم تجاه المنطقة والأمثلة على ذلك عديدة.

قمة مصارحة بين السعودية والولايات المتحدة

□ **واشنطن** – مثلت زيارة العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز إلى الولايات المتحدة الأميركية وعقده لقاء قمة طال انتظارها بالبيت الأبيض مع الرئيس باراك أوباما فرصة لتقريب وجهات النظر حول القضايا الخلافية بين البلدان وعلى رأسها الملف النووي الإيراني.

وكان أوباما قد قام بخطوة غير معتادة للترحيب بالملك سلمان على أبواب البيت الأبيض، كما أشاد بـ"الصداقة القديمة" بين البلدين.

وهذه الزيارة الأولى للملك سلمان والتي كانت مقررة أصلا في مايو الماضي وألغتها الرياض عقب خلاف على النووي الإيراني.

وقد حرص العاهل السعودي خلال القمة على تناول جملة النقاط الخلافية بين الجانبين بداية من الملف الإيراني وصولا إلى الملف اليمني.

وشدد الجانبان من خلال البيان المشترك الذي أعلن عنه في ساعة متأخرة من ليل الجمعة، على أهمية الاستمرار في تعزيز العلاقات الاستراتيجية بين البلدين لما فيه مصلحتهما. وأشار الرئيس أوباما إلى الدور القيادي الذي تضطلع به المملكة في العالمين العربي والإسلامي.

وأكد الطرفان على ضرورة مواصلة الجهود من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار في المنطقة وعلى وجه الخصوص مكافحة الأنشطة الإيرانية المزعزعة لاستقرار البلدان العربية.

وأعرب الملك سلمان عن دعمه لخطة العمل الشاملة المشتركة بين إيران ومجموعة دول خمسة زائد واحد، التي في حال تنفيذها بالكامل سوف تمنع إيران من الحصول على السلاح النووي، وبالتالي تعزيز الأمن في المنطقة.

> إعلان الملك سلمان تأييده لاتفاق مجموعة خمسة زائد واحد مع إيران ليس مجانا بل أتى بعد حصوله على تعهدات من أوباما بمواجهة طموحات طهران التي لا تخفيها في المنطقة

وعدّت القمة الثنائية بين الملك سلمان وأوباما فرصة للأخير للحصول على دعم المملكة حول اتفاق الملف النووي الإيراني، خاصة وأنه يواجه معركة شرسة مع الجمهوريين الرافضين للتصويت عليه .

وجدير بالذكر أن القمة التي جمعت بين العاهل السعودي والرئيس الأميركي، أتت قبل أيام قليلة من تصويت مرتقب للكونغرس على الاتفاق النووي مع إيران.

ويقول مراقبون إن إعلان الملك سلمان تأييده لاتفاق مجموعة خمسة زائد واحد مع إيران ليس مجانا بل أتى بعد حصوله على تعهدات من أوباما بمواجهة طموحات طهران التي لا تخفيها في المنطقة، عبر أذرعها والأنظمة التي تدعمها.

وفي هذا الإطار أكد الجانبان من خلال البيان المشترك على أهمية التوصل إلى حل دائم للصراع السوري على أساس مبادئ جنيف 1، وضمن الزعيمان على أن أيّ تحول سياسي هادف يجب أن يتضمن رحيل بشار الأسد الذي فقد شرعيته في قيادة سوريا.

وكانت أنباء تحدثت منذ فترة عن عدم ممانعة الولايات المتحدة تشريك الأسد في الفترة الانتقالية، إلا أنها سرعان ما نفت الأمر مؤكدة أن الرئيس السوري هو السبب الأساسي في ظهور وتمدد تنظيم داعش في سوريا، ولا بد من رحيله.

وتتلاقى واشنطن والرياض ظاهريا في هذه النقطة إلا أن إدارة واشنطن للملف السوري لا تزال تحيط بها شكوك كثيرة.

وكان عادل الجبير، وزير الخارجية السعودي قد صرح مساء الجمعة أنه لا بقاء للأسد في الحكم، حيث أنه مسؤول عن قتل أكثر من 300 ألف سوري بينهم أطفال ونساء، لافتا إلى أن الدعم العسكري الروسي للأسد إن صح سيشكل تهديدا خطيرا.

وتعتبر روسيا الداعم الرئيسي للنظام السوري، وقد حاولت خلال زيارة وليّ العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى موسكو، إقناع الرياض برؤيتها للحل، ومنها بقاء الأسد وإشرافه على المرحلة الانتقالية الأمر الذي رفضته السعودية بشدة.

وقد تواترت مؤخرا أنباء عن دعم عسكري روسي لنظام الأسد، الأمر الذي يثير قلق كل من واشنطن والرياض.

إن التفاهم الأميركي السعودي الذي بدا من خلال البيان المشترك بين الجانبين، لم يقتصر فقط على كيفية حل الأزمة السورية التي بل شملت أيضا اليمن التي تعتبر الحديقة الخلفية للمملكة العربية السعودية.

وقد نفى مسؤولون أميركيون وجود خلافات حول الأزمة في هذا البلد، خاصة في ما يتعلق بالمعطيات التي تتحدث عن رفض أميركي لتحرير العاصمة صنعاء.

وأكد البيان المشترك أن هناك تماه في المواقف بين الإدارتين، حيث شدد الطرفان على الحاجة الملحة إلى تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة، بما في ذلك القرار رقم 2216، وذلك لتسهيل التوصل إلى حل سياسي على أساس مبادرة مجلس التعاون الخليجي ونتائج الحوار الوطني.

وأعرب الزعيمان عن حرصهما على تجاوز الأزمة الإنسانية في اليمن. وشدد الملك سلمان على التزام السعودية بالاستمرار في مساعدة الشعب اليمني، والعمل مع شركائها في الائتلاف الدولي قصد السماح بالوصول غير المقيد للمساعدات إلى الناس الذين تأثروا من اليمن.

وتقود المملكة العربية السعودية تحالفا عربيا ضد الحوثيين الموالين لإيران في اليمن، وقد تمكن التحالف من تحرير عدة مدن بالجنوب، وسط أنباء تتحدث عن قرب إعلان معركة تحرير صنعاء.

ويتوقع متابعون أن تشهد الفترة المقبلة بناء على هذه القمة مزيدا من الضغوط على الحوثيين لإجبارهم على الجلوس إلى طاولة الحوار لحل الأزمة سياسيا.

وكان أوباما قد صرح من المكتب البيضاوي عقب المحادثات "نحن نتقاسم القلق (..) وباتت هناك ضرورة اليوم لقيام حكومة فاعلة تمنح مكانا للجميع وتكون قادرة على مجابهة الوضع الانساني".

ولم تخل قمة الملك سلمان والرئيس أوباما من حديث عن تعزيز العلاقات العسكرية بين الطرفين في ظل تنامي التحديات الأمنية الممثلة في تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية إلى جانب إيران.

وترجم تعزيز التعاون العسكري بين الرياض وواشنطن، وفق صحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية، عبر إتمام صفقة عسكرية تبلغ قيمتها مليار دولار بهدف "تقوية القدرات الدفاعية للمملكة ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وفي الحرب في اليمن".

وكشفت الصحيفة الأميركية عن تفاصيل الصفقة العسكرية، التي من المرتقب أن يوافق عليها الكونغرس في الأيام القادمة.

وذكرت "نيويورك تايمز" أن "الصفقة العسكرية لن تكون الأكبر في تاريخ الصفقات العسكرية، لكنها تأتي في وقت تحاول فيه إدارة أوباما تقديم جميع التطمينات لدول الخليج حول الاتفاق النووي الإيراني وبأنه لن يمس بأمن واستقرار الخليج".

وأضافت أن "الصفقة لن تشمل طائرات عسكرية متطورة"، موضحة أن "الطائرات الحربية من طراز أف 35، والتي تعتبر جوهرة سلاح الجو الأميركي، لن يتم بيعها إلا لإسرائيل، في المقابل فإن الصفقة بين الرياض وواشنطن تشمل بالأساس صواريخ تتماشى مع الطائرات العسكرية من طراز أف 15 التابعة للجيش السعودي".

ويقول خبراء إن التفاهمات التي تمّت خلال القمة سواء من خلف الكواليس أو التي تمّ الإعلان عن بعضها حبيسة الإرادة الأميركية التي لطالما نكثت بما تعهدت به سابقا.

الأنتربول على خط ملاحقة رموز الفساد في العراق

□ **بغداد** – طلبت هيئة النزاهة العراقية، من وزارة الداخلية التقدم بطلب إلى منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الأنتربول) لإلقاء القبض على عبدالرحيم علي الرفاعي أمين عام مجلس دعم العلاقات العراقية الكويتية وأحد المقربين من نوري المالكي رئيس الوزراء السابق.

ويأتي هذا الطلب على خلفية أمر قضائي صدر باعتقال الرفاعي لإيداعه مبلغ قدره ثلاثة ملايين دولار تقدمت بها دولة الكويت لدعم أطفال في حسابه البنكي الخاص، رغم إصرار الأخير على الإنكار والادعاء أن أمن المطار الكويتي كان قد صادر المبلغ منه في المطار لمخالفته الضوابط والتعليمات لكونه أكثر من المبلغ المحدد لكل مسافر.

وهذه القضية التي باتت حديث الرأي العام العراقي في اليومين الأخيرين ما هي إلا نقطة صغيرة من فيض كبير من مظاهر الفساد التي تنخر الجسد العراقي.

وذكر رئيس هيئة النزاهة العراقية حسن الياسري في تصريحات صحفية أن عدد قضايا الفساد في العراق بلغ خلال العام الحالي أكثر من 13 ألف قضية، بينها قضايا تتعلق بـ13 وزيرا والعشرات من أصحاب الدرجات الخاصة والمدراء العامين وموظفين آخرين، هذا فضلا عن إصدارها 440 أمر اعتقال قضائي عن قضايا فساد متنوعة بين الاختلاس والإضرار المتعمد بالمال العام وسرقة أموال الدولة والتزوير وغيرها.

وكان العراق قد شهد خلال الفترة الأخيرة مسيرات احتجاجية عفوية رفع خلال المتظاهرون شعار "محاسبة رموز الفساد".

ودفعت هذه الاحتجاجات حيدر العبادي رئيس الوزراء العراقي إلى إطلاق جملة من الإصلاحات، وصفها محللون سياسيون بمحاولة إنقاذ بيت الحكم الشيعي.

ويقول متابعون إن انتشار مظاهر الفساد في العراق يعود إلى فترة ما بعد الاحتلال الأميركي للعراق حيث استغلت مافيات الفساد الفوضى الحاصلة هناك لوضع يدها على مقدرات البلاد. واستفحل الأمر مع تولي نوري المالكي الموالي لطهران رئاسة الحكومة، التي تتمتع بصلاحيات واسعة.

ووجد المالكي والمقربون منه، الطريق سالكا أمام تضخم ثرواتهم خلال ثماني سنوات من الحكم، حيث سجلت فترة توليه أكثر مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية، وسوء الخدمات وتردي الأمن خاصة.

وكانت اللجنة المالية في البرلمان العراقي قد كشفت في أبريل الماضي عن خسارة البلاد نحو 360 مليار دولار، بسبب عمليات الفساد وغسل الأموال، التي جرت خلال 9 سنوات في الفترة ما بين عامي 2006 و2014، والتي حكم فيها رئيس الحكومة السابق نوري المالكي البلاد.

وتؤكد تقارير عراقية أن لجنة عقود التسليح في حكومة المالكي السابقة أخفت العديد من مليارات الدولارات دون وجود أسلحة، وتبين للجنة النزاهة البرلمانية أن العديد من تلك الأسلحة تم شراؤها بأسعار أكثر مما تستحق، وبعضها مستهلكة أو مستخدمة في الحرب العالمية الثانية، فضلا عن تبادل ملايين الدولارات من الرشوة بين مسؤولي وزارة الدفاع. إلى جانب الملايين من الدولارات التي اختفت في ملف الطائرات التي يقول نوري المالكي إنه اشتراها من روسيا، في حين تبين فيما بعد أن تلك الطائرات هي الطائرات العراقية التي لم تعطها إيران الإذن بالهبوط أثناء الحرب الأميركية ضد العراق، واضطرت للهبوط في روسيا آنذاك، فأعاد المالكي تلك الطائرات على أنه اشتراها.

> عدد قضايا الفساد في العراق بلغ خلال العام الحالي أكثر من 13 ألف قضية، بينها قضايا تتعلق بـ13 وزيرا والعشرات من أصحاب الدرجات الخاصة والمدراء العامين

تواصل الاحتجاجات في العراق مطالبة ببلد دون فساد يحترم الحقوق والحريات

وبلغت قيمة هذه الصفقة الوهمية أربعة مليارات و200 مليون دولار، كأحد أكبر صفقات الفساد التي أثير حولها جدل كبير تفاقم اليوم بعد رفع الغطاء عن ملابساتها. كما ترتب عليها قيام الرئيس الروسي بإقالة وزير دفاعه وعدد من القادة العسكريين لتورطهم في تلك الصفقة.

ويذهب المراقبون إلى الإقرار بأن شبهات الفساد التي ميزت حكومة المالكي السابقة لم تقف عند حدود تكديس الأموال لحسابهم الخاص بل تجاوزت ذلك لتتجه نحو مساعدة إيران.

فالمالكي الذي يملك حظوة كبيرة لدى النظام في طهران كان له دور فاعل في التحايل على العقوبات الدولية المفروضة على طهران وخرق قرارات الأمم المتحدة عبر مدّ يد المساعدة لأذرع الحرس الثوري في منطقة الشرق الأوسط، ودعمها من أجل الصمود بوجه العقوبات الاقتصادية وتمويل ميليشياتها المتعددة ومن بينها "حزب الله" اللبناني.

وساهم الفساد المالي والإداري الحكومي المتمثل خاصة في الصفقات والتعاقدات، في إدخال الاقتصاد العراقي في مأزق كبير، لا سيما مع تزامنه مع الضغوط الحادة التي أصبحت واضحة جراء تهاوي أسعار النفط بأكثر من 50 بالمئة عالميا.

وهو ما قلص من إيرادات هذا البلد، زد على ذلك ارتفاع كلفة الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية داعش في مناطق واسعة من شمال وغرب البلاد.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

فشل الحوار الوطني يعزز خيار التدخل الدولي في السودان

تحالف البشير والترابي ينذر بإعادة إنتاج حكم الإنقاذ ويؤسس لاصطفاف إسلامي جديد

انفصال الجنوب السوداني والعزلة الإقليمية والدولية التي وضعت فيها دولة السودان لم تكن كافية كي يدرك اللاعبون السياسيون أن الوقت قد حان للتغيير. ولم يع الرئيس السوداني عمر البشير أنه وبعد 25 سنة من الحكم الفاشل يجب أن يقف على أخطائه، وقد لا يدرك ذلك إلا عندما يصبح التدخل الدولي أمرا مقضيا.

أميرة الحبر

الولاية الجديدة التي تشمل خمس سنوات قادمة من حكم الإسلاميين في السودان لن تفرز واقعا جديدا

❏ رسم عدد من السياسيين السودانيين وأساتذة العلوم السياسية صورة قاتمة لمستقبل السودان السياسي في ظل الولاية الخامسة للرئيس عمر البشير واستمرار حكم الإخوان لأربعة سنوات قادمة؛ فضلا عن فشل الحوار الوطني وتفشي الفساد وتمدد الحروب، إضافة إلى انتشار التطرف الديني وسط الطلاب والشباب ما ينذر بضرب ما تبقي من السودان.

وبدا البروفسير صلاح الدين الدومة، أستاذ العلوم السياسية متشائما، وهو يقول "لا مستقبل لدولة السودان في الفترة القادمة وتجربة الإسلاميين في السودان قد فرّخت عقما سياسيا ودينيا وأيديولوجيا وعمقت ظاهرة التطرف والمغالاة والتعسف".

ويضيف أن خطاب الرئيس عمر البشير الأخير مخيّب للآمال، ولم يخرج عن دائرة خطاب الوثبة الشهير، وبدا روتينيا ومحملا بتلك المحاكاة اللاموضوعية المغمورة بالكلمات العذبة والوعود مجهولة الهوية.

وصرح الدومة، في حديث لـ"العرب"، أن "الرئيس البشير يتحدث عن معضلة الفساد في حين نعلم جميعا أنه أشدهم فسادا"، مشددا على أنه لم يحدث أن حوكم أيّ فاسد في حكومته، فقط مجرد محاولات قدمت في السنوات الماضية لتمويه المواطن وخداعه بأن الحكومة جادة في محاربة الفساد وقطع دابر المفسدين بإقامة محاكمات صورية بواسطة قضاة موالين للنظام؛ وفيها تم تقديم أدلة ضعيفة جدا في مواجهة الفاسد لا ترقى إلى مستوى الإدانة، ويتم بمقتضاها تبرئة المتهم ومن ثمة تضيع معالم الجريمة.

يذكر أن حكومة البشير لم تبد جدية في مكافحة الفساد حيث سبق وأن سمح بتشكيل آلية مكافحة الفساد برئاسة الطيب أبو قناية سنة 2012، ثم قام البشير بحلها بعد بضعة أشهر فقط من تكوينها من دون أن تدفع بقضية فساد واحدة إلى الرأي العام على الرغم من إعلان رئيس الآلية اكتمال التحقيقات في خمس قضايا فساد، وضعها على طاولة الرئيس البشير. كما لم تقدم أيّ تبريرات عن هذا الإجراء المفاجئ.

في سياق متصل، أكد الدومة أن لا مستقبل للحوار الوطني، في ظل تصاعد موجة المواجهات العسكرية سواء بين الحركات المسلحة والحكومة أو بين القبائل في دارفور؛ فحكومة البشير غير جادة ولا تمتلك إرادة سياسية حقيقية تفضي إلى نجاح الحوار الوطني. إلي جانب عدم إبدائها أيّ رغبة لتقديم تنازلات من أجل البلد وحفظ دماء أبنائها، ما أدخل البلاد في موجة من الحروب لا سيما في مناطق النيل الأزرق وجنوب كردفان ودارفور. ورفضت حكومة البشير العديد من المبادرات الرامية إلى ترتيب البيت السوداني المفكك، ولعل آخرها الطرح الذي تقدم به الاتحاد الأفريقي وفقا للقرار 456 القاضي بقيام مؤتمر تحضيري في العاصمة الأريترية أسمرا. لكن الحكومة لم تعط الدعوة أيّ أهمية واعتذرت عن حضور المؤتمر الذي يجمعها بالمعارضة المدنية والمسلحة وفضلت التخندق حول موقفها الداعي لقيام الانتخابات رغم دعوات الرفض والمقاطعة من المعارضة السودانية. وهو ما يفسر، حسب تقدير الدومة، أن الحكومة أطلقت ملف الحوار كتمويه وأسلوب تخدير، حتى يواصل النظام الذي يرغب في البقاء على سدة الحكم لسنوات مقبلة فيما تتواصل معاناة الشعب السوداني.

تذكر التقارير أن عدم الالتزام بمبدأ الفصل بين السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية في النظام السياسي وطغيان السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية يؤدي إلى الإخلال بمبدأ الرقابة المتبادلة، كما أن ضعف الجهاز القضائي وغياب استقلاليته ونزاهته شكلت معطيات عملية ليواصل البشير تنفيذ برامجه بما فيها مواصلة بقائه على السلطة لأطول مدة ممكنة. كما أن التعديلات الدستورية الأخيرة جعلت الرئيس عمر البشير مركز القرار الوحيد وكرست السلطات في يده بصورة مطلقة، فضلا عن تعزيز صلاحيات جهاز الأمن الذي يتبع الرئيس مباشرة وأصبحت صلاحياته مطلقة، فقد أعطت تلك التعديلات الجهاز كافة الصلاحيات الممكنة وغير الممكنة، الأمر الذي كرس مفهوم الدولة الأمنية القابضة.

> التعديلات الدستورية الأخيرة جعلت الرئيس عمر البشير مركز القرار الوحيد وكرست السلطات في يده بصورة مطلقة

من جهته، اعتبر كمال بولاد، الأمين السياسي لحزب البعث السوداني، أن الولاية الجديدة التي تشمل خمس سنوات قادمة من حكم الإسلاميين في السودان لن تفرز واقعا جديدا. مذكرا أنهم طيلة 25 سنة من الحكم فشلوا في تحقيق التنمية والاستقرار، ونجحوا في إغراق البلاد في موجة من المشاكل، على غرار انفصال الجنوب وبروز خمس بؤر حرب في مناطق جديدة.

واستبعد بولاد أن يسهم التقارب الذي يحدث الآن بين إسلاميي السلطة وإسلاميي المعارضة، ممثلة في حزب الترابي، في تغيير بنية النظام، معللا ذلك بأن التقارب جاء في إطار مواجهتهم كتنظيم إخواني للتطورات الإقليمية التي قطعت الطريق أمامهم وخاصة ما حدث مع الإخوان في مصر.

وقال "لا أتفق مع الكثيرين الذين يروا أن التقارب أتى نتيجة ضعف النظام القائم وعمل مراجعات لفكر الإسلاميين بغرض إعادة الأمور إلى نصابها الأول والرجوع إلى عهد الإنقاذ القديم عهد ما قبل المفاصلة الشهيرة واستبعاد الترابي من مقاليد الحكم".

> التقارب بين إسلاميي السلطة وإسلاميي المعارضة، ممثلة في حزب الترابي، يأتي في إطار مواجهتهم للتطورات الإقليمية التي قطعت الطريق أمام الإخوان

وكانت تحولات كبيرة في مواقف المؤتمر الشعبي بعد حركة الثالث من يوليو الماضي في مصر قد ظهرت للجميع، حيث بدأت حدة رفض الحوار مع النظام تتراجع شيئا فشيئا، ففي البداية، ظل حزب الترابي يرفض أيّ حوار ويتمسك بقرار إسقاط النظام عبر الانتفاضة الشعبية، ثم تراجع الحزب فيما بعد ووافق على الحوار بشرط قبول قوى تحالف المعارضة أن يتم تهيئة أجواء الحوار عبر إطلاق الحريات ووقف إطلاق النار. وظلت المراوحة سائدة حتى أعلن بعد ذلك موافقته على الحوار من دون شروط. وتسربت تقارير صحافية عن اجتماعات ثنائية جمعت الترابي بالبشير بعيدا عن الإعلام، الأمر الذي قابلته المعارضة بتشكيك وتخوفات من إعادة إنتاج حكم "الإنقاذ" الأول الذي كان البشير والترابي أقوى طرفين فيه. حتى أن أصواتا داخل التحالف المعارض ارتفعت منادية بطرد حزب المؤتمر الشعبي منه.

أوضح علي السيد، القيادي بحزب الاتحادي الديمقراطي، إلى أن خلافات الإسلاميين داخل المؤتمر الوطني حول كيفية الحكم وآليات الاستمرار داخل الحزب قوبلت بالقمع. إلى جانب تنامي الحس العسكري لدى البشير رغم انتمائه للحركة الإسلامية الذي دفعه إلى محاولة الانتقال من التزمت إلى الاعتدال، ما حمله على التخلص من بعض رموز النظام المتزمتة داخل الحكومة، لا سيما الذين يعتقدون أن قيادتهم الحركة الإسلامية تحتم خضوع العسكر لأوامر التنظيم الإخواني. وفتح بذلك المجال أمام البشير لينفرد بالقرار السياسي والعسكري ويتمكن من إحكام قبضته في الوقت الذي يتخلص من نفوذ قادة الحركة الإسلامية. وهذه الخطوة التي أقدم عليها البشير جاءت حسب السيد بفعل ضغوطات من بعض الدول العربية المعتدلة التي ترفض الإسلاميين.

وتجدر الإشارة إلى أن البشير قام بسلسلة زيارات إلى كل من السعودية ومصر وآخرها الإمارات بعد سنوات طويلة من القطيعة بين البلدين. كما أن زيارة البشير للإمارات جاءت بعد تغيير الموقف السياسي للسودان من النظام المصري، والتحول من اعتباره انقلابا عسكريا إلى الإقرار بأنه نظام منتخب، ومن احتضان الإخوان الهاربين من المطاردات إلى التعاون الأمني والسياسي مع القاهرة. كما توقفت العلاقات بين الخرطوم وطهران على نحو مفاجئ منذ مطلع سبتمبر الماضي، عندما أعلنت الحكومة السودانية إغلاق المراكز الثقافية الإيرانية في السودان وأمرت الملحق الثقافي بمغادرة البلاد خلال 72 ساعة.

وفي سياق متصل، أقر السيد أن الحرب ستستمر طويلا وستقود إلى تدخل دولي جديد في البلاد بسبب الحرب القبلية التي أصبحت تهدد الاستقرار في البلد. خاصة أن الحكومة متورطة بشكل مباشر في الحروب التي تدور بين المتمردين والجيش الحكومي في جنوب كردفان والنيل الأزرق، إلى جانب مهادنتها لبعض القبائل ومناصرتها ضد أخرى.

من جهته، يرى صالح محمود، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، أن انفصال جنوب السودان بسبب سياسات المؤتمر الوطني الخاطئة لم تنه المشكلة بل استمرت النزاعات بين الحكومة والحركات المسلحة في دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق في مساحة تضم أكثر من نصف مساحة البلاد.

وهذه السياسات التي تشكل خطرا يهدد وحدة البلاد من جديد، تبشر بانفصال مناطق أخرى إذا ما استمر النظام الإخواني على هذه السياسة. كما أن المسؤولين الحكوميين يواصلون ترويج خطبهم الداعية للجهاد والحسم العسكري، رغم عدم جدوى هذه السياسة التي استمرت طوال الـ25 سنة الماضية. وهو ما يرجح، حسب تقديره، باندلاع أزمات جديدة ستغرق البلد من جديد لا سيما وأن البلاد تعيش في حالة عزلة إقليمية ودولية أثرت بشكل مباشر على معيشة المواطن وتقديم الخدمات.

يعيش السودان اليوم تحت تهديدات حقيقية بتدخل دولي خاصة مع استمرار أعمال العنف في البلاد وتزايد التقارير الإنسانية التي تؤكد صعوبة الوضع في دارفور وغيرها من المناطق. وهذا المعطى الذي لم يعد جديدا بالنسبة إلى هذا البلد ولكن وجود القوات الأجنبية في السودان في السابق كان برضا الحكومة السودانية وإن كان على مضض، في حين سيكون وجودها الآن مفروضا بقرار دولي لا تملك حياله أيّ خيار، ولعل الخيار الوحيد المتاح أمامها الآن العودة للرهان على الأجندة الوطنية بعد استنفادها فرص المناورات الخارجية المحدودة والمكلفة.

روسيا واللاتفويض الأميركي

باسل العودات

❏ نشطت السياسة الروسية خلال الشهر الأخير بشكل متسارع وركّزت على الملف السوري كأولوية لها في منطقة الشرق الأوسط، وسرّبت بعض المصادر السياسية والإعلامية بأن الولايات المتحدة كلّفت روسيا بإيجاد حل للأزمة السورية، وأنها سلّمتها دفة السفينة.

بتسارع لم تعهده الأزمة السورية، التقى وزير الخارجية الروسي خلال شهر واحد بنظرائه من أهم الدول المؤثرة بالملف السوري كالأميركي والسعودي والقطري والإيراني وغيرهم، وزار موسكو زعماء عرب على رأسهم المصري والأردني ووليّ عهد أبوظبي، وكان الملف السوري الحاضر الأهم في هذه اللقاءات والزيارات، وأطلقت روسيا مبادرات لجمع المعارضة السورية بعضها مع البعض الآخر، وأخرى للتحضير لمؤتمر جنيف 3 وغيرها أيضاً.

ارتفع صوت روسيا عاليا، وتحدّث المسؤولون الروس بغطرسة واضحة، ورفضوا عروضا لتحسين العلاقات الروسية – العربية، واستخفوا بأهمية التفاهم الأميركي الروسي السعودي، وتمسّكوا بنظام يتهاوى، وأرعدوا وأزبدوا بأنهم لن يُسامحوا من يطالب بتنحية الأسد عن السلطة كشرط مسبق للحل، وأوحوا للمعارضة السورية بأن الحل بات الآن بيدهم وحدهم، واستغلوا وسائل إعلامهم، وإعلام أصدقائهم للنفخ بقدرات الدب الروسي المستيقظ من غفوته.

صدّق كثير من السوريين هذا الافتراض، خاصة وأن الولايات المتحدة لها باع طويل في المماطلة والتردد والتراجع وتغيير المواقف صعودا وهبوطا فيما يتعلق بالأزمة السورية، وافترض البعض أن انتقال الملف من يد ليد هو من شروط الاتفاق النووي الإيراني، أو هو إفلاس دولي من إمكانية إيجاد حل لأزمة طال أمدها وتفشت بقعة زيتها.

بعد اجتماع المبعوث الأميركي المكلف بالشأن السوري مايكل راتني بمسؤولين روس، تبخّر هذا الافتراض، إذ سرعان ما أعلنت الخارجية الأميركية أن واشنطن ملتزمة بالإطاحة بالأسد وأنها ترى أن العملية الانتقالية السياسية ضرورية لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وهو متناقض كليا مع ما يطرحه الروس، وتبيّن أن الطرفين الروسي والأميركي غير متفقين على الأساسيات، وربما على الثانويات أيضا، واتّضح أن لا روسيا هي التي تقود دفّة الأزمة السورية ولا الولايات المتحدة سلّمتها أيّ مفتاح، وأن كل ما جرى هو جزء من لعبة شد الحبال واللعب على التناقضات بين الطرفين.

هذا الإعلان الأميركي لا يعني أنها ستُكشّر عن أنيابها أمام روسيا، ولا أنها بصدد إيجاد حل للأزمة السورية لإنقاذ بقايا الشعب السوري، ولا أنها تمتلك الرغبة الواضحة بإنهاء الأزمة، وإنما يدلّ بأعراف دهاليز السياسة على أن الاستراتيجية الأميركية تعتمد على مبدأ ترك الدبلوماسية الروسية لتجرب عضلاتها، وتسير بمبادرات وتطرح حلولا تعرف أنها غير ناجعة ولن تمر، وتستخدم الروس لتضييع المزيد من الوقت دون أن يُحسب ذلك على اليانكيين.

> موسكو توحي بأن واشنطن سلمتها دفة القيادة لحل الأزمة السورية، لكن سرعان ما تبين أنه لا الأولى تقود السفينة ولا الثانية سلمتها المفاتيح، وما يجري لعب على التناقضات

السياسة الأميركية الخبيئة أصابت الروس بالغرور، فارتفع صوتهم وهددوا بسبابتهم وقالوا إنهم مع حل يحفظ النظام و(يُطيّب خاطر) المعارضة، وتناست أن النظام تسبّب في حرب قتلت نصف مليون وأعاقت ضعفهم، واقتلع عشرة ملايين من جذورهم وشرّدتهم في بقاع الأرض، ودمّرت أساسيات الدولة، وسقط معارضون سوريون (للمرة العاشرة) بفخها، وصدّقوا أنها باتت الآن الآمر الناهي.

لم تسلّم الولايات المتحدة ملفّا لروسيا في أيّ وقت سابق، ولن تسلّمها الآن ملفا استراتيجيا بهذه الأهمية، لكن من الواضح أن استراتيجيتها اختلفت، هي تعتمد أسلوب رجل المال الذي يترك غيره ليعمل ويُجرّب ويُخطئ بينما هو يُراقب ويجني الأرباح بالنهاية، دون أن تنزل منه قطرة عرق واحدة.

تحاول الدبلوماسية الروسية خداع الولايات المتحدة من خلال محاولتها نزع الشرعية عن المعارضة الحالية لصالح معارضات رخوة غير واضحة المعالم وشبهات علاقتها بالنظام تزكم الأنوف، كما تحاول حرف أيّ خطّة جدّية وتحوّلها إلى إجراء مفرغ من مضمونه وتسخّره لخدمة السلطة السورية، وتتجاهل الجرائم التي ارتكبت ضد الإنسانية.

لاشك أن مئات مراكز الأبحاث المرتبطة بمراكز صنع القرار في أميركا لا تلعب، ويتم رصد ميزانيات ضخمة لها لتُخطط، وبالتأكيد ليست دراساتها منزّلة، لكن نسب خطئها تكاد لا تُذكر، وهي تضع خططا موازية وبديلة وتصحيحية للوصول إلى الأهداف، ولولا ذلك لما صُرفت عليها المليارات.

ولا شك أيضا أن أصحاب القرار في الولايات المتحدة يُدركون أن المعارضة السورية، والمعني هنا ليس مؤسسات المعارضة، وإنما أصحاب الثورة والمطالبون بالحرية والعدالة والكرامة، لن يقبلوا بأيّ تسوية سطحية تصالحية لا تضمن تغيير النظام الذي دمّر ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، أو أيّ حل مشوّه لا يقتلع الشر ويوقف الدمار والموت في نفس الوقت، ولأنهم يُدركون ذلك يحاولون اللعب بالوقت الضائع قبل أن يستطيع هذا الشعب تحقيق أحلامه.

* كاتب سوري

رسالة الإمارات في اليمن.. منذ الشيخ زايد

خيرالله خيرالله

❑ أعلنت الإمارات العربية المتحدة عن استشهاد خمسة وأربعين من جنودها في محافظة مأرب اليمنية. ترافق ذلك مع استشهاد خمسة عسكريين بحرينيين أيضا في هجوم ناتج عن صاروخ استهدف مخزنا للذخائر في مأرب، المحافظة التي تعتبر في غاية الأهميّة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة إلى مستقبل اليمن.

تقع مأرب في وسط اليمن. لا حدود لها مع المملكة العربية السعودية، لكنها تمثل الشريان الحيوي لصنعاء من زاوية أنّ معظم الطاقة الكهربائية التي تحصل عليها العاصمة اليمنية تأتي من مأرب حيث السدّ التاريخي الذي أعاد بناءه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله. جاء افتتاح السدّ الجديد في أغسطس من العام 1986، في وقت كان اليمن في حاجة إلى كل مساعدة من أجل التمكن من الاستمرار والبقاء كدولة قادرة على توفير الحدّ الأدنى من سبل الحياة لمواطنيها.

كان هدف الشيخ زايد توفير المياه والكهرباء لأهل مأرب والمحيطين بهم ولسكان صنعاء أيضا.

لم يكن لديه من هدف سوى خدمة اليمن واليمنيين وذلك لأسباب عائدة أوّلا وأخيرا إلى الوفاء لليمن ولما قدّمته أرض اليمن تاريخيا للعرب في كلّ المجالات. في النهاية، ليس هناك عربي ينكر أن أصل معظم العرب من اليمن وأن انهيار سدّ مأرب كان بداية تشتت القبائل العربية في كل أنحاء المنطقة، بما في ذلك شواطئ الخليج العربي.

كان انهيار سد مأرب في العام 580 (ميلادي) مؤشرا على تشتت القبائل العربية. كان الشيخ زايد، الوحدوي في تفكيره، رجلا ذا رؤية عندما قرّر إعادة بناء السدّ وإن في المكان الذي لم يكن فيه تماما، وذلك لتأكيد التعلّق بالوفاء للعروبة وما تمثله، من زاوية حضارية أوّلا، وبفكرة المحافظة على التاريخ العربي وحمايته ثانيا وأخيرا.

أن يأتي استشهاد هذا العدد الكبير، نسبيا، من الجنود والضباط الإماراتيين في مأرب دليل على أن دولة الإمارات لا تزال وفية لرسالتها التاريخية ولرسالة الشيخ زايد. فالتدخل العربي في اليمن ابتداء من شهر مارس الماضي في ظل التحالف العربي الذي تقوده المملكة العربية السعودية، لم يستهدف في أيّ وقت سوى إنقاذ اليمن وإعادته إلى اليمنيين فضلا عن الحؤول دون أن يكون مستعمرة إيرانية.

كان هناك دائما وعي إماراتي للثمن الغالي الذي يمكن دفعه نتيجة خسارة اليمن. لم يكن جهد الشيخ زايد سوى تعبير باكر عن استيعاب الإمارات لأهمّية اليمن.

لن تثني الخسائر التي لحقت بالقوات المسلحة الإماراتية تلك الدولة عن متابعة المهمّة التي نذرت نفسها من أجلها والتي كان من بين أهمّ ما حقّقته تحرير عدن. لا همّ للإمارات سوى المساعدة في أن يكون اليمن متصالحا مع نفسه من جهة وأن لا يتحوّل مستعمرة إيرانية عن طريق الحوثيين (أنصار الله) المتحالفين للأسف الشديد مع الرئيس السابق علي عبدالله صالح من جهة أخرى.

هناك خطر كبير على الأمن الخليجي في حال صار اليمن تحت السيطرة الإيرانية. الإمارات معنية بهذا الخطر، خصوصا أنّها تعرف تماما ما يعنيه أيّ استخفاف بالمشروع التوسّعي الإيراني القائم على استغلال الغرائز المذهبية إلى أبعد حدود. ليس سرّا أن الإمارات، التي تعاني من الاحتلال الإيراني لجزرها الثلاث منذ العام 1971، في أيام الشاه، تدرك قبل غيرها ما يمكن أن ينجم عن سيطرة إيران على اليمن عبر الحوثيين الذين يسمون أنفسهم "أنصار الله".

كان الشيخ محمد بن زايد ولي العهد في أبو ظبي واضحا كلّ الوضوح ومستشفا للمستقبل عندما علّق على الجريمة التي استهدفت الجنود والضباط الإماراتيين بقوله "إنّ تطهير اليمن من الميليشيات الانقلابية التي عاثت تخريبا وفسادا هدف لا يمكن أن نحيد عنه"، مؤكدا أنّ "أبناء الإمارات ثابتون في المضي بطريق إزاحة الظلم والضيم عن إخواننا اليمنيين".

أكد وليّ العهد في أبو ظبي أن لا تراجع عن "عاصفة الحزم"، وهي عملية تستهدف تثبيت الشرعية في اليمن بدل تركه لقمة سائغة لإيران ولأدواتها المعروفة.

يشكّل هذا الكلام الصادر عن الشيخ محمّد فعل إيمان بالمهمّة التي تقوم بها الإمارات التي انضمت إلى الشقيقة الكبرى المملكة العربية السعودية في إعادة اليمن إلى اليمنيين. لا خيار آخر أمام الإمارات التي عليها قبل أيّ شيء آخر حماية أمنها وحماية مواطنيها.

أبطال الإمارات الذين استشهدوا في مأرب كانوا يؤدون واجبا وطنيا ليس في خدمة بلدهم ودفاعا عنه فحسب، بل في خدمة كل أهل الخليج ودفاعا عنهم أيضا

كان الشيخ زايد بن سلطان سبّاقا إلى معرفة أهمّية اليمن بالنسبة إلى الأمن الخليجي. هناك بكل بساطة استمرارية في السياسة الإماراتية. تستند هذه الاستمرارية إلى استيعاب لما يمثّله اليمن على صعيد الخريطة الخليجية. اليمن جزء من شبه الجزيرة العربية وأمنها. فضلا عن ذلك، لا مفرّ في مرحلة مقبلة من تركيز خليجي على التطرّف الذي مصدره اليمن. هناك حاجة في مرحلة ما بعد التخلص من سيطرة الحوثيين على صنعاء إلى نظام يمني تنتج عنه حكومة قويّة تهتمّ بمواجهة "القاعدة" التي تمتلك قواعد في محافظات عدّة، خصوصا في حضرموت وشبوة وأبين وحتّى في عدن. يفترض في هذه الحكومة التركيز في الوقت نفسه على المشاكل الاقتصادية والتنموية التي يعاني منها اليمن حيث ما يزيد على مليون طفل مهددون بالموت بسبب سوء التغذية.

يشكل اليمن أكبر تجمع سكاني في شبه الجزيرة العربية. لا يستطيع بلد مثل دولة الإمارات العربية المتحدة الوقوف مكتوفا

> أن يأتي استشهاد هذا العدد الكبير، نسبيا، من الجنود والضباط الإماراتيين في مأرب دليل على أن دولة الإمارات لا تزال وفية لرسالتها التاريخية ولرسالة الشيخ زايد

حيال ما يدور فيه. في الماضي، لم يكتف الشيخ زايد بالتفرّج على ما يجري في اليمن. سارع منذ العام 1986، وقبل ذلك بسنوات عدة إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه واتخذ في العام 1994 قرارا في غاية الشجاعة باستقبال عدد كبير من ضحايا حرب الانفصال، خصوصا من الجنوبيين.

هناك الآن وضع في غاية الخطورة عائد إلى انهيار الدولة المركزية جراء محاولة الإخوان المسلمين الاستيلاء على البلد بعد خطفهم الثورة الشعبية التي اندلعت في العام 2011. خدم الإخوان في واقع الحال إيران التي استفادت من الفراغ في السلطة ومن وجود الحوثيين الذين وضعوا أنفسهم في خدمتها منذ فترة طويلة من منطلق طائفي ومذهبي.

تدافع الإمارات عن نفسها في اليمن. الأبطال الذين استشهدوا في مأرب، كانوا في خط الدفاع الأوّل عن بلدهم. كانوا يؤدون واجبا وطنيا ليس في خدمة بلدهم ودفاعا عنه فحسب، بل في خدمة كل أهل الخليج ودفاعا عنهم أيضا.

إنّها خسارة لا تعوّض لبلد صغير. القلب يدمى على شباب كانوا يكملون رسالة لا يدرك معناها إلا من عرف في العمق ما هو على المحك في اليمن وما معنى مواجهة المشروع التوسّعي الإيراني الذي وجد قاعدة له في هذا البلد الذي يُعتبر أمنه جزءا من الأمن الخليجي كلّه لا أكثر ولا أقل.

* إعلامي لبناني

عثمان بن عفان وخالد منتصر

أحمد عدنان

❑ كتب د. خالد منتصر مقالة يقرأ من خلالها ما قاله الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وقت ثورة المسلمين عليه "ما كنت لأخلع رداء سربلنيه الله" معتبرا أنها الجملة الأخطر في الفتنة الكبرى، حيث خلطت الدين بالسياسة، وفتحت باب الاحتكار/الديني السياسي "الفرقة الناجية"، وما عداه خالد مخلّد في النار.

ما قاله الدكتور خالد منتصر دقيق إلى حد كبير، لكن اللوم عليه، في محاكمة حقبة الخليفة الثالث بمعايير معاصرة، فالعرب والمسلمون الأوائل أمّة غابت عنها الثقافة السياسية، وليس أدل على ذلك خلو النصوص الدينية الأصلية من النظرية السياسية، وحاول المنظرون المتأخرون تفسير "الخلو" أو "الفراغ" بالمرونة، وهذا تصور باطل، فغياب النظرية السياسية يعني ببساطة أنه لا نظرية سياسية، لأن الدين، أيّ دين، مهمته تتلخص في إشباع الغريزة الروحية وصون الضمير الأخلاقي لا الوصول إلى السلطة وتأصيل فنون الحكم.

حقبة الخلافة الراشدة، هي الأخطر في تاريخ العرب والمسلمين، ومع ذلك لم تنل حظها المناسب من النقد والتشريح، بسبب الخلط بين المكانة الدينية لأشخاص الخلفاء مع وظيفتهم العامة، كما أوضح منتصر، لكن أهل الإسلام يعانون إلى يومنا هذا من تداعيات تلك الحقبة، وليس هناك مجال سوى النقد للتحرر من ضرائب الماضي.

البداية المفجعة اتضحت في حروب الردة زمن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وليس هناك مجال لإنكار فضلها في قيامة دولة المسلمين وحضارتهم اقتصاديا وسياسيا وعلميا، لكن الأعراض الفادحة لتلك الحروب لم ترحم، أهمها تضييق مساحة الاختلاف والخلاف في مسرح الفقه والاعتقاد لصالح حدّ السيف، ثم نأتي إلى سياسة عمر، رضي الله عنه، في توزيع الغنائم التي خلقت طبقية دينية/اقتصادية، وأتى الخليفة عثمان مشخصنا المنصب ببرّ أهله عبر تسليمهم مفاصل الإدارة العامة، ثم جاء الإمام علي، كرم الله وجهه، مجبرا على مواجهة معاوية في صراع سياسي محض أدى إلى انقسام المسلمين إلى يومنا هذا.

ذو النورين، عثمان بن عفان هو أشد الخلفاء مظلومية، فالرجل تولّى مسؤولية جسيمة في ظل دين وثقافة لم تعرف تقاليد إدارية أو نظرية سياسية تستطيع معالجة الخلافات والاختلافات أو حسمها، ولم يكن الظرف الاجتماعي سهلا، فالغنائم التي نتجت عن الفتوحات الإسلامية غيرت الناس وتركيبة مجتمعهم، والعشيرة التي سادت قريش قبل الإسلام (بنو أمية) أرادت استعادة مجدها في دائرة أوسع باسم الدين، ولم يكن أمام الخليفة الثالث سوى العودة إلى ثقافة القبيلة للتعامل مع كل ذلك، فكان الفشل الذريع.

المؤرخون والفقهاء المسلمون، وقفوا في حيرة خانقة أمام عهدي عثمان وعلي، وكان الاختلاط السياسي/الديني قد وصل إلى مداه، فالتجأوا إلى التزوير والاختلاق للحفاظ على الدين من زاوية إنقاذ السياسة، فسقوط نموذج الحكم المثال "الخلافة الراشدة" يعني سقوط الإسلام من وجهة نظرهم، لذلك تم اختراع شخصية وهمية هي "عبدالله بن سبأ"، أو "الطرف الثالث" بلغة هذا العصر، لتتحمل كل شرّ وفتنة، وأدى ذلك، بلا قصد، إلى إساءة بالغة للصحابة، إذ تصوّر المرويات سقوط علية القوم بكل سذاجة في ألاعيب شخصية جديدة على الإسلام ومن ذيل النسيج الاجتماعي، ونسبت إلى تلك الشخصية قدرات أسطورية لا تناسب زمانها، فابن سبأ طاف العالم الإسلامي كله مؤلبا على عثمان في عصر لم يعرف الطائرات والقطارات والإنترنت، ولتأكيد نزعة الشر تم خلق أصول يهودية لابن سبأ من أجل إسكات الدهشة في عقول المعاصرين، وكرّس ذلك الادعاء النظرة السلبية الإلغائية للآخر.

عبدالله بن سبأ شخصية وهمية بامتياز، فليس للرجل أيّ حضور معتبر في مؤلفات الأنساب والأعلام، ولعل عالم الاجتماع العراقي د. علي الوردي قد نجح في تفسير اختلاق الشخصية بدرجة كبيرة، يعتقد الوردي أن ابن سبأ هو صدى سلبي للصحابي الجليل عمار بن ياسر، رضي الله عنه، إذ تتكرر مرويات عمار في سياقات أخرى ومبهرة باسم عبدالله بن سبأ، مما يجعل تأثيره على الصحابة والمسلمين مقبولا، ولو حذفنا تحريض ابن سبأ على عهد عثمان لوجدنا أسباب ثورة المسلمين منطقية، إذ تتلخص في أسلوب إدارة المال العام ومراعاة الأقارب على حساب العموم وجور الولاة وتعنصر قريش، بنو أمية تحديدا، ضد بقية العرب والمسلمين. لذلك فامتعاض "أهل الحل والعقد" من حكم عثمان نتيجة لقرارات الخليفة وسياساته وليس سببا لثورة المسلمين عليه.

ويجمع المؤرخون أن النصف الأول من عهد عثمان كان محبوبا فيه عند الناس أكثر من عمر، لكن ما جرى في النصف الثاني من حقبته أثار نقمة الناس عليه ومنهم علية الصحابة كأبي ذر وعمار بن ياسر، فحوصر في بيته حتى قتله الثوار، ومنهم محمد بن أبي بكر، وبعدها عجز أنصاره عن دفنه ثلاثة أيام، فلجأوا في دفنه بحوش كوكب، الذي يقال بأنه كان مقبرة لليهود تم ضمها زمن الخلافة الأموية إلى البقيع.

ومما يثير الضحك زعم بعض المؤرخين بأن أنصار عثمان أجّلوا دفنه خوفا على جثته من نقمة الخوارج، وهو ادعاء متهافت علميا، فالخوارج عبارة عن مجموعات غير قرشية تشكلت على هامش الصراع بين علي ومعاوية، إذ وعد الإسلام تلك الشعوب بالعدالة الاجتماعية والسياسية، لكنها فوجئت بزيف الشعارات وفشل التجربة بعد أقل من ثلاثة عقود على موت الرسول الأعظم بدليل انقسام أتباعه متصارعين على السلطة في ظل تمييز واضح ضدّ كل من هو غير قرشي مخالفة لروح الإسلام ونصوصه.

ظلم عثمان مرة أخرى في الفتنة الكبرى بين علي (الحاكم الشرعي) ومعاوية (المتمرد) الذي شق وحدة المسلمين باسم القصاص لعثمان، وما زلنا ندفع الثمن إلى اليوم، فمعاوية في حقيقته مطالب بحكم أجداده وعشيرته، وسيدنا علي رغم تمتعه ببيعة أغلبية بسيطة من المسلمين يستند في حكمه على الوصية النبوية المختلف عليها، "الوراثة السياسية لآل البيت"، وهنا انسحب تاريخ قريش إلى تاريخ الإسلام، إذ يمكن تلخيص الشق السياسي بالصراع على السلطة بين بني أمية وبني هاشم وضحايا ذلك هم الإسلام والمسلمون.

تعرض علي مرة تلو مرة للخذلان من شيعته، ووضع معاوية مع داهيته عمرو بن العاص شوكة في صدر الإسلام لم يتوقف نزيفها، رفع المصاحف على أسنّة الرماح ثم توريث الحكم لابنه يزيد، ويبدو أن العرب والمسلمين حينها قد أدركوا يقينا بفشل تجربة الخلافة، فثلاث خلفاء من أصل أربعة تم اغتيالهم، وعهد الخليفة الثالث والرابع لم يعرف الاستقرار، ولعل الملك العضوض يعيد الاستقرار إلى دولتهم، فبايع أنصار علي ابنه الحسن، رضي الله عنه، من جهة، ومن جهة أخرى قام معاوية، لاحقا، بتوريث ابنه يزيد الذي يعد عهده الأبشع في تاريخ الإسلام حيث استبيحت المدينة المنورة في وقعة الحرة وتم قصف الكعبة بالمنجنيق وتم نحر الحسين بن علي، رضي الله عنه، بدم بارد، فإن حصل ذلك بعلم يزيد فتلك مصيبة وإن حصل دون علمه فالمصيبة أعظم.

الخلط بين المكانة الدينية والوظيفة السياسية العامة، جعل المؤرخين والفقهاء يلزمون الصمت أمام عهد علي بن أبي طالب، فأوّل من أسلم وصهر النبي لم يتمكن حكمه من الصمود أمام أحد "الطلقاء" الذين أسلموا بعد الفتح، فدانت الأمصار لمعاوية وانعزل علي في العراق وفارس، وذلك دليل ناصع على أن السياسة لها مكوناتها ومقوماتها التي تختلف جذريا عن أسباب المكانة الدينية حتى لو اكتسبها صحابي جليل.

الورطة التي واجهت المؤرخين والفقهاء أمام عهد عثمان واجهتهم مجددا مع شخص معاوية، فلعن من شق عصا الطاعة لا يليق إطلاقه على معاوية المصنف صحابيا عند أغلب المسلمين، فقام الشيعة بإخراجه من دائرة الصحبة وقام السنة بتأصيل السكوت إنقاذا من أسئلة محرجة في طرحها ومحرجة أكثر في الإجابة عليها، لكنهما وجهان لعملة واحدة، عنصرة مؤسسة الحكم لصالح قريش ثم الاستناد إلى شرعية دنيوية متعالية بغلاف الدين.

حقبة الخلافة، راشدة أو غير راشدة، تجربة بشرية أدت دورها والتفكير بإحيائها هو الجنون مجردا، فمن حيث الشكل لم تقدم النصوص الدينية الأصلية شروط الإمارة وكيفية تعيين الأمير وعزله ومحاسبته، وليس هناك أيّ نص أصلي، أي ورد في الكتاب والسنة، يوضح شكل الحكم الإسلامي وماهيته، أما من حيث المضمون في بدعة تطبيق الشريعة، فالحدود مجرد حلول آنية ومؤقتة ساهم بها المشرع لمساعدة المسلمين والعرب في تنظيم الظروف الحياتية التي واجهتهم في لحظة تاريخية واجتماعية بعينها، كما أن تطبيق الشريعة بالمعنى السياسي ليس واردا في أركان الإسلام أو الإيمان.

حين قال عثمان "لن أخلع قميصا سربلنيه الله" لم يكن ذلك سببا لما جرى بعد ذلك، إنما هو انعكاس لثقافة عامة بدأت تجلياتها منذ وفاة الرسول الأعظم في سقيفة بني ساعدة حين "تناقش" المهاجرون والأنصار على الخلافة أثناء انشغال علي بدفن النبي من دون الاستناد إلى أيّ نص شرعي أو فعل نبوي، ولأن الإسلام هو ابن البيئة العربية لم يكن باستطاعته الارتقاء السياسي بالعرب أو إدارة خلافاتهم واختلافاتهم، فكان الحل من منطق الدين بتجاهل السياسة داخل الدين، لكن المتصارعين على السلطة استغلوا تلك الثغرة بسبب عدم الاعتراف بها إسلاميا للتسلل من أجل احتكار السلطة واختطاف الإسلام.

الخلافة، راشدة أو غير راشدة، هي حكم الفرد القرشي، وصدف أن كان ذلك الفرد من طينة نادرة زمن الصحابة، ومع وفاة كل الصحابة أصبح التعويل على الصدفة مستحيلا، كما أن حكم الفرد حتى لو كان صالحا تجاوزه الزمن مع تطور الدولة والمجتمعات وقد ثبت ذلك زمن الخلافة الراشدة نفسها بدليل عدم استمرارها، لذلك فالدولة الديمقراطية العلمانية أفضل من دولة الخلافة لتماهيها مع العدل والمعاصرة والمنطق.

لينطلق النقد بلا حدود لفض الاشتباك بين الدين والشريعة قبل فض الاشتباك بين الدين والسياسة، فنحن في حاجة ماسة لاجتثاث فكر الإرهاب والتطرف من أصوله واستئصال حالة التخلف من جذورها، ليست أزمة المسلمين راهنا في أداء الشعائر، إذ يغلب الظن أن نسبة حفظة القرآن ومؤدي صلاة الجماعة اليوم تتجاوز نسبتها بين الصحابة أنفسهم، لتكون أزمة المسلمين والعرب هي إدارة شؤونهم العامة، ولعل الخطوة الأولى في طريق الخلاص هي التحرر من سلطة التاريخ الذي استبد بكل شيء حتى أصبح عند البعض دينا.

* صحافي سعودي

التعصب والأمية وسلبية المستنيرين عوامل ترسم ملامح سيئة للبرلمان المصري المقبل

وحيد حامد: سأعتزل الحياة العامة إذا فاز الإسلاميون بالانتخابات النيابية

كشف الكاتب والسيناريست المصري وحيد حامد، عن احتمال اعتزاله الحياة العامة بشقيها السياسي والإبداعي في حال حصول التيارات الإسلامية على النسبة الأكبر من المقاعد في البرلمان المقبل المتوقع أن تجرى انتخاباته خلال الأسابيع القادمة.

سارة محمد

وحيد حامد: تنمية مصر تتحقق بعودة ثقافة العمل التي اندثرت مقابل سيادة ثقافة التسول

❏ قال المؤلف وحيد حامد، في حواره مع "العرب"، إنه رغم ثقته في أن الناس التي عانت كثيرا في الفترة التي تصدّرت فيها الجماعات الإسلامية المشهد السياسي في مصر، لن تعيد عقارب الساعة إلى الوراء، إلا أن قلقه ينبع من تزايد نسبة التعصب والفقر والأمية إضافة إلى أن الجموع الواعية المستنيرة تكتفي بالمشاهدة دون المشاركة وهي إرهاصات قد تؤدي كلها إلى عودة الإسلاميين لتصدر المشهد مجددا باستغلال هذه الفجوة.

وبيّن حامد عدم تفاؤله بالبرلمان القادم، مشيرا إلى أنه دائما يتوقع حدوث مفاجآت، خصوصا أن البرلمان المقبل سيضم فئات كثيرة من بينها أنصار الحزب الوطني الذي تمّ حله بعد ثورة يناير، وكذلك ممثلي التيار الديني ورجال الأعمال خصوصا في غياب قوة حزبية جامعة تستطيع فرض نفسها على البرلمان.

ويرى السيناريست المصري أنه مهما تمّ وضع قواعد وإجراءات صارمة لإجراء انتخابات نزيهة فإنها سوف تفتقد هذه الصفة، ويضيف "التزوير يتم قبل الوصول للجان لأننا في الأساس نقوم بإفساد الناخب عن طريق الإجبار والرشوة، نمنع التزوير في الصناديق فقط، لكننا لا نفعل شيئا حيال التزوير السابق عليها، بدليل أن حزب النور السلفي بدأ يقدم الرشاوى علنا للناخبين دون أن يحرك أحد ساكنا، وهناك حزب آخر رفع شعارا "نقدم دعما عينيا للفقراء"، وقد شاهدت بدايات ترشح الناخبين وجميعها لا يبشر بالخير، ولكن في النهاية رغم عدم تفاؤلي إلا أننا في حاجة إلى برلمان مهما كانت مشاكله.

وعن دور الأحزاب السياسية في رسم ملامح المنافسة الانتخابية الوشيكة، ومن ثمة البرلمان المنتخب قال حامد بنبرات ملؤها الأسف "الأحزاب السياسية أضرت ولم تفد خصوصا التي أنشئت منها بعد ثورة يناير، إذ أن أغلبها أنشأها أشخاص ليس لديهم عمل يشغلهم، وفي النهاية لا يوجد برنامج ولا قضية قومية، وأغلب هذه الأحزاب خرجت من أجل "الوجاهة".

ضوابط غائبة

يؤكد وحيد حامد أن البرلمان القادم لديه مهام كبيرة بحكم الدستور حيث أنه يتوجب عليه مراجعة القوانين التي صدرت في غيابه، والتي أصدرها الرئيس السابق المستشار عدلي منصور، والرئيس الحالي عبدالفتاح السيسي وعليه أن يناقشها ويقرها خلال 15 يوما، من بينها قانون التظاهر والإرهاب، وهذه المدة أراها غير كافية وما يحكم الأمر في هذه المسألة مدى الوعي الذي يتمتع به أعضاء المجلس. ويضيف في هذا السياق، قديما كنّا نشاهد جلسات مجلس الشعب من باب المتعة لكن إذا كان لدينا برلمان يحمل رؤية فالأمر سيختلف، والأصل في البرلمان التشريع ومحاسبة الحكومات، وبالتالي يجب أن يكون أعضاؤه من أصحاب العقول والكفاءات، ففي عهد عبدالناصر رفعت شعارات براقة عن ضرورة تمثيل العمال والفلاحين، فدخل البرلمان عدد كبير ممن يجهلون القراءة والكتابة وهنا نتساءل ماذا سيفعل هؤلاء، وكيف سيناقشون قوانين معقدة مثل الاستيراد والتصدير؟ والواقع يشير إلى أن الأنظمة الحاكمة كانت تفرح بذلك، ونتذكر عضو البرلمان الراحل الشهير كمال الشاذلي عندما كان يرفع يديه بالموافقة خلال التصويت على قرار بعينه فيتبعه مئات من النواب دون تفكير، لذلك كنت أفضل أن يكون هناك ضوابط للمرشحين على الأقل كأن يحمل المرشح شهادة تعليم متوسط.

سألت "العرب" حامد عن رأيه في الجدل الدائر حاليا بين من يؤيد خطوات النظام السياسي الحالي، ويرى فيها انفراجه للمستقبل، ومن ينتقد الحكومة بقسوة، فقال إن هناك مبالغة كبيرة في الحديث عن الأشياء من الجانبين وهي عادة مستمرة في مصر بصفة دائمة، "حتى نكون عادلين لا بد من التسليم بأن هناك تنمية بالفعل ليس في قناة السويس فقط، وأنا راض عنها أيّا كان حجمها، بجانب مشروعات أخرى في الطرق الآن، وفي الأصل فإن الدول المتقدمة لا تنمو إلا بطرقها، وللأسف الشعب يريد رئيس جمهورية 'ساحر' رغم أن كل شيء يحتاج وقت، ونعلم أن البلد بالفعل كانت منهارة وكل الدول بجوارنا والتي كانت حالها مثلنا وأسوأ لم تتقدم فجأة، ولكن هنا الاستعجال فهو سيد الموقف. أما من انتقدوا مثلا مشروع قناة السويس بدعوى أنه مجرد تفريعة، أنا أقول إنه أيّا كان المشروع لا بد أن نسأل أنفسنا هل حقق فائدة أم لا".

ليس دينا واحدا

تحقيق التنمية والتقدم يحتاج أيضا بحسب وحيد حامد لعودة ثقافة العمل التي اندثرت مقابل سيادة ثقافة التسول، ويضرب مثلا بقانون الخدمة المدنية الذي تظاهر ضده البعض، ويؤكد أنه في مجمله لا يحمل أيّ عوار يضر بالموظف في حقوقه المادية لكنه يحمل شيئا مقلقا بالنسبة إلى الموظفين وهو متابعة وتقييم عملهم، وسبب القلق يعود إلى ما نشأنا عليه من الإهمال في عقاب المقصر والإسراف في ثوابه، وبات مبدأ أن أحدا لا يحاسب الآخر على شيء هو السائد، وهنا لا بد من تغيير الثقافة المجتمعية بمجملها، وتعديل الخطاب العام، ليس فقط الديني ولكن الاجتماعي والإعلامي أيضا.

وحول تأثير الخطاب الديني في أعقاب ثورة 30 يونيو 2013 على الثقافة المجتمعية، قال حامد "في رأيي أن الدين لدينا لم يعد الدين الواحد، فالسلفيون مثلا لديهم دين خاص، وهذا يختلف مع رؤى رجال الأزهر مما يضع الشعب في مأزق، كما أن التيار الديني المتشدد عمل جاهدا على ضرب وتحطيم الإسلام الوسطي، وشكك الناس في نزاهة وعلم المشايخ والدعاة الموثوق بهم، وللأسف فإنهم احتلوا وسائل الإعلام وهناك أغلبية من عامة الناس يخدعهم المظهر لأن هؤلاء يسيرون بمبدأ "مش مهم تكون صح لكن المهم تكون مقنع" بمعنى أنهم يخطفون الكلام بالنصب على البسطاء وهم في حقيقة الأمر يبثون السموم.

مؤخرا شهدت مصر تظاهرات لأمناء الشرطة مطالبين بزيادة رواتبهم، ويعلق حامد على الأمر بقوله إنه إذا كان في موقع وزير الداخلية كان سيعتقلهم جميعا، لأن الفاسد ليس من حقه أن يثور، وهؤلاء دخلهم ليس من رواتبهم وإنما من الرشاوى التي يتقاضونها.

وينوه الكاتب إلى أنه سبق وتمّ فصل ما يقرب من 12 ألف أمين شرطة فاسد بالوزارة ثم أعيدوا. وأضاف، أنه حينما يبتعد هؤلاء عن الرشاوى فمن حقهم التظاهر، ويؤكد أن الذي لا يحترم ظروف بلاده ويقدر محنتها يجب أن يعامل بحزم ويطبق القانون عليه بأقصى شدة.

سألت "العرب" حامد، مؤلف "البريء" لأحمد زكي، الذي رصد التعامل مع المعتقلين السياسيين وجنود الأمن المركزي، عن رأيه فيما إذا كان لمس تغييرا في أداء وزارة الداخلية بعد ثورة يونيو، وعن أوضاع السجون حاليا، فقال "هناك بعض التغييرات في قطاع الشرطة مؤخرا لكن التعديلات تحدث بشكل ممنهج من حيث إبعاد الفاسدين عن مناطق الفساد والرشاوى إلى انتهاء مدة خدمتهم كما أن هناك حالات أخرى عندما يرتكب الضابط عملاً إجراميا يحاكم في وقتها، أما حال السجون المصرية، ففي البداية أودّ التنويه إلى عدم ثقتي أو احترامي لمواقع التواصل لأنها تعتمد على الكذب ولا تلتزم بالحقيقة فيما يخص أوضاع المعتقلين السياسيين، والسجون في عهد السيسي تغيرت تماما لكن هناك دائما تهويل يحدث لأشياء فبالتأكيد يوجد حرمان من بعض الترف وهذا بحكم العقوبة ولكن في المجمل الأمر غير ذلك".

تحدث وحيد حامد عن مشروع تنمية قناة السويس والخطوات التي يسعى بها النظام الحالي لتعمير سيناء فردّ متأثرا بأن الرئيس الأسبق حسني مبارك أهمل في حق سيناء وأهلها، للدرجة التي أوصلتها إلى ما هي عليه الآن من حيث كونها منطقة حرب، بعدما حرم أهلها من التنمية والاهتمام، وكان يتم التعامل معهم بشيء من العجرفة، "هذه الطريقة سمحت بتسلل أعداد كبيرة من المجرمين وأفراد العصابات وهؤلاء لا يقلون خطورة عن المتطرفين والإرهابيين الذين لحقوا بهم في فترة تالية إلى أن وصلنا للكارثة الكبرى بوصول جماعات شبه نظامية مدربة حاولت احتلال سيناء إبان حكم محمد مرسي.

> دين لدينا لم يعد الدين الواحد، فالسلفيون مثلا لديهم دين خاص، وهذا يختلف مع رؤى رجال الأزهر مما يضع الشعب في مأزق، كما أن التيار الديني المتشدد عمل جاهدا على ضرب وتحطيم الإسلام الوسطي

ويشير حامد إلى أن مبارك هو الوحيد الذي يعرف الإجابة على تساؤل لماذا إهمال سيناء؟ قبل أن يستطرد مرجعا الأمور إلى العوامل النفسية والمزاجية، "فمثلا عندما حدثت محاولة اغتياله في أديس بابا قطعنا بعدها علاقتنا بأثيوبيا، وبعض دول أفريقيا، كذلك ما شهدته محافظة بورسعيد من إهمال وتنكيل جماعي بأرزاق الناس فيها بعد تعرض الرئيس لمحاولة اغتيال هناك".

ويضيف حامد "ما تحتاجه سيناء الآن، هو استغلال ثرواتها وتعميرها بالناس، ولكن لا بد أن نطهرها أولا من الإرهاب ثم نبحث عن التنمية والبنية الحضارية من مدارس ومستشفيات ودور عرض وصناعات صغيرة، فغالبا ما تذهب الأنظار نحو السياحة في جنوب سيناء فقط".

قضية الإرهاب كانت صاحبة النصيب الأكبر في أعمال وحيد حامد سينمائيا وتلفزيونيا، وهو ما جعله يمتلك رؤية نافذة لأبعادها وتداعياتها في سيناء، عبّر عنها في حواره مع "العرب" قائلا "الإرهاب الدولي سيأخذ فترة للقضاء عليه، ومثلا طائفة 'الحشاشين' الإرهابية ظلت 90 عاما، وكذلك 'الخوارج'، ثم اندثرت لأن الباطل في النهاية سيرحل، والإرهاب الحالي مصنوع وترعاه الدول الاستعمارية مثل الولايات المتحدة والغرب كله، حيث أن الصراع بين الشرق والغرب قائم لمصالح هؤلاء، ولنا أن نتصور أن ظهور داعش مثلا أغنى هذه الدول عن إرسال جيوش لمحاربتنا، كما أن هناك بعض الدول العربية لديها خوف من مصر انطلاقا من القناعة بأنها إذا قويت ربما تشكل خطرا على جاراتها لكننا في النهاية لسنا العراق وصدام حسين.

يعتقد حامد أن ما يعيشه الشباب من تحولات في أفكارهم ورؤاهم للمستقبل، ناتج عن التمرد على المنظومة الطبيعية للحياة مع عدم وجود رضا بالأشياء، "فالجميع يريد القفز بالمناصب دون النظر إلى سياسة التدرج والصعود"، مشيرا إلى أن الطموح ليس عيبا ولكن في النهاية الاجتهاد في العمل هو العنوان الأهم، كما أن هناك أشياء هامة تستولي على فكر الشباب مثل "المال والجنس والمغامرة" ومن يوفر له هذه الأشياء يكسبه حتى لو كان تنظيما متطرفا مثل داعش، وهناك يتم إقناعهم بالموت في لحظة ما بدعوى أنهم سيلحقون بالجنة، هذا بالإضافة إلى غياب الترابط العائلي الذي أحدث كثيرا من الفجوات في تربية الأبناء مما سهل ذهاب الشباب إلى مثل هذه الاتجاهات.

ويرجع الكاتب اتخاذ بعض القضايا لمسار طائفي في مصر مؤخرا إلى سبب تمكن التيار الإسلامي في الثمانيات واعتلاؤه المنابر وتصدره في الخطب مما أحدث انقساما بين الشعب المصري.

حامد لم يفوّت فرصة الحوار لتسجيل إعجابه بتحضر الشعب اللبناني في أعقاب ثورته على النظافة، متمنيا أن تصل عدوى الأمر إلى مصر.

وأضح أن الثورة لا بد أن تكون ضد أيّ وضع خاطئ أو فساد، أما حال ما يصطلح على تسميتها بدول الربيع العربي، فهو محاولة للتخريب بفعل فاعل لأن الهدف من الصراعات القائمة الفوضى الخلاقة والشرق الأوسط الكبير، وما يحتويه من تكسير للأمم العربية واستغلال ثرواتها، ولذلك هناك لعب على وتر الدين وغيرها من الأشياء لتحقيق ذلك.

هذا الاهتمام الكبير والرصد الدقيق للحالة الدينية وتطوراتها في مصر دفعني لسؤال وحيد حامد عما إذا كان ينوي كتابة أجزاء تالية من مسلسل "الجماعة" فقال نعم أخطط لذلك، لأن الحدوتة لم تنته، وأنا لا أؤلف لكنني أؤرخ، حيث يعمل معي فريق من الباحثين، وأذاكر كثير من المراجع، لكنني إذا كتبت جزءا ثانيا فلن أرصد فيه الأحداث الأخيرة كما يتوقع البعض لأنها صورة لم تكتمل، فالمحاكم مازالت تعمل والحقيقة لم نعرفها حتى الآن، ومازالت في مرحلة الكتابة والتعديل كلما علمت بمعلومات جديدة.

وعن التغير الواضح في مضمون ما تقدّمه الدراما المصرية في أعوامها الأخيرة علق حامد موضحا أن الدراما حاليا تعيش ما يمكن تسميته "سطوة الإعلانات"، التي أصبحت تسيطر على الدراما، وبعد أن كانت مدة الحلقة في السابق 45 دقيقة تقلصت إلى 26 دقيقة كما أن تنفيذ السيناريوهات حاليا يتم بشكل جماعي وليس كل مبدع بمفرده.

سألته عن الشكل الذي يمكن أن يقدم به مسلسله الشهير "العائلة" (قدم في ثمانينات القرن الماضي) في الوقت الحالي بعد ما طرأ من تغييرات مجتمعية، فأجاب "العائلة حاليا زمنها مختلف، فوقت تقديم المسلسل لم يكن الابن يستطيع التدخين أمام والده أو التحدث معه بلهجة غير لائقة، إضافة إلى انتشار المخدرات بين الشباب مما زاد من تلف الأسر، وفي المجتمعات الفقيرة كان هناك تمسك بالعادات والتقاليد رغم الفقر، لكن هذا اختفى بحلول العشوائيات والكثافة السكانية فتفككت الأسرة.

> البرلمان المقبل سيضم فئات كثيرة من بينها أنصار الحزب الوطني الذي تم حله بعد ثورة يناير وكذلك ممثلي التيار الديني ورجال الأعمال خصوصا في غياب قوة حزبية جامعة تستطيع فرض نفسها على البرلمان

أنا وعادل إمام

حامد تطرق في حواره مع "العرب" إلى قضية مصطنعة حاول الإعلام المصري من خلال الوقيعة بينه وبين عادل إمام نجم أهمّ أفلامه، بإبراز تصريحات للكاتب يطالب فيها "الزعيم" باعتزال الفن، وهو ما حرص حامد على توضيحه من خلال منبر "العرب" قائلا "لم يحدث أنني طالبته بالاعتزال كما تردد مؤخرا، والأمر لم يتعد عدم اقتناعي بمسلسله الأخير لأنني أراه أكبر من ذلك، فهو ممثل أصيل ومن الممثلين القلائل الذين يتميزون بالعبقرية، وفضلا عن كل ذلك هو واحد من فنانين معدودين يحظون بقبول جماهيري غير محدود".

ويضيف حامد معلقا على أحداث مسلسل عادل إمام الأخير "أستاذ ورئيس قسم" الذي رصد تفاعلات ثورة يناير 2011 وما بعدها "تناول الدراما للثورات حاليا، أمر سابق الأوان" ضاربا المثل بنفسه حيث أكد أنه كان واحدا من المخدوعين في ثورة يناير، ونظرا لعدم قدرته على النزول بسبب ظروفه الصحية كان على اتصال ببعض المتواجدين هناك لمعرفة التطورات، موضحا أنه صدم في أشخاص كثيرين.

وحول رأيه في مجمل أوضاع الثقافة والإعلام حاليا، أشار حامد إلى أن الإعلام يعمل الآن ضد الناس، ويصدّر لهم مفاهيم وثقافة خاطئة وسطحية، وبرامج لا تقدم ولا تؤخر حتى الديني منها تتحدث عن قضايا منفصلة عن حياة الناس ما يجعله وسيلة معطلة، أما حال الثقافة فهو الأسوأ من وجهة نظره، "يكفي وجود وزير الثقافة الحالي الذي لا علاقة له بهذه الكلمة، والدولة تتعامل مع الثقافة على كونها شيئا ليس له قيمة وهذا سيكون له نتائج عكسية على حال المجتمع".

مبادرة إيران تجاه الدول التي تراها مجرّد خيم تحيط بفارس

حسين أمير عبداللهيان وقُبلة يهوذا على خدّ حليفه الأسد

إبراهيم الجبين

❑ عرض حسين أمير عبداللهيان نائب وزير الخارجية الإيراني، مبادرة بلاده على حسن نصرالله والمبعوث الدولي دي مستورا في بيروت، ثم طار إلى دمشق للقاء رئيس النظام فيها، بشار الأسد ومساعديه، ولم يرشح، رسمياً، حتى اللحظة، ما يوحي بشكل تلك المبادرة أو بنودها، أو الاتجاه الذي ستمضي فيه، غير تصريحات عبداللهيان ذاته، التي أكد فيها على ضرورة دور الأسد وحكومته في المرحلة المقبلة، بعد تطبيق المبادرة الإيرانية، وتشكيل حكومة وطنية مشتركة ما بين من تراهم إيران، وروسيا من خلفها، معارضة، من جهة، وبين شخصيات من نظام الأسد، على أن يبدأ كل شيء بوقف فوري لإطلاق النار، للتفرغ لمحاربة الإرهاب والتطرف.

حضارات وخيم

لم تخف إيران مشروعها الإمبراطوري، وحتى من يقدّمون أنفسهم فيها على أنهم معتدلون، ليسوا على استعداد للتخلي عن فكرتين معاً، نظام الولي الفقيه، وتبرير وجود المتعصبين القوميين في عمق بنية النظام الإيراني، دون محاسبتهم على تصريحاتهم المتطرفة والعنصرية تجاه العرب، وتباهيهم باحتلال أربع عواصم عربية، بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء، أو باعتبار بغداد مركزاً للإمبراطورية الفارسية العائدة إلى الوجود.

وقد تسرّب كلام إلى أحد زعماء المنطقة العربية، عن محضر اجتماع سري جرى مؤخراً، ما بين مسؤولين إيرانيين ومسؤولين مصريين، قول الإيرانيين لنظرائهم المصريين "نحن وأنتم فقط في هذه المنطقة، حضارات، الفارسية والفرعونية، وما تبقى من الدول كلها مجرد خيم لا أكثر"، ما يعكس رؤية طهران الحقيقية والاستراتيجية للشرق الأوسط اليوم، وما يشي بوضوح بتطور الخطاب العنصري الإيراني تجاه العرب، إلى قناعات ثابتة حول إعادة التاريخ القديم إلى ما هو أبعد من علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، أو الحسين ويزيد، وتجاوز الخلاف المذهبي والطائفي إلى عمق معنى الحضارات التي قصدها الإيرانيون، والتي لا يفهمون منها سوى النفوذ العسكري والأمني والقوة الغاشمة، مهما كان الثمن.

في تكوين النظام الإيراني، رجال دين، ورجال سلطة ومخابرات وقادة عسكريون، الجميع اليوم، كان قد تخرّج من تجربة الحرب الإيرانية العراقية، التي رأت إيران أنها خرجت منها منتصرة، ليس بشكل مباشر، ولكن بشكل حاسم، بفضل تحالفها مع الشيطان الأكبر، عدوها السابق، الولايات المتحدة، التي احتلت لها العراق وسلمتها رئيسه صدام حسين لتعدمه، ولتحتل البلد العربي الذي كان يشكل القوة الكبرى في وجه تصدير ما تسميه إيران بثورة الخميني، ثم غادرت القوات الأميركية، تاركة العراق مساحة إضافية مكتسبة أضيفت إلى مساحة إيران، التي توسعت غرباً نحو سوريا ولبنان، وجنوباً نحو اليمن.

القيادة من الخلف

ولد عبداللهيان في العام 1964 في مقاطعة دامغان في إيران، وهو يتحدث العربية والانكليزية بطلاقة، ويتولى جميع المناصب التي كان قد كلّف بها سابقاً، في الوقت ذاته اليوم، وهو يعتبر مهندساً رفيعاً لشؤون المنطقة العربية في النظام الإيراني، يشرف على المصالح السياسية الإيرانية في الخليج وشمال أفريقيا، ويزور العواصم الخليجية بين الوقت والآخر، لشرح تطورات الموقف الإيراني للمسؤولين العرب، وكان تباهيه بحضوره حفل تنصيب الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي واجتماعه بالأمير عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز، نائب وزير الخارجية السعودي، أمراً لافتاً، لم يتردد عبداللهيان بالإفصاح عنه لدير شبيغل الألمانية، مؤكداً على أن إيران تريد الاتفاق مع السعودية على حل ينهي الأزمات في المنطقة العربية وعلى رأسها الملف السوري.

قضى عبداللهيان الشطر الأكبر من عقد التسعينات في بغداد، مسؤولاً أعلى في السفارة الإيرانية، ثم نائباً للسفير، وفي السنة التي سقطت فيها بغداد، بالاحتلال الأميركي المباشر، أصبح مسؤولاً عن الملف العراقي في الخارجية الإيرانية 2003، وأنشأ من أجل هذا قسماً خاصاً في النظام الإيراني، يتولى إدارة شؤون العراق.

كان عبداللهيان سفيراً لطهران في البحرين، حتى العام 2010 وساهم بدور كبير في تحضير بعض الجهات في البحرين، للعب دور سيأتي لاحقاً، ويؤجّج العلاقة ما بين الدولة من جهة وبين أولئك الذين رفعوا شعار المظلومية، مسلحين بما تموّنهم به إيران على مراحل من سلاح وذخائر ومتفجرات.

انتقل عبداللهيان من سفارة إيران في البحرين إلى منصب المدير العام لمنطقة الخليج والشرق الأوسط، ومع بدء انتفاضات الربيع العربي، في العام 2011، تم تعيينه نائباً لوزير الخارجية متخصصاً في كل ما يتعلق بالدول العربية والأفريقية، ليلعب الدور الأبرز في تخطيط السياسات الإيرانية ورسمها، وطرح أوراق العمل التي تعكس التصورات الإيرانية الحقيقية لمستقبل المنطقة.

يرى عبداللهيان أن دور إيران في إطفاء حرائق المنطقة، يكمن في دعم الانظمة والميليشيات التي تتحالف معها، ويكرر دائماً أن إيران قامت بتقديم النصيحة لبشار الأسد وجيشه، بأشكال مختلفة، "حتى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم ضد الهجوم الإرهابي". ولكن عبداللهيان يضيف "هذا لا يعني أن نتجاهل مطالب المعارضة السياسية أو أننا نؤمن بأن الرئيس الأسد يجب أن يبقى رئيسا لبقية حياته".

ومع ذلك لا يستطيع نائب وزير الخارجية الإيراني أن يتصور أن الانتفاضة السورية كانت سلمية في بدايتها، وأن جيش الأسد قام بشن حرب عنيفة ضد المدنيين، بل إنه يرى أن كثيرين قد قتلوا في سوريا، خلال السنوات الماضية، بسبب الإرهابيين متعددي الجنسيات.

أما من يتحدث عن جرائم حرب ارتكبت في سوريا على يد الأسد والميليشيات الداعمة له، فإن عبداللهيان يقول له، عليك أن تذهب إلى محكمة دولية، ولا تلقي الاتهامات هكذا، حينها، حسب عبداللهيان، سيجلس كثيرون في قفص الاتهام، ومنهم وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون والأمير سعود الفيصل الذين أرسلوا شحنات عسكرية لدعم المعارضة، وليس الأسد فقط.

وهو يعترف بأن هناك ضحايا من الأبرياء المدنيين سقطوا في هجمات لجيش الأسد، ولكنه لا يتجاهل حقيقة أن العديد من الدول وأجهزة الاستخبارات مكنت الإرهابيين، كما يقول، من شن الهجمات المضادة، ويضرب مثلاً على الإرهابيين المعارضين للأسد بجبهة النصرة.

إعادة تنظيم المنطقة

القناعة التي يتحرك وفقها عبداللهيان، تقول إن ما يحدث في الشرق الأوسط في السنوات الأربع الماضية، كان جزءاً من خطة تهدف إلى "إعادة تنظيم المنطقة"، وبناء على ذلك تم خلق التنظيمات الإرهابية، وإن دول الخليج العربي، ومنها السعودية وقطر ستكون هدفاً لتلك التنظيمات الإرهابية، وأن السيناريو هو تحريك الدمى الإرهابية للنهوض من تركيا عبر سوريا إلى المناطق السنية في العراق، وصولاً إلى الحدود الإيرانية.

ولا يبرّر عبداللهيان، كيف تدعم دول الخليج التنظيمات الإرهابية التي ستنقض عليها لاحقاً؟ ولا يجد متهماً يشير إليه بإصبعه سوى "الموساد" الإسرائيلي، الذي يقدّم "الخدمات السرية" للمتطرفين الإسلاميين السنة، والهدف النهائي هو "إقامة الخلافة الدولية".

وبناء على ذلك، يتوجب على إيران الوقوف في وجه هذا المشروع، ومنع "إعادة تنظيم المنطقة"، ولكن ما يظهر عبر سلوك إيران، أنها لا تريد منع المشروع، إن صح وجوده، بل تريد المشاركة فيه، واقتسام النفوذ في المنطقة على حساب الدول العربية التي لا تراها جديرة بحكم نفسها بنفسها، متلاقية بذلك مع مفاهيم القوى الاستعمارية الكلاسيكية القديمة، التي رأت أن شعوب الشرق لا تملك القدرة على إدارة الشرق، ولذلك كان لا بدّ من انتداب يرتّب المنطقة وشؤونها.

خطة رباعية

ترى المبادرة الإيرانية، أنه لا بدّ من حل سياسي للأوضاع في سوريا، بعيداً عن التدخل الخارجي، من أيّ دولة كانت، وهي بذلك تغض الطرف عن التدخل الإيراني ذاته، مستثنية ذاتها من قاعدة "لا تدخّل خارجي"، وتضع من أجل ذلك أربعة أسس تبدأ من وقف فوري لإطلاق النار، تلتزم به الأطراف جميعها، ويجري تطبيقه بالقوة على من يخالف ذلك، بالطبع المستهدف من هذا التوجّه هو توسيع دائرة الحرب الدولية على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) ليشمل أيضاً المعارضة السورية المختلفة على امتداد الخارطة السورية، وليتشارك التحالف الدولي مع نظام الأسد في "فرض وقف إطلاق النار".

المبدأ الثاني، يقوم على وضع ميثاق لضمان حقوق الأقليات الدينية والطائفية والعرقية في سوريا، منعاً لهيمنة الأكثرية، أو عمليات الانتقام أو الاقصاء، أو حتى (وهو ما ورد بالحرف الواحد في خطة دي ميستورا الجديدة) الامتناع الكلي عن أيّ اجتثاث لحزب البعث العربي الاشتراكي، أو محاسبة مسؤوليه.

المبدأ الثالث يقضي بإطلاق حوار وطني سوري ـ سوري، ينتهي بالمبدأ الرابع، وهو إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية بإشراف دولي، وهو ما رفضه الأسد حين ورد على لسان دي مستورا، وما تحاول إيران دفعه للموافقة عليه، من خلال زيارة عبداللهيان الأخيرة.

يعلم الأسد، ويعلم عبداللهيان، والعالم معهما، أن موافقة الأسد على إشراف دولي على أيّ عملة انتخابية شفافة تشمل الشعب السوري في جميع المناطق السورية، واليوم في بلاد اللجوء، ستؤدي بالضرورة إلى خروجه من الحكم، بعد الدمار الذي لحق بسوريا بسببه، والمجازر وجرائم الحرب التي ارتكبتها قواته.

في أثناء تطبيق المراحل السابقة، ستكون الحرب على الإرهاب مستمرة، وترى إيران أنه يجب أن تشارك فيها المعارضة السورية المسلحة، بإشراف دولي كذلك، ما يجعل مهمة الجميع، بسط سلطة الدولة السورية الديمقراطية التي هي هدف مشترك للكل، كما تقول إيران.

يشمل هذا كله إجراء حملات واسعة لتوفير المساعدات الإنسانية العاجلة، التي يصفها عبداللهيان بأنها "واجب ديني وإنساني في المجتمع الدولي"، وتعزيز المسار السياسي وتسهيل محادثات شاملة هي الطريقة الأنسب لتحقيق حل سياسي، والأهم بالنسبة إلى إيران، تعزيز محادثات حقيقية على المستويين الإقليمي والدولي، وتلك هي الطاولة التي ستفاوض فيها إيران على مكاسبها من استثمارها للأسد في سوريا، ويكون الأخير الذي دافعت عنه إيران بشراسة مصورة إياه للعالم على أنه رئيس بريء، يستعد اليوم لتلقي قُبلة يهوذا الإيرانية التي ستسبق تسليمه لمصيره المجهول.

إيران القادمة من الماضي، تريد إعادة التاريخ إلى الوراء، إلى زمن الفرس والفراعنة والرومان والإغريق، وهي بذلك لا تختلف عن فكر داعش الذي يرى العالم كما لو أنه في القرن السادس الميلادي، زمن الغزو والفتح والرومان والخلافة وكسرى والسبايا.

> المبادرة الإيرانية، ذات البنود الأربعة، ترى أنه لا بد من حل سياسي للأوضاع في سوريا، بعيدا عن التدخل الخارجي، من أي دولة كانت، وهي بذلك تغض الطرف عن التدخل الإيراني ذاته، مستثنية نفسها من قاعدة «لا تدخل خارجي»، وتبدأ البنود من وقف فوري لإطلاق النار، تلتزم به الأطراف جميعها، ويجري تطبيقه بالقوة على من يخالف ذلك

> عبداللهيان يمضي الشطر الأكبر من عقد التسعينات في بغداد، مسؤولا أعلى في السفارة الإيرانية، ثم نائبا للسفير، وفي السنة التي سقطت فيها العاصمة العراقية تحت الاحتلال الأميركي المباشر، يصبح عبداللهيان مسؤولا عن الملف العراقي في الخارجية الإيرانية 2003، وينشئ من أجل ذلك قسما خاصا في النظام الإيراني، يتولى إدارة شؤون العراق

> جرائم الحرب التي ارتكبت في سوريا على يد الأسد والميليشيات الداعمة له، يقول عنها عبداللهيان إن أردنا التحدث حولها، فعلينا أن نذهب إلى محكمة دولية، ولا نلقي الاتهامات هكذا، حينها، حسب عبداللهيان، سيجلس كثيرون في قفص الاتهام، ومنهم وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون والأمير سعود الفيصل وآخرون أرسلوا شحنات عسكرية لدعم المعارضة، وليس الأسد فقط

شاعر أردني من رجال سياسة وآداب لم تعوّضهم الأمة

عرار متمردٌ ثار من أجل الناس وضدّهم

مؤيد أبا زيد

❏ واحد من كبار الشعراء العرب المعاصرين، أشهر شعراء الأردن على الإطلاق، في شعره شجاعة ودهاء ورصانة ومناهضة للظلم، أعماله تدل على اطلاعه الواسع على آداب الأمم والشعوب، شاعر حوران مصطفى وهبي التل والذي عرف بين الناس باسم "عرار".

رحلة مكتب عنبر

ولد مصطفى وهبي التل في مدينة إربد بحوران شمال الأردن في العام 1899، وتلقى تعليمه الابتدائي فيها، ثم سافر إلى دمشق بعمر الثالثة عشرة، وواصل تعليمه في مدرسة شهيرة عرفت باسم "مكتب عنبر"، وخلال دراسته شارك في الحركات المناهضة للأتراك، ونُفي إلى بيروت، و لكنه ما لبث أن عاد إلى دمشق مرة أخرى.

بعد زيارته لإربد صيف العام1916، نشبت بينه وبين والده خلافات حادة، ما جعل والده يُحجم عن إعادته إلى مدرسة عنبر، وأبقاه مرغماً في إربد، ليعمل في مدرسة خاصة كان قد افتتحها والده آنذاك، اشتدّت الخلافات مع والده، فغادر بصحبة أحد أصدقائه نحو إسطنبول، ولكنهما لم يبلغاها، ولدى عودته لإربد، استطاع بعض زملائه إقناع والده بضرورة إرجاعه إلى مدرسة عنبر، وصادفت عودته قيام حركات طلابية في دمشق، شارك فيها بزخم، لتنفيه السلطات العثمانية إلى حلب، حيث سمحت له بإكمال دراسته فيها، وهناك حصل على الشهادة الثانوية من المدرسة السلطانية، وأثناء دراسته تعلم اللغة التركية، وهي اللغة الرسمية وقتذاك، كما أتقن الفارسية.

وفي أواخر العشرينات من القرن الماضي درس القانون معتمداً على نفسه، وتقدم للفحص الذي كانت تجريه وزارة العدلية فاجتازه بجدارة، وحصل على إجازة في المحاماة مطلع الثلاثينات، عمل بعدها معلماً، ثم انتقل للعمل في سلك القضاء، ثم عاد إلى وزارة المعارف فتسلم وظيفة المفتش الأول، فمتصرفاً للواء السلط، ومكث في منصبه هذا أقل من أربعة أشهر، عُزل بعدها، واقتيد إلى السجن، حيث قضى سبعين يوماً، إثر مشادة بينه وبين رئيس الوزراء آنذاك.

وبعد خروجه من السجن نهاية عام 1942، و حتى وفاته، مارس مهنة المحاماة في عمّان حيث افتتح مكتباً خاصا به.

غواية رباعيات الخيام

اطّلع عرار على حياة عمر الخيّام ورباعياته في مرحلة مبكرة من عمره، فأسرته تأملاتها في الوجود الإنساني، وحاول تقمصها سلوكاً وفناً، ما انعكس على شعره والذي تميز بالإطالة، كما أمعن في الخمر، بل إن معرفته بالشراب كانت بعد قراءته رباعيات الخيام بترجمة وديع البستاني.

نظم بعد قراءته الرباعيات مجموعة من الخماسيات الشعرية، تجلى فيها بوضوح الأثر الخيّامي، ليدمن مع مرور الوقت قراءة الخيّام، والبحث في حياته ورباعياته، وكانت اللغة الفارسية التي تعلّمها عرار قد ساعدته ليقرأ تلك الرباعيات من اللغة الأم كما قال، وقام بترجمتها مطلع العشرينات، ولم يتوقف عند هذا، بل قاده شغفه بالخيّام الى محاولة تأليف كتاب عنه لكن لم يكتمل.

إلا أنّ الآثار التي تركها عن الخيّام شكّلت مادة صالحة وكافية لأن تظهر في كتاب، وهو ما حصل قبل سنوات حين صدر كتاب تحت عنوان "عرار والخيّام" وفيه ترجمته للرباعيات السهلة الجميلة و يبدأ بمقدمة عرار عن كتابه الذي كان ينوي إصداره.

وفيه نشرت ترجمة عرار للرباعيات، مع مجموعة الآثار التي تركها مصطفى وهبي التل أو عرار عن الخيّام ورباعياته بالإضافة إلى ملاحظات كان قد سجّلها على النصوص وترجمة الرباعيات، ومسودات كتبها بخط يده.

> التأسيس المعرفي والثقافي لعرار، يبدو متقاربا مع كثير من المثقفين العرب الذين عاشوا في إطار عصره، حيث تشكلت وتكونت ثقافتهم ضمن الحواضر والمراكز العربية الهامة، وكان لسنواته التي عاشها في دمشق وحلب تأثيرها الخصب في ثقافته ففجرت موهبة قل نظيرها في الأردن

تميز عرار منذ صغره، بالعطف على الفقير والشعور مع العاجز والأخذ بالضعيف، ومن أجل ذلك، ضحّى بالوظائف وثار على الإقطاعية والأنانية، وحارب المرابين وصبّ نقمته عليهم.

وكان من أبرز صفاته طموحُه الشديد، ما جعله غير مستقر، فتعمّقت ثورته وتمرّده، وتكونت فيه صفات متناقضة شملت شخصيته، حتى أن ملك الأردن المؤسس عبدالله بن الحسين أشار إليه في إحدى كتاباته حين قال "إنك يا مصطفى لمجموعة من متناقضات تعتز بها في عيني: الصخب والشغب والرضى بعد الغضب، خصم الأقوياء، رفيق الضعفاء، كريم في فاقة، نهّاب وهّاب، فقير في نفسك، غني في صحابك، لا أدري عن عقيدتك ولكنك غيور على ملتك، إقليمي مفرط، عربي متشطط، إذا مات خصمك رثيته، وإذا احتبس عليك صاحبك ربما هجوته. هذه صفات متناقضات تكوّنت فيك واجتمعت فإذا كانت ناحية منك تغضب فنواح كثيرة منك أخرى تُرضي، أنت عقدة العقد، تُشبه الصوف الملتف بالشوك ، فمن ذا ينقّيك".

وكان عرار يحضر مجالس الملك، الذي عيّنه رئيساً للتشريفات في الديوان الملكي، وكان يُساجله ويعارضه في الشعر، سئل يوماً إحدى تلك الجلسات "أيّ الأمور أشد تأييداً للعقل؟ وأيّ الأمور أشد ضرراً به؟" فأجاب عرار بصراحته المعهودة "إن أشد الأمور تأييداً للعقل مشاورة العلماء وتجربة الأمور وحسن التثبت، وإن أشد الأمور ضرراً بالعقل الاستبداد والظلم" وهذه العبارة تنمّ عن تلمّسه للأمور، ومعرفته بما كان يجري، آنذاك ، كما تنبّه إلى فلسفته التي اختطها لنفسه.

> عرار يظهر في زمنه كمحارب شرس من أجل الناس وضدهم في الوقت ذاته، مدعما ثقافته بأحوال الناس والنظريات الاجتماعية، متيما بعمر الخيام ورباعياته وفلسفته الخاصة في الحياة، ومناداته بالمساواة الاجتماعية

عندما وجد فراغاً بين مجتمعه وبين ما كان يتمنّى أن يكون عليه ذاك المجتمع، تمرّد عليه، وكانت بداية في محاولة إصلاحية نحو التغيير، فكانت شخصيته ثائرة على كل الأوضاع، تملك رؤية ثاقبة في الحب والكره، نظر إلى المجتمع فلم يعجبه حاله، فحاول إصلاحه، حيث يقول في إحدى أبياته الشعرية:

كم صحتُ فيهمْ وكم ناديت من ألم
فما أفاقوا ولا أصغوا لألحاني.
وعندما أيقن أن الكذب والتدليس أفضل الأسلحة في زمانه وأن مكارم الأخلاق هي مجرد شعارات هبّ يصرخ:
الناس أحلاسُ من دامتْ سعادتُهُ
وكلّهم خصمُ مَنْ يُمنى بخسرانِ.
وقال عن الناس أيضا:
النـاسُ ما الناسُ؟ عُبدانُ القويِّ، بهمْ
مَا بالمطيّة من مهماز مِغوارِ
يُزجُون مَنْ سامهم خَسْفًا وأَرهَقَهُم
عَسفًا تحيّات إجلالٍ وإكبارِ
ويَضفُرون بأَيديهمْ لقاطعهَا
حِرصًا على البَغي إكليلَيْنِ مِنْ غارِ.

رغم ذلك كله، لم يمنعَهُ هذا الصراع ما بينه وبين مجتمعه، من أن يتغنى بأيامه الأولى فيه، وبقيت حوران، وهي المنطقة التي ولد فيها ملهمة له، مع أنه كان يعترض على كل شيء فيها، فكتب في إحدى قصائده:

إذا يا صاح جاء الموتُ يوماً
لكي يمضيَ بروحي للسماء
بحوران اجعلوا قبري لعلّيَ
أشمّ أريجَها بعدَ الفناء.

وتحقق له ما أرادَ ففي الـ24من مايو من العام 1949، توفي عرار ودفن في مدينة إربد، وفي نهاية الثمانينات من القرن العشرين، تبرّعت شقيقاته ببيت العائلة في المدينة، ليصبح وقفاً لضريحه، ونقلت رفاته من المقبرة إلى البيت، الذي تحول في ما بعد إلى متحف يُخلّد أعماله، ليخرج من أبنائه سياسيون كبار، مثل وصفي التل الذي شغل منصب رئيس الوزراء في الأردن، خلال السبعينات وسعيد التل الذي تولى منصب نائب رئيس الوزراء خلال التسعينات.

كان لشعر عرار فلسفة خاصة تتصل بالنواحي الاجتماعية، والتي تضمنت المرأة والرثاء والحنين إضافة الى الطبيعة، واستطاع أن يمثل دوره كمتزعّم للثورة الاجتماعية، التي هدفت إلى اجتثاث الظلم في بيئته، وقدم تضحيات كبيرة، طالت لقمة عيشه، وكان يُركز على الإنسان الذي جعله محور قضيّته، وأتى في ديوانه الشعري الشهير "عشيات وادي اليابس" على أحوال المجتمع والناس وهمومهم.

عرار يلجأ إلى الغجر

عرف عنه أنه كان يلجأ إلى مجتمع الغجر ويرى فيه "مدينته الفاضلة"، لكنّ خروجه لم يكن متواصلاً ونهائياً، بل حاول من خلال ذلك التخلص من واقعه المرّ، فكثيراً ما كان يعمل وهو في مجتمع الغجر على إصلاح مجتمعه هو، وكان يعود إليه ليواجهه ويتحداه، وعندما يخفق، يعود ويلجأ إلى الطريقة نفسها.

إن حكاية عرار لا تزال تتردّد بين الناس، مع قصائده وتعكس نظرته للحياة وأشجانه وأحزانه وحتى أفراحه، وتظل هذه الحكاية تحتاج للبحث، بعد أن ضاع الكثير من مخطوطاته، والذي كان يحتفظ بجزء منها نجله مريود التل.

لم تكن عملية التأسيس المعرفي والثقافي عند عرار، مختلفة عنها عند كثير من المثقفين العرب، بل كانت في إطار عصره الذي عاش فيه، حيث تشكلت وتكونت ثقافتهم ضمن الحواضر والمراكز الهامة .وكانت السنوات التي عاشها في دمشق وحلب لها تأثيرها الخصب في ثقافته، والتي فجرت موهبة قلّ نظيرها في الاردن. ويبقى عرار ظاهرة متميزة ونادرة في بيئته، فلم تتكرّر في الأردن أو سواها، رغم مرور زمن طويل على غيابها، وتميزت أشعاره بأنها تخرج من أعماقه الذاتية، فيأتي على كل شيء لا يعجبه وينتقده بشدّة، ويعبّر عنه تعبيراً حاداً ومؤثراً، دون خوف أو وجل، كما كان يأتي على الجوانب التي يراها مشرقة و يبالغ في توصيفها.

الجواهري وقباني وعرار والرصافي وعمر أبو ريشة وآخرون وغيرهم، مضوا تاركين آثارهم، لكن الرحم العربية، لم تحبل بمثلهم بعدهم، مع أن حاجة العرب اليوم إلى هؤلاء قصوى ملحّة وبلا حدود.

> ملك الأردن المؤسس عبدالله بن الحسين يشير إلى عرار في إحدى كتاباته بالقول «إنك يا مصطفى لمجموعة من متناقضات تعتز بها في عيني: الصخب والشغب والرضى بعد الغضب، خصم الأقوياء، رفيق الضعفاء، أنت عقدة العقد، تشبه الصوف الملتف بالشوك، فمن ذا ينقيك؟»

مسرحي بريطاني اكتشف عبث العالم الواقعي

هارولد بنتر متسائلا: ما الذي يجري حين لا تقال الكلمات؟

علاء الدين العالم

❑ في العام 2005 سلمت جائزة نوبل للآداب للكاتب والمسرحي الإنكليزي هارولد بنتر على مجمل إنتاجه المسرحي، متأخرة عقدين وأكثر على أحد أهم أصوات الكتابة المسرحية في القرن العشرين.

وكان بنتر قد ولد في حي هاكني في لندن سنة 1930، وبدأ بكتابة نصوصه المسرحية بعد عمر العشرين، وكانت أول أعماله "الغرفة" و"المنضدة"، كما كتب سيناريوهات للسينما بلغت حوالي العشرة سيناريوهات، كلها مأخوذة عن روايات ليست من تأليفه، أهمّها السيناريو الذي كتبه عن رواية مارسيل بروست "البحث عن الزمن المفقود" حيث استمر في كتابة هذا السيناريو قرابة العام.

بنتر عمل أيضاً كمخرج مسرحي، ولكنه لم يخرج أيّا من المسرحيات التي كتبها، وعمل ممثلاً في المسرح والسينما والتلفزيون، وكان يتخذ اسماً مستعارا هو "ديفيد بارون" ومن أشهر أعماله كممثل، دوره في مسرحية جان بول سارتر "الأبواب الموصدة" حيث لعب شخصية غارسان. كما كتب تسعا وعشرين مسرحية والعديد من القصص والمقالات والقصائد.

محطة فيكتوريا

يقسم هذا النتاج الضخم لهارولد بنتر، مسرحياً، إلى قسمين، المسرحيات الصغرى ونذكر منها "الليل"، "محطة فيكتوريا"، "مرة أخرى" كتب بعضها كـ"اسكتشات" للتلفزيون والإذاعة البريطانية. وتتميز جلها بالكثافة على مستوى الطرح واللغة، أما القسم الثاني فهو المسرحيات الكبرى "الحارس"، "العزلة"، "الأرض الحرام"، "الأيام الخوالي". والتي يعود إليها شهرة بنتر ككاتب مسرحي مجدد.

دُعي بنتر في العام 1970 لاستلام جائزة تدعى جائزة "شكسبير" الألمانية، وقد قدمت له في مدينة هامبورغ، وهناك ألقى خطاباً قال فيه "سألني أحدهم ذات يوم عن الموضوع الذي تدور حوله كتاباتي. ودون أن أفكر في شيء، بل لمجرد الخروج بإجابة يتوه معها مثل هذا النوع من المحادثة أجبته: بأنها تدور حول العرسة (حيوان أكبر من الجرذ بقليل) التي تختبئ تحت الخزانة، وقد كانت هذه غلطة كبرى، فعلى مدى سنوات بعد ذلك ظللت أرى هذه العبارة تقتبس عنّي فيما يكتب عني، ويبدو أنها قد أصبحت لها الآن دلالة كبرى، وتعد قولا له أهميته عند الحديث عن أعمالي، ولكن بالنسبة إليّ لا تعني شيئا على الإطلاق. هذه هي أخطار الحديث العلني".

يشترك بذلك بنتر مع معاصريه في النقد الأدبي "رولان بارت"، والفلسفة "ميشيل فوكو"، في نسف قصدية المؤلف، وتجاهل دوره. فليس المهم ما يقوله بنتر عن نصه، بل ما يقوله النص عن نفسه.

من جهة أخرى، يجيب بنتر عن ذلك بقوله "ما هو الذي أكتب عنه؟ إنه ليس العرسة القابعة تحت الخزانة. أنا لست مهتماً بالمسرح الذي يستخدم كمجرد وسيلة يعرب بها المشتغلون به عن أنفسهم. هناك الكثير من أعمال المسرح الجماعي التي لا أجد فيها، برغم العرق والجهد والضجة، شيئاً سوى تعميمات لا قيمة لها ساذجة ولا طائل من ورائها. ليس باستطاعتي أن ألخص أي مسرحية لي أو أن أصفها إلا بطريقة واحدة وهي أن أقول هذا هو ما حدث هذا ما قالوه وهذا ما فعلوه".

لم يكن هارولد بنتر كاتبا مسرحيا ينتمي إلى مسرح العبث واللامعقول بنفس طريقة بيكت ويونيسكو، فقارئ مسرح بنتر يلحظ مدى الفرق في بناء النص المسرحي بين بنتر وبين بيكيت ويونيسكو، ولعل أول اختلاف بارز بين بيكيت وبنتر، هو أن الأخير رفض على العكس من بيكيت التخلي عن الإطار الخارجي الواقعي في أعماله، ونسج دراماه من التناقض الحاد بين عقلانية الواقع الظاهرية وبين جوهره العبثي.

وفي حين لا نلمح في كل أعمال بيكيت أيّ ملمح واقعي ولو كان عابرا، سواء عن طريق اللغة أو الديكور أو الحدث، نجد عند بنتر في جلّ مسرحياته هذا الإطار الخارجي الواقعي الذي يحمل بجوهره العبث كجوهر للوجود الإنساني، وعلى سبيل المثال، هناك فرق واضح بين لغة كلّ من شخصيات بيكيت ويونيسكو وشخصيات بنتر، فاللغة عنده لا تتميز بنفس الحديّة في القطع والشرذمة و التشظي التي نقرأها عند بيكيت، بل دائما ما يعتمد بنتر على لغة ليست واقعية حياتية لكن فيها شيء من التواصل البشري، عارضا من خلال هذه اللغة ما يريد قوله عن جوهر الإنسان العبثي وجوهر العالم اللامعقول.

لكن هذا لا يعني أن موقف بنتر من اللغة ينافي موقف بيكيت أو يدحضه، بل على العكس نجده ينظر إلى اللغة لا سيما في أعماله المتأخرة ذات النظرة التي ينظرها بيكيت لها، ليس فقط باعتبارها أداة عقيمة توهم الإنسان بالتواصل مع الآخر، بل باعتبارها أداة قهر وتسلط.

كذلك فإن الاختلاف بين بنتر وبيكت لم يكن اختلافا جوهريا، بالرغم من أن بنتر كان له ما ميزه عن بيكيت، إلا أنه بقي مدينا له ومتأثرا به، وهذا ما نستنتجه من كلام الناقد ج. ل. ستيان عن تأثر بنتر ببيكت إذ يقول "بالنسبة إلى بنتر كان يعتبر بيكيت أعظم كاتب في أيامنا، وقد تجلى تأثره ببيكت من خلال ديكور بنتر البسيط واعتماده الحوار البسيط العفوي العرضي في بعض مسرحياته المبكرة (...) إلا أن موهبة بنتر الفذة تعود إلى هذا الغموض الموجود في حواره بشكل يميزه عن غيره".

لا يتجلى العبث عند بنتر كما عند بيكت ويونيسكو من خلال بنية المسرحية ولغتها، بل نجده في جلّ مسرحياته يستخدم لغة يومية حياتية وشخصيات حية. العبث عند بنتر هو ناتج طبيعي لصيرورة الحياة فيكفي أن نعرض الحياة بكل تفاهاتها حتى يظهر لنا العبث كمحرك لهذا العالم جليا واضحا.

التمويه والتشويش

لم يعتبر بنتر، مثلما هي الحال عند صموئيل بيكيت، أن اللغة أداة التمويه والتشويش لا الاتصال وحسب، بل ذهب أبعد من ذلك حينما أكد أن اللغة هي إحدى أدوات تكريس السلطة. ففي الوقت الذي تشعرنا اللغة أنها تمنحنا التواصل وتكسر هذا الصمت تكون اللغة تساهم في عزلتنا وفي الفهم الخاطئ لنا من الآخر.

> الزمن يشغل حيزا أساسيا في مسرح هارولد بنتر، فمنذ أن عمل على إعداد سيناريو لرواية بروست «البحث عن الزمن المفقود»، والزمن كمفهوم فلسفي يسيطر على تفكير بنتر وهذا ما نراه بوضوح في مسرحيته «الخيانة»

من هنا نلحظ اقتراب بنتر من رأي الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل عن اللغة، حيث يؤكد الأخير فلسفيا أن الوجود الخالص هو وجود صامت لا لغة فيه، إذن لم يكن وجود "الصمت" عرضيا في نصوص بنتر، أو عشوائيا، بل أكثر من ذلك، لا يمكن تحليل نصوص بنتر المسرحية دون الالتفات إلى بنية "الصمت"، ودوره في البناء الدرامي للمسرحية ككل.

يورد بنتر ثلاثة أنواع للصمت في مسرحياته "صمت، صمت طويل، وقفة"، ولا تخلو مسرحية من مسرحياته من هذه الإرشادات، حيث يجعل من الصمت الأداة الأشد تعبيرا عن عبثية الوجود البشري، وخواء الذات البشرية في المجتمعات المعاصرة، بذات الوقت، تجدر الإشارة إلى أن المغالاة في الحديث عن الصمت البنتري دون فهمه كجزء من السياق اليومي للحديث بين البشر هو ما يشتت قارئ بنتر ويساهم في زيادة غموض نصوصه.

الأيام الخوالي

يتسم مسرح بنتر بالمحافظة على الإطار الواقعي حيث تجري الأحداث عند بنتر في إطار واقعي حياتي على عكس بيكيت ويونيسكو، ويفصل بنتر بإرشاداته الإخراجية لا سيما في حديثه عن الديكور حيث يسهب في التفصيل عن الزمان والمكان مثال ذلك الوصف المسهب في إحدى أشهر مسرحياته "الأيام الخوالي" حيث يصف في مطلع المسرحية "المكان: منزل ريفي متطور، نافذة طويلة في الوسط إلى الأعلى، باب حجرة النوم إلى اليسار، باب أمامي على اليمين، أثاث قليل على الطراز الحديث، أريكتان، مقعد ذو مسندين"، لكن بنتر يقول إن هذا التفصيل غير مقصود وليس له دلالات.

يقول بنتر إن الحياة "أكثر غموضاً ممّا تصوره المسرحيات وهذا الغموض بالذات هو ما يسحرني: ما الذي يجري بين الكلمات وماذا يجري حين لا تقال الكلمات"، كذلك يؤكد بنتر على الغموض والإبهام الذي يشوب بعض نصوصه لا سيما مسرحياته الكبرى التي كتبها للتلفزيون مثل "الليل، و"محطة فكتوريا". كما يرى بعض النقاد، أن الغموض في مسرحيات بنتر المتأخرة كـ"الأرض الحرام" و"الأيام الخوالي" قد استخدم كغاية لا كوسيلة.

يشغل الزمن حيزاً أساسياً في مسرح هارولد بنتر فمنذ أن عمل على إعداد سيناريو لرواية بروست "البحث عن الزمن المفقود" والزمن كمفهوم فلسفي يسيطر على تفكير بنتر، وهذا ما نراه بوضوح في مسرحيته "الخيانة" التي تدور حول إحساسنا بالزمن بطريقة مفتوحة واستثنائية وذلك من خلال تقسيم الحدث في المسرحية إلى تسعة مشاهد ثم أداؤها في تسلسل معكوس، وهكذا يستطيع المشاهد تتبع علاقة خيانة على مدى تسع أو عشر سنوات إلى الوراء، فهو يبدأ من لقاء مميت بين الطرفين المعنيين وقد أنهيا موعدهما الغرامي تماماً، لينتهي ببداية العلاقة العاطفية وهذا تكنيك يجعل كل مشهد يوضح بعضاً مما سبقه وهذا يذكرنا بالدراما الاستعادية التي كانت يكتبها إبسن قبل مائة عام.

ما يجعل هارولد بنتر حاضرا اليوم، هو مسرحته للعبث، ليس على طريقة ألبير كامو، أو بيكيت، بل من خلال كشف جوهر الحياة العبثي، عبر التقاط الفلسفي والفكري من خلال اليومي والحياتي. الأمر الذي يجعل منه كاتبا مسرحيا معاصرا بامتياز.

> هارولد بنتر يشترك مع معاصريه في النقد الأدبي «رولان بارت»، والفلسفة «ميشيل فوكو»، في نسف قصدية المؤلف، وتجاهل دوره. فليس المهم ما يقوله بنتر عن نصه، بل ما يقوله النص عن نفسه

> موقف بنتر من اللغة يتوافق مع موقف صموئيل بيكيت، فنجده ينظر إلى اللغة لا سيما في أعماله المتأخرة، ذات النظرة التي ينظرها بيكيت إليها، ليس فقط باعتبارها أداة عقيمة توهم الإنسان بالتواصل مع الآخر، بل باعتبارها أداة قهر وتسلط

> نصوص بنتر المسرحية تستعصي على التحليل دون الالتفات إلى بنية «الصمت»، ودوره في البناء الدرامي للمسرحية ككل. يورد بنتر ثلاثة أنواع للصمت في مسرحياته «صمت، صمت طويل، وقفة»، ولا تخلو مسرحية من مسرحياته من هذه الإرشادات

لبناني يحفر في الكون بحثا عن الجمال

جميل ملاعب مشغولا برسم ضيوف حديقته

فاروق يوسف

❏ أخيرا تمكن جميل ملاعب من إنجاز حلمه، وهو حلم كل فنان. لقد افتتح متحفه الشخصي في مسقط رأسه بيصور (عالية) بعد خمس سنوات من العمل الدؤوب، استطاع ملاعب خلالها أن يجهّز المكان بكل المستلزمات التي يتطلبها إنشاء متحف.

خمسة عقود من الخلق الفني ضاق بنتاجها المكان المؤلف من ثلاث طبقات، فكان من اللافت أن يضم المتحف أعمالا رسمت قبل خمسين سنة إلى جانب أعمال لم يرها أحد من قبل، ذلك لأنها رسمت قبل وقت قصير. إقامة متحف لفنان ينتمي إلى الجيل الثالث هو حدث مهم من جهة ندرته لا في لبنان وحده بل في العالم العربي كله.

فمَن هو جميل ملاعب، الفنان التي توزعت اهتماماته بين الحفر على الخشب والنحت بالحجر وصناعة لوحات الموزائيك غير أن الرسم بأصباغ الغواش والإكريلك والزيت كان عالمه الأكثر قربا من توقه إلى التقاط تفاصيل الحياة اليومية؟

لم ينس ضيوف حديقته

ولد ملاعب عام 1938 في بلدة بيصور. في تلك البيئة الجبلية نشأ الفنان على حبّ عناصر الطبيعة من تراب وماء وشجر، فكانت صلته بالنباتات التي كانت تحيط منزل أسرته بمثابة تمرين للحواس، وهي تلتقط كائنات الطبيعة التي لم تقتصر على ما تهبه الأرض بل اتسعت لتشمل كل ما يتحرك على تلك الأرض من دجاج وخراف وطيور.

وهو ما تسلل إلى خزانة ذاكرته تحت عنوان شاعري هو "ضيوف الحديقة"، غير أن الحزن هو الآخر كان ضيفا على حياته، وهو ما تسلل إليه من خلال أمّه التي تزوّجت في سن مبكرة بعد أن فقدت أمها فكان الفقدان هو الشعور الذي ميز علاقة الابن بأمه، لتكسبه الحرب الأهلية التي اختطفت شقيقه وهو في مقتبل العمر قوة القدر الذي لا يمكن الإفلات منه. يقول ملاعب في وصف أمّه "كانت الأيام متشابهة منذ طفولتها وحتى السطر الأخير من حياتها".

> أمه الغائبة والحرب الأهلية اللبنانية التي اختطفت شقيقه وهو في مقتبل العمر، تكسبان ملاعب قوة القدر الذي لا يمكن الإفلات منه. يقول في وصف أمه «كانت الأيام متشابهة منذ طفولتها وحتى السطر الأخير من حياتها

درس ملاعب الفن في معهد الفنون بالجامعة اللبنانية ليكمل دراسته في الجزائر ومن هناك ذهب إلى الولايات المتحدة لينال شهادة الماجستير من معهد برات في بروكلين- نيويورك ومن بعدها شهادة الدكتوراه من جامعة أوهايو. عام 1976 بدأ تدريس الفن في معاهد وكليات مختلفة بلبنان.

الفنان الذي التهم معلميه

في كتاب "جميل ملاعب صورة ذاتية" يعترف الفنان بأنه تعلم من الجميع وبالأخص معلميه الذين صاروا في ما بعد زملاء له. بعضهم صار صديقا له. يتذكرهم ويحيل إلى كل واحد منهم الشيء الذي تعلمه منه. يقول "تعلمت التأليف المتين من نظريات عارف الريس وتجاربه وحركة لوحته المملوءة بالتفاصيل والأبعاد الصعبة. وتعلمت من رفيق شرف الحس الوجودي العبثي، وهذا الحزن الذي يأتي من ضربات ريشته السوداء ومن طيوره المشردة الراحلة والمغلوبة على أمرها العابرة إلى المجهول. تعلمت من أمين الباشا عملية الإبقاء على الرسم الأولي في اللوحة وعلاقة الألوان وجماليات هذه العلاقة. ومن ناديا الصيقلي تعلمت العفوية في إهداء اللون للوحة دون استعادة حركته مرة أخرى وأن اللون يصبح تلامسا لا يمكن استرجاعه أبدا".

تكشف تلك الاعترافات عن نهج أخلاقي، جوهره الوفاء غير أنها على المستوى الفني تقودنا إلى حقيقة أن ملاعب ما كان في إمكانه أن يتحدث عن تأثره بالآخرين وإن كان أولئك الآخرون معلميه إلا بعد أن صار على يقين من أنه التهم تلك التأثيرات ولم تعد لوحته لتشير إلى أحد سواه. في وقت مبكر من حياته احتل ملاعب الحيز الذي يليق به فنانا متميزا.

رسوم دفاتره تصنع عالما

جميل ملاعب رسام دفاتر. في مختلف مراحل حياته لم يرافقه دفتره الكبير الذي هو عبارة عن الصفحة التي يقيم فيها عالمه الذي غالبا ما يستعين على قهر العالم بقوة جماله الريفي.

في نيويورك كان يحلم ليرسم الحديقة بضيوفها. أما دفاتر الحرب الأهلية فقد كانت اختبارا لتقنية الحفر التي سكنت خياله، فكانت يده تنتقل بين الأسود والأبيض لتتماهى مع روح المأساة التي كانت تتجول بين الأزقة وهي لا تكتفي باستهلاك ما يظهر من مادتها. كان يرسم كمن ينقب بحثا عن المجهول، وهو ما يفعله الحفار في أسمى حالاته.

لم تكن رسوم ملاعب في دفاتره مصغرات تمهد لأعمال كبيرة. كانت تلك الرسوم أعمالا نهائية، لم يخف الفنان عنها أيّ انفعال من انفعالاته. كانت صورته في اللحظة التي رسمها فيها، لذلك يمكن النظر إليها من جهة كونها عالما حيا متكاملا وليست مجرد تمارين على الإلهام البصري. ومع ذلك فإن ملاعب لا يخفي رغبته في اللعب. يلعب بمرح بمفرداته كما يلعب بتقنياته. إنه يزاوج بين عوالم مختلفة كما لو أنه يرسم صورا متعددة في صورة واحدة.

ملاعب رسام يوميات. يقبل على الرسم لأنه يتيح له نوعا من الكتابة البصرية. إنه يكتب بصريا ما يفكر فيه. لا يفضل أن يكون كاتبا. لغته تسمح له في أن يقترب من الموسيقى أكثر.

شفافية النظر

بالرغم من تنوع انشغالاته الفنية فهو رسام ونحات في الوقت نفسه، غير أنه لا يكون مثلما يحب إلا حين يكون حفارا. تقنية الغرافيك تسحره. هناك يجد نفسه كائنا معذبا يقف أمام نتائج جمالية مجهولة.

يريحه أن يكون كذلك. يقول "أنا أحب الشغل بتقنيات الحفر. تتعبني كثيرا. هذا صحيح. الصحيح أنني أستمتع بالشغل عليها لأنها أعمال تشبه بناء الكائن. شيء يتجسد بين يديك. أحفر وأضغط ما حفرته باليد. لن تصرع عملية عملية ثانية، ذلك أن العمل بالحفر يشبه التنفس، بصيرورة تشبه تعاضد الأعضاء والحواس في مهمة لا تقود إلى تصوير التشكيل بالمزايا، بل تقود إلى تصويره بالحب".

سيكون عليه دائما أن يتحدث عن لذته في العمل، فهو رسام لذائذي. لذلك يفضل الغرافيك بالرغم من انغماسه بالرسم بالأصباغ المائية. الحفر يمنحه وقتا للمتعة هو أكثر سعة. يخطط خياليا. يحفر واقعيا وبطريقة معكوسة مثلما تفعل المرآة ثم ينتظر النتائج.

يصبر ملاعب مثل أيّ حفار آخر على متعته.

رسومه ستبهره مثلما تبهر مشاهدا لم يكن معنيا بما يجري. صلته بالخشب الذي يحفر عليه رسومه تعيده إلى حديقة طفولته. لا يزال هنالك شيء نابت منه في اللحظة التي صارت تنأى بعيدا. سيعيده الرسم إليها. إنه يحفر بحثا عن لقيته.

أقام جميل ملاعب أحد معارضه تحت عنوان "عاريات" وكان ذلك في صالة جانين أربيز ببيروت. لم يكن ذلك العنوان إلا مجازا. نساء ملاعب لم يكنّ في حاجة إلى العري ليكنّ عاريات. كل امرأة رسمها كانت عارية وإن ارتدت كامل ملابسها.

هناك شفافية في النظر تلهم العري وإن لم يكن متاحا بصريا. يرسم ملاعب نساءه بقوة وحيه. يستحضرهن من الأسطورة التي تحيط بهن. الريفيات اللواتي ينافس جمالهن جمال الموناليزا هن مادة حلمه. ستشرق رسومه بعريهن الكامن. من خلالهن يتذكر درسه الأول في الرسم. حياته التي تعلّم من خلالها الرسم. لم يكن العري ضالته، غير أنه انتهى إليه باعتباره ضالة حياة مؤجلة. كانت متعة الرسم قد وهبته القدرة على اكتشاف عري الأشياء وفي المقدمة كان عري المرأة سببا للرسم. في كل مرة يرسم فيها جميل ملاعب يفصح عن ذريعة للرسم لم تكن موجودة سابقا.

> رسومه في دفاتره تبدو أعمالا نهائية، لا كمصغرات تمهد لأعمال كبيرة، لم يخف جميل ملاعب عنها أي انفعال من انفعالاته. كانت صورته في اللحظة التي رسمها فيها، لذلك يمكن النظر إليها من جهة كونها عالما حيا متكاملا وليست مجرد تمارين

> كتاب «جميل ملاعب صورة ذاتية» يعترف الفنان فيه بأنه تعلم من الجميع وبالأخص معلميه الذين صاروا في ما بعد زملاء له. بعضهم صار صديقا له. يتذكرهم ويحيل إلى كل واحد منهم الشيء الذي تعلمه منه

ثقافة الرخيص

ثقافة «القط بسبعة أرواح»

هيثم الزبيدي

❑ في منتصف التسعينات، لاحظ مدربو الطيران في الغرب أن تلاميذ القوة الجوية يتعلمون التحليق والمناورة بسرعة قياسية تفوق الأجيال السابقة بكثير. شيء ما تغير في أدمغة الشباب جعلهم أكثر تأهيلا. إنها ألعاب الفيديو التي كبروا وهم يلعبونها. أصبحوا طيارين "بالفطرة". عقولهم أعادت ترتيب العصيبات الدماغية لتقوم بهذه المهمة. كانوا أيضا أكثر جرأة وإقداما.

في منتصف العقد الأول من الألفية الجديدة تطور الأمر كثيرا. كان تلاميذ التحليق والطيران اللذين لم يعودا حكرا على الطيارين، أفضل من جيل التسعينات. طيارو الطائرات من غير طيار الذين يقودون الطائرات المحلقة فوق أفغانستان والعراق واليمن كانوا أكثر براعة. ولكنهم كانوا أيضا منعدمي الإحساس بالخوف. العصيبات الدماغية لم تتغير فقط لتكون أكثر سرعة واستجابة للمشهد البصري الذي توفره الألعاب الإلكترونية، إلا أنها منحتهم إحساسا بالمنعة من الخطر.

الحياة بالنسبة إلى هؤلاء من الجيل الأول والثاني لعصر ما بعد الألعاب الإلكترونية شيء بسيط. ما إن "تقتل" على شاشة الكمبيوتر أو التلفزيون المربوط على جهاز الألعاب، حتى يبادر الجهاز إلى منحك حياة إضافية أو أكثر للاستمرار. عدوك على الشاشة أيضا لا يموت بسهولة. وإذا مات، فإنه ينط بعد دقائق واقفا ويطلق النار أو يواجهك بسيفه. الحياة اكتسبت معنى جديدا. أنت على شاشة ألعاب الفيديو "قط بسبعة أرواح".

حياتك رخيصة لأن في جعبتك خزينا من الحيوات. وحياة الأعداء رخيصة لأنهم لا يموتون بل يتجددون. أطلق النار ولا تتردد.

هذا الرخص صار سمة ثقافية حياتية نعيشها. لا أحد يحصي عدد "القتلى" على شاشات الألعاب. لا أحد يحصي عدد القتلى على شاشات الهجمات الحقيقية التي ينفذها طيارون يجلسون في تامبا في فلوريدا الأميركية في حين أن طائراتهم المسيّرة عن بعد تقتل في وزيرستان. بمرور الوقت صار عداد القتل لا يهتم بالتبرير أبدا سواء أكان القتيل عروسا في زفاف أم إرهابيا يفجر نفسه في الآخرين. وكالات الأنباء صارت تورد الأخبار في سياق مبسط وما عادت المؤسسات الإعلامية بأشكالها الورقية والتلفزيونية والإلكترونية تهتم بنشر الخبر.

هذه ثقافة خطيرة. عندما نفقد الإحساس بحيوات الناس، ماذا يبقى ذا قيمة؟

هكذا نكون قد رصدنا المشكلة. إنها ألعاب الفيديو الملعونة إذن.

هذا لا شك تبسيط مخل. المشكلة أعمق بكثير وتتعلق بثقافة الوفرة والإنتاج وثقافة ابتذال القيمة كذلك.

في الستينات والسبعينات مثلا، كان العريسان يشتريان أثاث المنزل بحرص لأنه سيعيش معهما العمر كله: الثلاجة الأميركية والتلفزيون الهولندي والراديو الياباني والغسالة الألمانية والأثاث المصنع محليا من خشب الصاج أو البلوط. التلفزيون قطعة أثاث مهمة جدا كان يتم تخصيص قطعة قماش مزركشة تغطيه خلال النهار حفاظا عليه من الغبار وترفع عنه عند استخدامه مساء (نعم كان البث التلفزيوني في المساء فقط).

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

> حياتك رخيصة لأن في جعبتك خزينا من الحيوات. وحياة الأعداء رخيصة لأنهم لا يموتون بل يتجددون. أطلق النار ولا تتردد

لها تف يوضع على رف عال جدا لكي لا يصله الأطفال. السيارة ثروة عائلية عابرة للأجيال.

في الثمانينات وصل جهاز الفيديو. كان جهازا مثيرا ولكنه كان هشا جدا كثير الأعطال. كان يزور محل تصليح الأدوات الإلكترونية كثيرا لكنه يعود معززا مكرما. التصليح، للفيديو وغير الفيديو، كان شيئا عاديا جدا ومهنة محترمة. لم نكن نرمي الأشياء. كنا نصلحها ونعتز بها. كان ضروريا أن تبقى "حية".

ثم جاء الإنتاج الرخيص القادم من شرق آسيا: هونغ كونغ وسنغافورة وماليزيا وأندونيسيا أولا ثم الغولان الصناعيان الصين وكوريا الجنوبية. فقدت الأشياء قيمتها. صار كل شيء رخيصا، بل أرخص.

لم يفكر أحد أن يصلح مشغّل الأقراص الفيديوية العاطل. كان يرمى. حاول البعض تصليح أجهزة الكمبيوتر. انتهى الأمر بأنك تستبدل الكمبيوتر حتى من دون أن يعطل. هذا كمبيوتر "قديم" رغم أن عمره لا يتجاوز عمر طفل في الروضة. انظر كيف صرنا نتعامل مع الهاتف المحمول. صار عمر الهاتف المحمول "الذكي" سنة لا أكثر، في حين كانت الأجيال الأولى "الغبية" منه تعمر لسنتين. الذكاء مشكلة. صرنا نستبدل السيارات ونرمي الأثاث (نشارة خشب مكبوسة لا قيمة لها) ونغير من تلفزيون الشاشة الكريستال إلى شاشة آل إي دي لأن الأخيرة أكثر بريقا.

هذه الوفرة في كل شيء زحفت على المنتج الثقافي. استبدل التلفزيون الكتاب أولا، ثم غرق التلفزيون نفسه بعدد كبير من القنوات. حيرتنا كبيرة في اختيار مسلسل رمضان المفضل الذي سنتابعه. الفضائيات أمطرتنا برامج منوعة وترفيهية. ما نذكره من الأغاني هو ما تختزنه ذاكرتنا من أيام الراديو أو الكاسيت الذي لا ينفك عن التكرار.

ثقافة الرخص بددت قيمة الأشياء مثلما بددت ثقافة الألعاب الإلكترونية قيمة الحياة. يبدو أن من المبالغة افتراض وجود الفرق.

* كاتب من العراق مقيم في لندن

حين يرحل هؤلاء

نائل بلعاوي

❑ لم يكتشف العالم طبيعة الجرائم التي ارتكبتها ألمانيا النازية على امتداد سنوات الحرب الكونية الثانية 1939/1945. ولم يعرف أعداد ضحاياها وطرائق تعذيبهم وقتلهم، إلا بانتهاء الحرب رسمياً، حين راحت القوى المنتصرة آنذاك تعد العدة لمحاكمة القتلة الألمان، وهو الأمر الذي ستجري وقائعه اعتباراً من نهاية العام 1945 إلى منتصف العام 1949 في مدينة نورينبيرغ التي أعطت لتلك المحاكمات اسمها وأدخلتها التاريخ بتلك العلامة القانونية الفارقة: محاكمات نورينبيرغ.

> نحن لا نعرف الشيء الكثير عن المأساة هناك ولا نعرف بالضبط أعداد ضحاياها وعلينا، كما كان على الألمان من قبلنا، أن ننتظر لحظة ذهاب هذا النظام

في قصر العدل الذي يتوسط المدينة الألمانية الشهيرة سوف يعرف قضاة المحكمة يومها، ويعرف العالم من خلفهم، حجم الكارثة الفعلي ووحشية تفاصيلها: الاعتقال التعسفي لكل من تختلف رؤاه مع توجهات النظام النازي. التجويع والتعذيب في معسكرات التجميع الشهيرة بقصد القتل. تصفية الأقليات الإثنية بوسائل همجية ومنظمة. إلى آخر قائمة الرعب التي تم اختصارها بمفردة واحدة: الهلوكوست.

كان على العالم أن ينتظر حينها لحظات ما بعد الحرب ليعرف ويرى ويسمع حيثيات الفاجعة ولا حدود بشاعتها. كان عليه الانتظار لسنوات ست ثقيلة ليدرك قدرات الآدمي على اجتراح ما يصعب تصديقه من طرائق للفتك بأبناء جنسه. وما يصعب احتسابه فعلا بالناتج المنطقي لعقل عادي وسليم!

كان لا بد وأن تضع الحرب أوزارها لنعرف حجم جنونها. كان لا بد وأن يرحل القتلة لنعرف كيفية رجوع الآدمي إلى ما قبل حداثته الأولى.. قبل اكتشاف النار! إذ كيف يمكن للعالم معرفة الأبعاد الفعلية للجريمة حال وقوعها؟ كيف يمكن للألماني، آنذاك، الوصول إلى حقيقة أن جاره في الطابق العلوي من العمارة قد تم اعتقاله ليلا.. وأنه لن يعود؟ وأن بائعة الخضار في نهاية الشارع قد اغتصبت في قبو لعين للجستابو، ثم عذبت وقتلت وأحرقت جثتها؟

كان من الصعب على الألماني معرفة الحقائق/الجرائم أثناء وقوعها أو بعد ذلك بقليل، إذ لم تكن وسائل نقل المعلومات والأحداث قد وصلت، ولا حتى اقتربت، مما وصلت إليه اليوم. ولم تكن قد وضعت الضمير الإنساني الجمعي في هذا المأزق الأخلاقي العظيم وغير المسبوق: مشاهدة الجريمة لحظة بلحظة والعجز عن إيقافها!

اليوم، في حمى وسائل النقل المباشر للوقائع والكوارث، نشاهد الطائرة المحملة بأسباب الموت وهي تصبّ جحيمها فوق الأحياء الفقيرة والمدمّرة أصلا في حمص أو حماة. نشاهد الآثار المرعبة لسقوط البراميل الوحشية في الريف الدمشقي. وكأننا نشم الغبار الثقيل الناجم عن ارتطامها بالأرض.. نشم روائح الأجساد البريئة وهي تحترق.

اليوم، بفضل هذه الثورة العلمية التي حولت الأرض إلى قرية صغيرة فعلا لا مجازاً، نستطيع التعرف عن قرب على تفاصيل المقتلة. نعرف للمرة الأولى كيف يكون الألم. كيف يكون الموت وحشياً وكيف يقع. ونعرف الضحايا، نراقب ملامحهم لحظة تقترب سكاكين الظلام من أعناقهم. نسمع وقع السياط على ظهور الذين يعذبهم الطغاة في سجونهم. ونسجل كل هذا وذاك. نوثقه. نعد الأرقام التي تزيد كل يوم وننشر الصور على صفحات التواصل الاجتماعي وفي المواقع الإلكترونية التي لا تعد. نقوم بما علينا، نحن الذين نراقب الفاجعة من بعيد، القيام به: رصد الجريمة وانتظار نهاية طالت لها.

ولكن، على الرغم من كل هذا الأرشيف الكبير الذي نتابع ونجمع تفاصيله الجهنمية في سوريا الآن، تبدو الحقيقة ناقصة وغير دقيقة تماماً. فمن منا، في الداخل السوري المنكوب بموته اليومي. أو في الخارج المنكوب بصمته. يعرف ما يدور من وقائع مدوية على الأرض حقاً؟

من يحصي الأعداد على حقيقتها؟

كم تخلف براميل الموت من قتلى عند سقوطها فوق الأحياء البائسة والفقيرة؟

إلى أيّ سقف وصلت أرقام الضحايا فعلاً؟

نحن لا نعرف الشيء الكثير عن المأساة هناك ولا نعرف بالضبط أعداد ضحاياها وعلينا، كما كان على الألمان من قبلنا، أن ننتظر لحظة ذهاب هذا النظام الذي جاء وتسبب بكل هذا الرعب إلى مكانه الطبيعي والمنتظر: الجحيم. فساعتها فقط يمكن للعالم ولنا معرفة الحجم الحقيقي لأعداد الذين تم الفتك بحيواتهم في سوريا.

ساعتها فقط ستعرف البشرية الصامتة إلى الآن وعلى هذا النحو القبيح والمريب أن نظاماً وحشي الأدوات والتكوين قد استعاد ما كان لتلك النازية من صلف وعنف ومن قدرات مريضة على الاستهانة بأرواح البشر.

علينا للأسف انتظار موعد الخاتمة لهذه المقتلة لنعرف أبعادها وتفاصيلها وأعداد قتلاها. ولنعرف أكثر أن الاستبداد، حين يتوحش ويفلت من عقاله، لا بد وأن يجيء بمثل هذا النظام الوحشي.

علينا انتظار يوم يذهب هؤلاء القتلة إلى مصيرهم الحتمي والوحيد: مصير من سبقهم في نورينبيرغ، لنعرف وجه الحقيقة كاملا وبلا رتوش وأكاذيب.. تلك الحقيقة المدفونة الآن تحت الركام الذي تصنعه الطائرات المغيرة على الأحياء والعمران من درعا إلى حلب.

* كاتب من فلسطين مقيم في فيينا

كيف نكتب سيرتنا

لطفية الدليمي

❑ كتب السيرة العربية في معظمها مملة باردة محشوة بتفاصيل لا قيمة لها، بالنسبة إلى ساردها وقارئها، وتتحدث غالبا عن أشياء من خارج الشخصية وامتداداتها وعلاقاتها الاجتماعية دون الولوج إلى أعماق النفس وكشف بواطنها وميولها وكبواتها وأخطائها، وفي أغلب كتب السيرة العربية نعثر على قائمات وتواريخ تحيل السيرة إلى سجل حكومي وتاريخي للأحداث دون أن يتعمق كاتب السيرة إلى جوانب تحليلية للحدث أو يقدم تفسيراته الذاتية وموقفه مما يجري فتغدو السيرة أقرب إلى تقرير وظيفي عن حياة ملائكية أفقية دون غوص في عمق نفسي أو مجتمعي، ويغلب الوصف السطحي والإطراء المجاني على الأفق الشخصي والقناعات الفكرية والهواجس والمخاوف وكأننا إزاء تقرير إخباري عن شخصية أخرى غير الكاتب الذي نتوق لمعرفة مواقفه ومكابداته الروحية والفكرية.

تقول الروائية الفرنسية آني آرنو "إن ضمير المتكلم المفرد هو علامة السيرة الذاتية لكنه أيضا وسيلة لأن نروي عن العالم المحيط بنا شرط أن لا يتعلق الأمر بسيرة ذاتية تركز بطريقة غبية على الجانب الذاتي الظاهري فقط، فأنا استخدم صور الذاكرة وشذرات اليوميات لأتمكن من التعبير عن الحميمي الشخصي والتاريخي في آن معا وعن تحولات الحياة والذاكرة" بينما تكتب الفريدا يلينيك سيرتها الذاتية بصيغة روائية في رواية (عازفة البيانو) وتبدو الفريدا حاضرة في كل عبارة وكل كلمة ويراها القارئ ويحسها باستمرار فهي تخاطب قراءها مباشرة ثم تبقى خارج القصة عن قصد وتصميم ثم تقول عن بطلة روايتها عازفة البيانو (ايريكا هي الفتاة التي كنتها) وفي روايات يلينيك يتراجع الحدث إلى الخلفية بينما تتصدر التفاصيل التي يعنى بها كتاب السيرة والمذكرات.

وتعترف (دوريس ليسينغ) إن رواياتها المهمة (مذكرات من نجا)، إنما هي محاولة في السيرة الذاتية حيث تعرض فيها مشاهد من طفولتها لتمثلها بشخصية الطفلة واليافعة والمراهقة (اميلي) وأنها استخدمت مشاكل طفولتها وكوابيسها وهلوساتها في تدوين هذه الرواية.

ويصرح (لوكليزيو) أن روايته (الباحث عن الذهب) هي سيرة ذاتية أكثر منها رواية إذ تعتمد في معظم فصولها على تفاصيل من حياته مع عائلته في جزر موريشيوس، وتنطبق على الشخصية الرئيسية جميع الصفات التي تتسم بها شخصية لوكليزيو.

على الجانب العربي لا نجد روائية واحدة أو روائيا واحدا يعترف بأن في رواياته ظلالا من السيرة الذاتية فالكل عندنا يتخفى وراء مثالية مفرطة يتجنب معها أن ينسب لنفسه خطايا بطل من أبطاله، ويعود ذلك إلى أسباب أساسية في تكوين الشخصية العربية والمسلمة وهي النزعة (الجوانية) السرانية والغنوصية التي تحتفي بها الاخلاقيات الاجتماعية الشرقية، بينما تنفتح الشخصية الغربية على فكرة (الاعتراف) انطلاقا من مرجعياتها الديني، فالغربي يعترف ويبوح ويعلن ليشفى ويرتاح ضميره أما الشرقي العربي فينغلق ويكتم لتتعقد حياته. فشعوبنا منطوية على أسرارها ومغلقة على خطاياها، نحن جوانيون والغربيون منفتحون، فنجد كتب السيرة العربية منمقة الى أبعد الحدود ومشذبة مثل حديقة هندسية استخدم فيها المزارع مبيدات أخلاقية قضت على العفوية والتلقائية وتغافلت عن عمر التفتح والشهوات والخبرات الروحية والجسدية الأولى. ونعثر في كتب السيرة الغربية على ما يشبه غابة طبيعية فيها الضوء والظل والأفاعي والقنافذ والينابيع ومواسم التزاوج والجنس والأهواء الإنسانية والنزوات والتكاثر ومواجهة المخاطر، بينما يكتب العربي سيرته وكأنه يتعاطى مع ملاك سماوي مجنح ومبرأ من كل إثم وخطيئة.

* كاتبة من العراق مقيمة في عمان

سلمى الخضراء الجيوسي: أمة عربية يتيمة

أصبحنا في مصيدة التاريخ ولابد من قرع الجرس

علم من أعلام الثقافة العربية المعاصرة، أديبة وشاعرة وناقدة ومترجمة أكاديمية فلسطينية. ولدت عام 1928 من أب فلسطيني وأم لبنانية في السلط شرقي الأردن. ترعرعت في مدينة عكا وفي القدس. نشأت في فلسطين، بعد نكبة 48 عاشت في الأردن.
درست الثانوية في كلية شميت الألمانية بالقدس، ثم درست الأدبين العربي والإنكليزي في الجامعة الأميركية في بيروت وحصلت على درجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة لندن.
أقامت في عدد من البلدان العربية والأوروبية، ودرّست في جامعات الخرطوم والجزائر وقسنطينة، ثم سافرت إلى أميركا لتدرّس في جامعاتها إلى أن أسست عام 1980 مشروع "بروتا" لنقل الأدب والثقافة العربية إلى العالم الأنغلوسكسوني، وقد أنتجت "بروتا" الموسوعات، وكتبا في الحضارة العربية الإسلامية، وروايات ومسرحيات وسيراً شعبية وغيرها.
نشرت شعرها في العديد من المجلات العربية. ولها ديوان وحيد مطبوع: "العودة من النبع الحالم" 1960.
مؤلفاتها: إلى جانب مقالاتها المتنوعة كتبت باللغة الإنكليزية، ومن بين أبرزها السفر النقدي الذي يؤرخ للتطورات الحديثة في الشعر العربي تحت عنوان "الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث".
حصلت على عدد من الزمالات من الجامعات الأميركية، وعلى وسام القدس للإنجاز الأدبي1990، ووسام اتحاد المرأة الفلسطينية الأميركية للخدمة الوطنية المتفوقة 1991.
بنبرة رسالية، ميزت صوتها لنصف قرن، تقرع سلمى الخضراء الجيوسي جرس الخطر وبصوت ينزف أسىً تتسابل عن سر تلاشي النخب بإزاء انفراط عقد العرب، وتقهقرهم في حاضر مشتعل، وكأنهم في لحظة غروب وجودي. والحوار مع سلمى يذهب في دروب شتى ويتناول موقفها من جملة القضايا الأدبية والفكرية العربية الشاغلة اليوم، ومنمنظور نقدي تتوقف، خصوصاً، عند بعض الأحكام والتصورات النقدية الخاطئة التي شاعت في حياة الثقافة العربية على مدار القرن العشرين، وتعنى بصورة العرب ومكانة الثقافة العربية لدى الآخر الغربي وما يحيط بترجمة الأدب من إشكاليات ومشكلات ويحاضر ثقافة العربية ومستقبلها.

سلمى الخضراء الجيوسي تقرع ناقوس الخطر وتدعو الى تدبر العرب ثقافة وانسانا

أجرى الحوار نوري الجراح

الحداثة والوحدة

الجديد: لماذا تدهورت أحوال العرب حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من انحطاط وعجز وانسحاق أمام أعداء الأمة، وما هو السبيل للخروج من هذه المحن؟

سلمى الخضراء الجيوسي: بدأت أحوال التشرذم، الاتحاد قوة عجيبة وتفتيت الوطن رحلة نحو التلاشي والانهيار، ها هو العالم، اليوم، يعجّ بالحروب الأهلية، وصدق أن يكون أقوى الأمم الحاكمة، وصدق أن يكون هذا هو المؤرخ جالوديوس، وكان رجلا عالما باحثا، وكانت روما قد وصلت إلى الحضيض، فأوصى كلوديوس بعد تسلم إدارة الدولة أن يعطى حكم روما من بعده إلى نيرو، (وكان نيرو الصغير بنيرون عندنا مجرما آخر وأسوأ من كاليغيولا) قائلا ما معناه "لن يتقشع روما حتى تموت ومن أقدر من نيرو ليقضي عليها؟" وأحرقها نيرو.

الجديد: كانت، يا سلمى تريدين أن تقولي إننا وصلنا إلى الدرجة الأحط في تاريخنا، وإننا قاب قوسين أو أدنى من الغروب؟

سلمى الخضراء الجيوسي: نعم، لأننا نحن وصلنا هذه المحطة، ووصلنا نقطة الخطر يا نوري. كل استلقت تومي بهذا، وكل احزأن القلب. عالمنا العربي يعاني من خطر كبير داهم. لكن باسنا مازال حقيقة موجودة في مكان ما. وهذا زمن المفكرين. نحن نحتاج إلى تغيير شاسع وهذا لا يقوم من دون فكر حديث رفيع الثقافة لا يدور إلا حول الوطن العربي الكبير ومصلحته الأولى وينسى طموحات الأفراد الشخصية. العرب لم يتخلصوا من طموحاتهم الشخصية، مع الأسف الشديد. دائما المصلحة الخاصة تتغلب.

الجديد: سلمى، مادمت تتحدثين عن الفكرة العربية، وهي سراج فكرك وتطلعك وعملك على مدار أكثر من نصف قرن من النشاط اليومي في صلب الثقافة العربية وعلى مفترق علاقتها بثقافات العالم، كأني بك تستعيدين رماد صديقك نديم البيطار الذي أوصى بأن يذرّ رماد جسده هو اللبناني العربي على الحدود المصرية الليبية، كيف يمكننا أن نستخرج من رماد حملة الفكرة طائر الفينيق العربي وقد انفض عن الفكرة أغلالها؟

سلمى الخضراء الجيوسي: كانك تسكن في كتابي، أول أمس فقط كنت أراجع بعض كتابات المفكر الكبير نديم البيطار فهالني أن يكون مفكر وحدوي كنديم البيطار اسما منسيا في هذا العالم العربي الواسع. إنه المثل الأعلى للفكر اللامع النقي، بنى فكره على مخطط وحدوي علمي مكين وتحدث لنا عن تجارب أمم متعددة اختارت الوحدة واصبحت دولا لها شأن. عذبني كثيرا أن يكون فكره النافذ قد وُضع اليوم على الرف. تعرفت عليه في أواسط الستينات في بيروت في بيت جورج حبش، ذلك الوطني النقي الآخر. وتحدثنا عن أوضاعنا ساعة من الزمن فتحدس نديم وفتح حقيبته وأخرج منها كتابا ضخما قدمه إليّ هدية. كان كتابه الفاتح، "الأيديولوجية الانقلابية". أخذته إلى بيت أختي وأنا ضيفة عليها فلم أرفع رأسي إليها حتى قرأته، ثم كتبت دراستين عنه وتصادقنا نديم وأنا. والتقينا كثيرا وكان نديم يريدني أن أعمل معه طول الوقت، بذلك التكريس الكامل الذي اشتهر به والذي أنسه بي. أنا حاولت ذلك كثيرا، فكان تعلقي بالأدب العربي والرغبة في خدمته تمنع عني التكريس الكامل للعمل السياسي. حزنت كثيرا لاكتشافي أن ثمة شيئا أخر يحول دون تكريسي الكبير لخدمة فكرة الوحدة. فقد كانت مقدسة عندي، أختها عن أبي وكان أبي دائما المثل الأعلى لي لمن يكرّس عمره لخدمة فكرة كبيرة يحتاجها الوطن. حدّثت نديم بذلك فلم يقتنع به، وهل من الممكن أن يقتنع مفكر اعتنق فكرة كبيرة بأن ثمة ما يُعلي عليها؟

غير أن القضية لم تكن عندي قضية مفاضلة، فلا سبيل يعلو على فكرة الوحدة واهميتها، ولكني أظن أن الأمر كان يتعلق بقضية العمل المتقن، والتزامي بمحاولته، وإدراكي أن أفضل جهد أقدّمه هو جهدي في خدمة الأدب. وأظن أن عملي بعد ذلك في مشروع بروتا وتقييمي لعشر أنطولوجيات كبيرة وعدد من الكتب الفكرية وعدد أكبر من الكتب الإبداعية المترجمة إلى الإنكليزية برهن على ذلك. ودوما كان شعاري "كرّس جهدك دائما لما تتقنّ".

بعد ذلك سنوات عندما كنت أدرّس في جامعة الخرطوم جاءني الشاعر محمد المهدي المجذوب كبير شعراء السودان يومئذ، جاءني متحمسا وقال لي "أريدك أن تتعرفي على شخصية فذة، رجل يحاول تغيير العالم" أخذني إلى مجلس محمود محمد طه، فدخلنا إلى ديوان ضيق عامر بالبخور لم أستطع فتح عينيّ فيه كما يجب لكثافة جوّه. وتحدثنا عن الحياة العربية طويلا. بعدها بثلاثة أيام جاءني المجذوب وأصر عليّ أخذي مجدداً لمجلس ذلك الرجل الفذ الذي كانوا يلقبونه بالأستاذ "الأستاذ يريد أن يراك مرة أخرى". فدخلنا إلى المكان نفسه العامر بالبخور وتحدثنا طويلا. وفي نهاية الجلسة قال لي الأستاذ محمود "تعالي واعملي معي. أنا أعرف كم حبك للأدب، ولكن ثمة مئات المختصين به، أما عملنا السياسي فقلة يستطيعونه. تعالي اعملي معي". وكرر دعوته في لقاءات متعددة لاحقة، لا أنكر الآن أنني أشرفت عليها بومذاك، حدثت حوارات لي مع عدد من كبار أساتذة الجامعة ولم أدهش أبدا، ولكنني اغتبطتُ، مرارا، بينما كانوا يتحدثون لي عنك، وعن تجربة الأدبية والمؤثرة هناك.. كيف تستعيدين تلك التجربة؟

سلمى الخضراء الجيوسي: بهمني، الآن، لاعتبارات حديثنا أن استرجع خلال إقامتي في الخرطوم كيف تكررت إمكانات المرأة" ويضحك المجذوب ويتابع ترقبه.

تجربة السودان

تجربتك الأكاديمية في السودان كانت مؤثرة في جيل كامل من المثقفين. خلال عملي مع أكاديمي جامعة الخرطوم في 2005 أثناء تحضيري لندوة "الرحالة العرب والمسلمون" التي أشرفت عليها بومذاك، حدثت حوارات كثيرة حول الجيولية قال لي الأستاذ محمود "تعالي واعملي معي. أنا أعرف كم حبك للأدب، ولكن ثمة مئات المختصين به، أما عملنا السياسي فقلة يستطيعونه. تعالي اعملي معي"، وكرر دعوته في لقاءات متعددة لاحقة، لا أنكر الآن أنني أشرفت عليها بومذاك، حدثت حوارات لي مع عدد من كبار أساتذة الجامعة ولم أدهش أبدا، ولكنني اغتبطتُ، مرارا، بينما كانوا يتحدثون لي عنك، وعن تجربة الأدبية والمؤثرة هناك.. كيف تستعيدين تلك التجربة؟

سلمى الخضراء الجيوسي: بهمني، الآن، لاعتبارات حديثنا أن استرجع خلال إقامتي في الخرطوم كيف تكررت إمكانات المرأة" ويضحك المجذوب ويتابع ترقبه.

تجربة السودان

تجربتك الأكاديمية في السودان كانت مؤثرة في جيل كامل من المثقفين. خلال عملي مع أكاديمي جامعة الخرطوم في 2005 أثناء تحضيري لندوة "الرحالة العرب والمسلمون" التي أشرفت عليها بومذاك، حدثت حوارات لي مع عدد من كبار أساتذة الجامعة ولم أدهش أبدا، ولكنني اغتبطتُ، مرارا، بينما كانوا يتحدثون لي عنك، وعن تجربة الأدبية والمؤثرة هناك.. كيف تستعيدين تلك التجربة؟

سلمى الخضراء الجيوسي: بهمني، الآن، لاعتبارات حديثنا أن استرجع خلال إقامتي في الخرطوم كيف تكررت

> الزمن أصبح عدونا نحن العرب الآن. لقد وقعنا في مصيدة التاريخ ولن ينجبنا إلا معجزة كبيرة

يحترم من هو مختلف عنه، فقد كان تفكيره يؤول إلى الدين، وكان تفكيري دائما علمانيا. ولكننا بقينا على أخوّة جميلة.

هذا أتذكره دائما هذه الأيام عندما أواجه أمواج الكراهيات المذهبية والسياسية عند الآخرين وانافاتش، بصبر نافد، كل الآراء المجهضة التي أصبحت تعمر بها اجتماعاتنا بالناس. حزنت كثيرا لإعدام طه، جزء من بربرية متخلفة تحاصر الفكر وتمنع الكلام. ولما كنت أعد كتابي الكبير عن "حقوق الإنسان في الفكر العربي" بحثت عن ورثته كثيراً إيفاء وتقديرا لجهده الفكري حتى تمكنت من الوصول إلى ابنته، وقادني الاتصال بها إلى الدكتور نور حمد، وبينه وبين الأستاذ مصاهرة، فكتب لي دراسة عن فكر محمود محمد طه السياسي لكتابي عن حقوق الإنسان الذي نشرتُه باللغتين وصدرت طبعته العربية سنة 2002 وطبعته الإنكليزية سنة 2009.

الديني واللاديني

الجديد: سقطت نظريات كثيرة في العالم وسقطت معها الأيديولوجيات الكبرى، فتقهقر البشر إلى السرديات الدينية يملأون بها الفراغ الفكري. والنتيجة صراعات دينية في المنطقة، والصراع الحقيقي تحت قشرة الواقع هو صراع بين العقل والخرافة وبين العلم والجهل وبين الحرية والاستبداد. كيف يبدو لك هذا التقهقر قياسا على نشاتك وتربيتك وملاحظاتك المبكرة؟

سلمى الخضراء الجيوسي: دعني أعود لاستحضر أيام الصبا في القدس والتي لا أستطيع أن أنساها. كانت القدس في صباي تسير نحو حداثة أكيدة، منفتحة، عامرة بالخير والأمل.

لم تكن تعتمد التفسير الديني لكل شيء ولم تكن تعتمد على مشيخة الفكر وإخضاعه للخرافة والتكفير وتحريم كل ما هو حديث. كان كل شيء في مكانه، أمينا على زمنه، يحترم حتى المتدينون جدا الحرية الشخصية في تبني الفكر الحديث وأساليب الحياة أو عدم تبنيها. كان عمّي مندنبا جدا، زوجته ترتدي المالاية، وكنا نحن سافرات، ولم نصطدم قط معهم، فلا نحن انتقدنا أسلوبهم في الحياة ولا هم انتقدوا أسلوبنا. كان عند الجيل الصاعد شوق كبير إلى الدخول إلى العالم الحديث. وما كان ممكنا أن تعيش بيننا الأفكار التكفيرية والخرافات الدينية والمعتقدات الخالية من العقلانية. لست أذكر أني شاهدت مرة أحدا صراعا بين الناس على مذهبهم. فهذا شيعي وهذا درزي وهذا سني وهذا مسيحي وهذا إيراني وكل شيء في مكانه.

جميع هذه المذاهب تواجدت مرة في غرفة استقبال واحدة في حي النمامرة في القدس، البقعا التحتا في بيت سيدة مسلمة من أصل يهودي. وكنت أنا قد ذهبت بخبر إلى أمي وهي تزورهم، وشاهدت كيف استقبلت جماعة النساء قصة حادث لم أعد أذكر تفاصيله بطلته امرأة اقترفت جرما ما.

قالت رواية القصة إنها كانت مسلمة سنية، فشهقت بعض النساء، فقالت الراوية "العفو، كانت شيعية"، فشهقت سيدة أخرى، فقالت الراوية "عفوكم يا جماعة، كانت مسيحية"، فشهقت سيدة ثالثة، فقالت الراوية "عفوكم، الكبر ينسى، تلك السيدة كانت درزية". فشهقت جميع السيدات احتراما لوالدتي، لأن والدتي كانت من عائلة لبنانية درزية، وانفجرت الغرفة بالضحك.

فانظر كيف تقبلت السيدات ذلك التنوع في المذاهب بطيب خاطر، وكيف انفجرن بالضحك على تعايش كل هذه المذاهب معا بسلام ومحبة في غرفة واحدة. انظر إلى طبية القلب وتقبّل الآخر. وما يحدث الآن بدل على تراجع مخيف.

خطوط حمراء

الجديد: هل هناك حقا سبيل لتخليص الفكر من الوقائع التراجيدية وعزله عنها، وتخليص أسئلة الثقافة من المأساة الجارية؟ هل هذا شيء ممكن؟ علميني يا سيدتي أعطيني الضوء لأعرف كيف أفصل بينهما. أو أجيبي عن الأسئلة الجارحة.. كيف نخرج من الحفرة؟

سلمى الخضراء الجيوسي: الوضع صعب جدا يا عزيزي نوري والحفرة التي وقعنا فيها عميقة ومحاطة بالشوك. ولكن يجب أن نخرج منها. لا مجال لتأجيل ذلك. السقطة الخطرة تعيد تركيبة فشلها إذا لم نلتفت إليها. ولكن لكي تنجح أيّ محاولة علينا إعمار هذا الخراب بأن نكون مجهّزين فكريا لما تحتاجه هذه الأمة. لا بديل عن الاستعداد الفكري المدروس الواعد الحكيم الذي يعنى بالأمة لا بالأفراد، الذي يرفض التقسيم في أيّ مكان من الوطن العربي، الذي ينكر العداوات المذهبية، الذي يعامل المرأة كشخص مستقل كامل، الذي يقرأ الخطوط الحمراء. دعنا هنا نعيد قراءتها:

1 – كل ما يتحدث عن الإقليمية وكأنها وضع نهائي: خط أحمر.

2 – كل ما يتحدث عن أيّ تقسيم ولو لشبر من الوطن: خط أحمر.

3 – كل ما يتحدث عن المذهبية: خط أحمر.

4 – كل ما يعيق المرأة العربية عن دخول الحياة الحرة: خط أحمر.

5 – كل ما يعيق الإنسان عندنا من الرؤيا الحداثية على كل صعيد: خط أحمر.

ولكن حتى لو حرصنا على هذه الشروط سيظل وضعنا مقلقلا حائرا ما لم يرفدنا الفكر السليم النافذ الذي الراجح المبني على العلم وعلى حداثة الرؤيا بمخطط فكري شامل يرفدنا، ولن يصلح شيء سواه.

بهذا يمكننا أن ننفذ من الويل الهاجم علينا.

قضية الإرهاق

الجديد: لنتحدث في انجازاتك من بينها انطولوجيا شعرية عربية بالإنكليزية تغطي قرنا من الشعر العربي هل تشعرين أننا في حاجة إلى أنطولوجيا جديدة تغطي شيئا جديداً في الشعر وتكشفه للعالم؟

سلمى الخضراء الجيوسي: العصر الأدبي الحديث عندنا يتميز بتلاحق الإبداع ومحاولة دائمة لابتكار الجديد ولذا فإن القيام بترجمة متتالية للإبداع العربي يبدو أمرا جديرا بالمتابعة. ما يجب الحرص عليه هو دقة الانتخاب فلا يعرض علىّ العالم (بما في ذلك على العالم العربي نفسه) إلا الجيد. في منتصف القرن الماضي كان الوضع أكثر دقة وحرصا على مناصرة الأجود، ثم انفتح صنبور الاختيار على شعث، ولم يعد الذوق الأدبي على نفس المستوى، لسبب أو لآخر. لعل أحد الأسباب هو انقسام العالم العربي إلى حيثيات متعددة فتتشبث الأقطار بمن تعتقد أنهم أهم مبدعيها وتفرضهم على القارئ العربي عامة.

من المهم أن يدرك المهتمون بقضية الإبداع العربي أن الأدب عندما يكون معافىً، يخضع، في كل أجناسه الأدبية، إلى القانون الفني الذي يتبطن جميع التغيّرات في الفن والحياة وهو قانون الإرهاق الذي يصيب جميع التجارب، كل شيء عرضة إلى الإرهاق. فحتى النبات والحجر عرضة له فهو لا ينحصر بالإنسان. الإرهاق يكمن وراء كل تغيير. فنحن نخضع له خضوعا خارجا عنا لأن كل شيء يهاجم عافيتنا الداخلية ويبدد قدرتنا على الاستمرار ويتمكن، دون أن نلحظ نحن، من إدخال الضجر إلى نفوسنا من الشيء المعيّن فنبتعد عنه عفويا.

السؤال الذي استبدّ بي عندما أدركت ما يفعله الإرهاق في النفس هو: كيف استمرّ الشعر العربي قرونا طويلة خاضعا لشكل معين هو شكل الشطرين وكيف بقي الق هذا الشكل في النفوس دون أن يدخل الإرهاق الجمالي إليها؟ فحتى الآن وبعد أن وجد الشعراء العرب أشكالا جديدة لشعرهم، يظل ثمة افتتان بهذا الشكل وقافيته الموحّدة ولذة في سماعه.

وأظن أن الإجابة على ذلك هي أن لهذا الشكل جمالا فنيا من ذلك النوع الذي لا تتلاشى جمالياته وتأثيرها في النفس مع الزمن. وهو أمر ملازم للفنون الجميلة جميعها والكامن وراء استمرار الإعجاب بها عبر القرون.

الشعر العربي في تاريخه الطويل خضع، بدرجات متفاوتة، لشروط الإرهاق في عناصره المتعددة وأهمها المعنى، واللغة، والصورة. هذه حدث فيها تغيير مستمر على مر الزمن ولكن الشكل بقي محافظا قرونا طويلة على جماله وقدرته على التأثير على المستمع دون أن يصيبه الإرهاق الجمالي.

البوكر العربية

خذي مثلا جائزة البوكر العربية (ولا أعرف ما حسن الابتكار باستعمال اسم جائزة غير عربية لأرقى جوائزنا؟ ألم يعد لدينا أي اسم يصلح لهذا المقام؟). لقد وجدت انتقاء الفائزين غير موفق أحيانا. ووجدت الميل لتفضيل الكتابة الحافلة بالكآبة أو بتصوير الهجين والملوّث والحياة المضطربة والشخصيات الهشة والعلاقات المارقة يتغلب على كل ما هو منعش وواعد ونقي.

الحياة العربية المعاصرة، على إشكالاتها الكثيرة، وبسبب هذه الإشكالات، تحتاج إلى نوع جديد من الإيمان بإمكان الخير والصفاء التغلب على كل هذا الخراب. لقد بدا نجيب محفوظ بعض رواياته بهذا النهج المعتم فلا تحتوي هذه الروايات ومنها "ثرثرة فوق النيل" على شخصية رئيسية واحدة عامرة بالخير ولا نرى في جلّها إلا دروب الشر وتهافت البشر. صحيح إن محفوظ خدم قضية الرواية خدمة سبّاقة فهو الذي أرسى قواعدها كفنّ لم يكن قبله قد وجد له قاعدة في الأدب العربي الحديث، وإنه على هذا الإنجاز الكبير لا على محتوى رواياته استحقّ جائزة نوبل. إلا أنه أرسى أيضا هذا الاتجاه السلبي نحو ما هو متهافت حد الجريمة أحيانا فتغلب هذا المنحى حتى اليوم على عدد كبير من الروايات العربية.

ترحيب كبير

الجديد: ما طبيعة المصاعب التي واجهتك في نشر الأعمال التي قدمتها بالإنكليزية، لا سيما في ظل جهل عالمي كبير بقيمة الأدب العربي؟ وهل كان من السهل عليك العثور على ناشرين؟

سلمى الخضراء الجيوسي: أعترف أن النشر في أميركا كان بالنسبة إليّ سهلا كالحلم. لم أبحث قط عن ناشر لأيّ مجموعة أو كتاب أعددته. كنت أعمل على سد فراغ واسع وكان العالم يشعر منطقيا بأن ثمة كارثة حلت ذات يوم بأدب هذه الأمة العربية الكبيرة فاختفى ألقه. وساعد على هذا إنكار العرب أنفسهم لأدبهم وتراثهم فضاع منا كل شيء. نشأ جيلي لا يعرف أبعاد هذه الجريمة بل صدّق أغلبنا هذه الأقاويل التي شاعت حول التراث ولم يدهشه غيابنا الأدبي والثقافي عن العالم. نعم، كان النشر سهلا، وكانت أعمالنا مطلوبة ولم أعانِ قط من قضية النشر. مما يدل على أن الشيء الذي تحتاج إليه المكتبة العالمية سيجد دائما طريقا إليها إذا كان الانضباط الأسلوبي واختيار الموضوع موفقين. المهم في مادة النشر أن تكون ذات قيمة فنية وإنسانية ولا تخضع لشيء آخر.

صقلية العربية

الجديد: أعرف أنك تعدين عملا موسوعيا مهما عن صقلية العربية. حدّثينا عن هذا العمل؟

سلمى الخضراء الجيوسي: لا بد أنك تعرفين كتابي عن الأندلس (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس). هذا الكتاب الذي صدر سنة 1992 لتحريس مرور خمسمئة سنة على سقوط الوجود الإسلامي الرسمي في الأندلس نال نجاحا كبيرا. وعملت بعده على كتاب صقلية بمساندة من مؤسسة محمد بن راشد في دبي وأنجزته منذ أكثر من سنتين. والكتاب يتحدث عن جميع مرافق الحياة في صقلية الإسلامية فكما تعلمين أنا لا أترك، إن استطعت، منحىً من مناحي الحضارة العربية السامقة دون إبرازه.

> ليس أسوأ وأخطر على حضارة أي أمة من تسلط من كان أقل مدنية منها عليها بحكم قوة السلاح أو المال

هذا الكتاب عن صقلية الإسلامية تعبت عليه كثيرا وهدفي أن ينال النجاح الذي ناله كتابي عن الأندلس. إذ لن على هذا الكتاب طلبا مستمرا لشمولية معالجته ومشاركة أفضل المختصين بالمواضيع المختلفة التي تناولها. كتاب صقلية جاء مثله مع تعب كبير، لأن المختصين بصقلية كانوا أقل بكثير من أولئك المختصين بالأندلس.

انتهيت من العمل على كتاب صقلية منذ أكثر من سنتين، ولكن العمل ما زال لم ينشر عن أن الناشر الكبير نفسه الذي نشر كتابي عن الأندلس كان وما زال بانتظاره، ذلك لأني حسب العقد مع الرعاة سلمتهم الكتاب لدى الانتهاء منه ليشروه، ولكنهم ولكونهم في ظني يرعون، عدديا، مشاريع كثيرة تأخر كتاب صقلية، وأصبحنا الآن مهددين بخسران كبير إذا سحب عدد من الباحثين العرب والأجانب الذين كتبوا لنا فيه دراساتهم ونشروها عند ناشر آخر، وهم يطالبون بنشره باستمرار.

لقد أوجد هذا التأخير فيّ حذرا جديدا لم أعرفه من قبل من الاستمرار بهذا العمل الملزم، أنا التي بدأت به وأعلنته ووجدت أكبر سند معنوي له من كتابنا ومبدعينا.

والواقع أنني دخلت إلى هذه المعركة وحدي في البدء، وعملت بقوة وثقة ونشاط وعفوية لا تعرف التردد، وكل غايتي هي أن نسدّ فجوة كبيرة في الثقافة العالمية، التي لم نكن قد انتزعنا لنا فيها مكانا في العصر الحديث.

جهل وإنكار

الجديد: لكن كيف تنظرين إلى طبيعة العالم، واعني بهم المؤسسات والمرجعيات الثقافية القادرة أو التي يفترض أن تكون قادرة على دعم النشاط الفكري والثقافي والأدبي العربي على مفترق اللغات الأخرى، ما الذي تفتقر إليه هذه العلاقة؟

سلمى الخضراء الجيوسي: أشد ما يعكر صفوي هو جهل العرب بتاريخهم الحضاري. إنه ليس حيا في ضميرهم ولا يدركون أن الحضارة العربية كانت هي القوة المشرقة في عالم القرون الوسطى غربي الهند وعنها أخذت أوروبا.

حضارة القرون الوسطى غربي الهند كانت حضارة العرب المسلمين والنهضة الأوروبية بدأت في قرطبة العربية، مركز المعرفة والفن والعلم يومئذ ولقرون طويلة. وقد شاركت صقلية الإسلامية كثيرا في تمكين هذه الحضارة واستيعابها لدى الأوروبيين.

ما حدث هو أن الأوروبيين حاولوا التعتيم على دورنا الأمثل في نشر حضارة الإنسان. ولكننا لا نعرف تاريخ صراعنا معهم وكيف نبع من مراهقتهم لنا لأسباب دينية وعرقية ومن إصرارهم على دحرنا.

عندك أولا الحروب الصليبية ثم خذي قصة صقلية مثلا: حاول الإمبراطور فريدريك الثاني 1194 – 1250 الذي حكم صقلية وإيطاليا وامتدت مملكته بعيدا، شرقا إلى القدس وغربا إلى ألمانيا، حاول محو اسمنا بعد أن أخذ الأوروبيون المعرفة والعلم والفن والأدب وإدارة الممالك منا.

ولكن فريدريك الثاني عتّم علينا بشدة ونجح. كانت كراهيته كراهية عرقية ودينية عميقة.

ثم بعد ذلك وقع العرب منذ منتصف الألفية الثانية حتى سنة 1918 تحت الإستعمار العثماني فعانوا من فجاجته وعتوّه أربعمئة سنة. واشترك العثمانيون في عملية التعتيم علينا رغم أن الأتراك اعتنقوا الإسلام. وكانت تلك القرون كافية لضمان فقدان الذاكرة الكبير الذي أصاب العرب وما زال فعالا عند الكثيرين.

ليس أسوأ وأخطر على حضارة أيّ أمة من تسلط من كان أقل مدنية منها عليها بحكم قوة السلاح أو المال.

التجربة الإنسانية

الجديد: أنجزت العديد من الأنطولوجيات بالإنكليزية. قدّمت من خلالها الأدبين القديم والحديث. ما الذي أثار قارئ الإنكليزية في عملك؟

سلمى الخضراء الجيوسي: لا ينجح أيّ عمل أدبي في النقل إلى من هم خارج الثقافة المعينة إلا إذا كان ذا قيمة أدبية جيدة تخطت أبعاد مكانها إلى أبعاد شمولية يتفاعل معها القارئ على مخاطبة الآخر خارج حدود ثقافته المعيّنة ومكانها المحدود. والحق هو أن طريقة معالجة الموضوع لا الموضوع نفسه، هي الأساس الذي ينجح معه النقل من ثقافة إلى ثقافة أخرى. ثمة تجارب يصعب نقلها إلى ثقافة أخرى وأملي على ذلك بالتجربة المتعلقة بالتقاليد العشائرية من حضارة إلى أخرى. ولكن رغم صرامة بعض هذه التقاليد في قرية يونانية مثلا فإن كازانتزاكيس في رواية زوربا اليوناني أبدع في تصويرها بشكل تمثلها القارئ الإنكليزي وتفاعل معها كليا. والسر في نجاح كهذا هو قدرة الكاتب على تخطي ما هو محلي وخاص إلى ما هو شمولي يخاطب الأسس المتكررة في التجربة الإنسانية. إن أساس العمل الأدبي الناجح هو قدرته على التركيز على شمولية التجربة وتفاعلها مع القارئ.

ويجيء بعد ذلك أولا دقة الترجمة وثانيا قدرتها على نقل الأدب إلى أدب في اللغة الأخرى.

روحي المقتلعة من الأم المشردة في الكتمان

قصائد جديدة للشاعرة السودانية نجلاء عثمان التوم

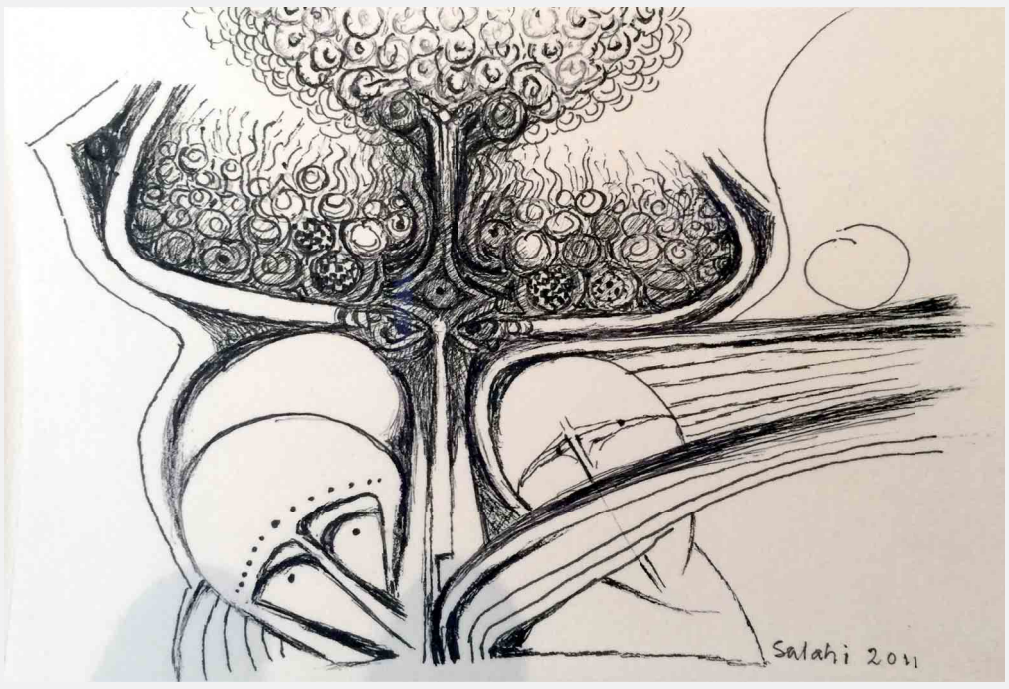

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

في سدة الردمية

عندما خَرَجتُ من رَحمكَ الآليّ
وسَقطتُ في مُرضعتكَ الغيبوبة
وشُجّتْ عيني بتَمودِ النّظرة نَظْرَتَنيها
وشُجّتْ من رَكضِ عَينُكَ في عُرْيي دَثّرُوني
دَثّرُوني.
عندما صَيّرتَني أمَّك بمَنحي قُدرةَ الدّثار
وصَيّرتَني جِلدَك بمَنحي قُدرةَ أحبّك
لم تَسأل ما تَناثرَ مع خَطاطيفِ الجفط عن
التّوأم طارَ من رَحمك تَوأمي حَمَلَ اللّوحةَ
كلّها وسَرَى إلى خَرائطَ شُفّتْ مُعلّقةً من
عَراقيبها في سدرة المنتهَى،
أقلعْنا في صرخة الدّم،
طِرْنا كهرباءَ مجرّبةً في السُّرّة العَظم تمشي
بين الكواكب وضواري الدّمعة،

لماذا أنجبتَني آلافَ المرّات أثناءً أثناءً فلا
سَكَن
لماذا تَبرّعتَ بمادّتكَ الخَالقيّةلتُنشِئَ حقلاً
من الدّبابيس الجَوفيّة في حَقْوِ الوَصال
لماذا طِرْتَ في قبضة القابلة نَاهشاً ظفرَها
اللّبنيّ،
لا يَعُود الدّمُ كافياً فأخرُجُ من رَحمكَ في قِماط
البرْنجي
لا يَعُودُ الوقتُ كافياً فتَلدُني في الزّمان،
أخرُجُ من الإطلاق إلى السّديم غَيبوبةً مادّيةً
كما خَلقَتني أتبخّرُ خارجَ الإدراك.
حينَ لا أفكّرُ فيك أتحوّل إلى شجرة،
وإذْ تدركُ جذوري أيّ هاويةٍ يَهوُونَ تَسقطُ
الخلفيّة
أصيرُ شَجرةً لا تَحدُث
سلسلةَ استحالات باقية
سلسلةً لاعَودات بفَضلكَ غير المفكّر فيه،
ثم تَتوالى الكُنوز؛ تَخرُجُ التّرهاتُ من فمي
الضّفادعُ من مُستنقَع الشّهوة تَسيلُ من
بظريَ الحفائرُ وكَمانِ الطّين، تَهجمُ القطعانُ
تهجمُ سياطُ الرّغبة
العينُ غوّاصةٌ بَحريّة
الشّجرةُ منجنيق
نَتعاضدُ على القانون
نَعثرُ عليكَ في سدّة الرّدميّة ونَفتكُ بك.

العروق الندية الصغيرة الخائفة

أتكلّمُ بك لا أقولُك،
في شأنكَ الكثير أضربُ وفي شأنِكَ الواحد:
حبيبي مَجرّد إمكان أتحدّر منه،
بفضله أكلتُ حزمةً من الآلهة وطبختُ ديانةَ
العين؛
في الغابة، التي لم نَزرع، تُضرمُنا العائلةُ في
الجوّ ويَضعُنا الأصدقاءُ في عرش الرّخويات.
أقول لبّيك يا علومَ القسوة لبيكِ قوافلَ تحملُ
الصّحراءَ في الصّحف،
كُنّا سنحيا بفضل الخلَل
كُنّا سنحيا لأنّ شيئاً تعطّل
إلّا أنّني أطأ الجزيرةَ الطيّبةَ برُوحي فتصلُ
أقدامي المشعرةُ أقدامُ الشّمبانزي إلى جذوةِ
الصّهد،
أضربُ أقدامي في الأمَل فتبزغُ فوّهاتُ
المكسيم،
ماتَ الماضي اتّصالاً بالقبور الذّائبة في
عُصارة الحنوط،
وجاءَ المستقبلُ في قماطٍ يتدلّى من فكّ
البادية،
وفي الكرَم جاء، في الكرَم ليس في النّبع الكرَمُ
في البركان
وفي أشهَدُ معنى النّبع في مادّة البركان
أرى العُروقَ النديّةَ الصّغيرةَ الخائفة
تَتنادَى
أرى الماءَ يهتفُ الأرضِ الأرضالأرض
أرى الدّوّامات تَنجرفُ في النُّهَى
أرى النّبعَ يتكلّمُ في لغة العينِ كلامَ العين.

في موضع الجناح

مَودّةٌ في أساس التعذيب:
موتى في مائدة اليَد،
إشجارٌ في سدّة الطلاقة
في النّمور اليتيمة تأكُلُ المادَن
في غُنّة هَجَرَتْ صَدرَ الواقف المخاطب؛
آه يا خُطوتيَ الأشدّ إيلاماً مَن أنها بلا قَدَم
الطّرْقُ تُؤلمُ مثلَ طائرٍ يتعمّدُ النظرَ إلى في
مَوضعِ الجناح.

سودان

صوتُكَ جائسٌ في الرّتق
الثقوبُ المسيطرةُ تَجرحُ له المؤانسةَ من
الجذع والتفريع،
له مرحُ السّرطانات المتعاكسة تَعقرُعمودَ
النور،
له جحفلُ الطلَبة خِفافاً ثقالاً ضدّ لمبات
النّابلون.
صوتُكَ القارُّ في الكفر بالحياة،
في التيّار التحتيّ لقيامة تَحملُها الجرذانُ
على ظهورٍ عارية إلى شمسِ الوباء.
هاجَرَ فيلُ الوحشُ تحتَ عَين الرّادار
واندثرَت لُغاتُه في صحرائك؛
لا نَحدسُ منكَ إلا عُواءً فاقداً الشّيء
إلا شيئاً يُشبهُ البهجةَ المتروكة، أو الرّثاثة،
أو غيلانَ السيّاب
ضجّة فظيعة،
لكنّ صوتَكَ إبرةٌ في كوم خرس
طريناه في أحاديثنا أنا والحيّة والتمساح،
كانت الحيّة مَريضةً وممتلئةَ المعدة
والتّمساحُ غيرُ راغب بالمرّة
كأنّه أكَلَ جميعَ عَمّائه،
كنّا براكين خامدة
غرْقى بلا تول ونُدرك بالدّقة ما فعَله بنا الله؛
القدرُ ضخمٌ مثل جرف ضخم
يَرتعبُ اللّبلابُ من زفيره ما الطّائلُ ما
الطائل؟
حين هَرَبَ العُتقاءُ بَقينا مع هرّة الرّسول
حين هَرَبَ الملوكُ بَقينا مع البَرْكَل والجُعران
والرّحَط والدّيُوم
حين صَفنت الجبالُ عَثرْنا على بسطام
مُضرّجة
وَجَدنا مُستقبلاً غارقاً تحتَ دَهب النّوبة
وَجَدنا بلداً مُهترئاً صعلوقاً جميلاً حارقاً
مثلَ تَموتْ تَخلّي
لم نَعثُر على قَدَم بل سَريان الجرْف
لم نَعثُر على السّير بل حرارة البول
سِرْنا إلى الغيبوبةِ الضخمة
حتى تقرّحَت الأرضُ
حتى التهَبَت الخيران
حتى دامَ الألمُ وانفجَرَت الأسمال
يا لنا من أفيَال.
أيّها البلد المجرم،
أيّها القاتلُ؛ تأتي على أمّي وتأكلُ رحمتَها
التي وَسعَتك،
صحيح، تأدّباً، لم نَطلُبْك في المعنى،
لكنْ حتى اسمُكَ لم يَعدْ ممكناً
ومثل الزّمن، أي الحوت، صرتْ بئراً دمعيّة
تَفورُ فيها الأغاني والرّموز
تَفورُ فيها كَثرتُك يا حبيبي،
قبل إنّك مَضفورٌ مُلتحمٌ مُتعرّجٌ مَنفوشٌ وتَقف
زَائغُ البصر مثل نعامة في جناح الحالم
تَفورُ وحشَتُك وتَخرُجُ من أطرافِ زغبكَ
الكواكب
لأنّكَ واحدٌ ممتدٌّ، واحدٌ بلا حَدّ
ولولا زِركشةٌ خَرساءُ على حَقويكَ ما أدركَناك
لولا أهلّةُ الدّم على تيجانِ القمح،
لكنْ، ستظلُّ الآنَ محجوباً عارياً مقتولاً
لأنّ بَينَك والله طبقاتٌ من الآلهة
وكلهم يخدمون في سلاح الجوّ.

النظر خرقة المنظور

مُظاهرةُ الخدر في قبضة الأربعينيّات
مَساقطُ اعتزاليّةٌ وترجيعَ
الإغراقُ لكنّتها والغرَق
يا شرْنقات حرّة،
يا مُثلثاتٍ شديدةً تُلخّصُ البرقَ المنعقدَ في
يَدها
تلكَ هي الموسيقى
تلكَ هي أسيلٌ أو لا أسيل
تلكَ هي العَشة
تلكَ هي الفلّاتية الأخيرة.
هناك
المحميّةُ بالواجب الظنّيّ
وكالخَفقانِ تَهرُبُ
هناك
الضّرورية
إذْ نَعجزُ إمّا عن الوُصول
أو لأنّ خُدّامَ السّاعة يَحملونَ القرنَ الحاليّ
ويَزحفونَ تحتَ إبطِ الغَيب
لإمتاعِ هذا اللّفظ
هناكَ
كُنّا في عينِ شيء
وما نزال.

سننهب المسيح من ثقوب راحتيه

رُوحيَ المقتلعةُ من الأمّ،
المشرّدةُ في الكتمان،
المصكوكةُ في فضّة الجدري،
تَنمُو في غزلانِ الصّواعق:
مَن يَصلكَ يَصلُ ذاتَهُ لا يتعدّى،
مَن يَضلّكَ يُحرَق ولا تجربة،
ويُفقرُكَ سَعيُ نِجمتنا إليكَ حتى تَصيرَها،
ويُفقرُكَ الوحشُ يَكتملُ بك
وعندما نَسقطُ من أعينِ الغزلانِ دَمعاً عادياً
تترنّحُ فيه الجبالُ
تترنّحُ وتسقط.
لتَذهَبْ إلى الجحيم إلهي
لتَعشْ بقيّةَ الآلهة على الدّيدان
سنَلمعُ إلى أن يرَانا فرخُ القَطا
ومن منقاره سُكارى نتهاوَى على الوادي
في أمانِ الحَنجرة في أمانِ البجَا
ونَنسى أوّل ما نَنسى سعيَنا فيك
ونَبرأ أوّل ما نَبرأ من ختمك
ونتحرّك في قطيعٍ ضخمٍ يصلُ بين جبلين
صوتيّين
قطيعٌ من الصّدى
كلّ موجة تركضُ في جهة
كلّ موجةً خَلقٌ جديد
ولا يَعودُ هناك شأنٌ صادرٌ عن صُدورِه عنك
سنَنهَبُ المسيحَ من ثُقوب راحتيه
سنأكلُ القبسَ آهِ هالَتَكَ الرّبةُ
المسهوكةُبالايفْبُوي
وأرْفُفُ الجَمال التي تُغطّي جمالَك،
نَنزعُ شافةَ الزّنود، الخوارجُ حُبيباتُ العرَق
في مَهاوي النبض، بَرموداتك السّبعُ،
التماثيلُ تَذهبُ في لوفْر العُنق، مَناطق
الغيب، مَهابطُ الإنسانِ والأصنامُ تدور
ولا يَعُود ثمّة جُوع
ولا ثمّة إلّا جُوع
ولا يَعُود إلّا ها طريحاً جنّة النّبات
ها جميلاً حبيبي
حانَ مُعتنقوك
حانَ مُعتنَقوك
لكنْ، مثلَ صقر البوليترز 1984 سننتظر قليلاً،
بوقار.

أنا لثامك

أيّتها الرُّوح الجائعة
أتضوّرُ لجُوعك
لتفسُّخي لديكِ وتفسُّخك عندي
بيننا برزخُ الجهلِ والحقّ يَعصفُ من
النواحي.

لسنا عشاقا بل قتلة

بل لبوةٌ حول إله جريح؛
العضَل مَشدودٌ والقدرُ يتقوّس في البؤبؤ.

مجزوء

نَسهَرُ إليك
المختَصَراتُ والقواميسُ الرّهيبة
لترقيقِ مَعناك
ترجمةُ الفصول الأربعة
كلّ أبيضَ رهينٌ مُضمَرُ اللذّة
المناشيرُ الحلوةُ الفاسقةُ ابنةُ الشّعاع
الملول
تتألّقين
يا مريمَهُ المذعورة
تَدلفينَ إلى الشّعب النائم في ندبةِ الكهف
كم لبثوا؟
تحسَبينهم جنّةً في ذهولهم عنها.

حتى لو الشجرة

حتى لو بمزيدٍ من التفرُّعات والشّقوق
حتى لو أطعمَت الأفعى من عُشّ الذي آمَن
حتى لو تخلّقَت النافذةُ من علقةِ الذّهن
اسمَعْ
هذه المعادلةُ صحيحةٌ، بل إله
سيظلّ كلُّ شيءٍ كما لن يكون أبداً
بالمرّة
سيَظلُّ كلُّ شيءٍ على أسنّة القَيد
لأنّ الشجرَ شيءٌ والشّجرُ نفسُهُ شيءٌ آخر يا
أرخميدس.

لثة

تلك البئرُ المضلّعةُ هنا عندي والتي لثّةُ
الوجود المكشوفة للبخار المولول في
مصنع اليوم، في تخرُّج الأنابيب الحيويّة
من النّظرات المنكسرَةِ والجُمَل المبتورة
وتكرار وجبة الخطر المشترك الأعظم. انهارَ
مجازُ المنسأة. يا كراريسَ النّضج المتصرّمة
حول جثّة النجاة، الكَعْ الكَعْ يا تيلّ الأسفار
القلويّة، على ظهرك كتبُ القانون وأحمالُ
العشائر وجمَلونات الطفولة؛ مَتروكةً لتجفّ
في ترعة مبروكة، لا أعرفُ كيف أكشطُ ملحَها
من لساني.
بكهانة العدل المكتوب على ظَهر وحيدات
الخليّة تكراراً متنوّعاً فريداً لسلسلة العمل؛
أتحوّل. وبمُزعة الجبَل.

بورتريه الشذرة

أستَرقُ الوَجدَ
لئلّا أستحثّ المصائرَ الخفيّةَ المنحدرَة،
اللّيلُ نافورةٌ من الخفاء.
التأمَ حشدُ النّبات البربريّ
الغابةُ بذرةٌ واحدةٌ موّارة.
قمَرُ الاكتئاب يَدورُ حولَ نفسه
يا للدّمعة المَنيرة ذاتياً.
لا لزومَ للغُفران
الواعظ يُحتضرُ في أحلام قطٍّ برّيّ.
كلّ ما نَعرفُهُ
فيه شيءٌ من ذلك الهرَبِ من عذابٍ لم نَجد
القوّةَ لتركه يصير.
النّيل لغةٌ ناطقة.
أسيرُ في شوارعَ غارقة
الجليدُ يَختصرُ التاريخ والجغرافيا
أنا العالَمُ الثّالث بحذائه المبتلّ اليتيم.
عراءُ المجرّة يتوغّلُ في الجزيرة
قيعانُ البلطيق ترتفعُ عن سطح البحر
المحارُ التّهَمَ نَجمةَ الصّباح.
الرّخويّاتُ في الخلفيّة
رأيتُ الرّجلَ أخرسَ مُرتجفاً يَتلو قصيدة
لجمهور في كرْب عظيم،
التنّين يَخرُجُ من فمه في جَزر ومدّ
والجمهورُ يقتربُ يبتَعدُ تحتَ صَهد الكلمات،
تقوّسَ الأفقُ واحتَدّ
وارتجَفَ كلّ جَنان مثلَ هرٍّ جبليّ
عبرَ التنّين فوقَ رؤوس النّبات
مُتعطّشاً لمملكته الفريدة
مُزدرياً إيّاها كونَهُ عار دونها
قالَ لكلّ نبتة تكلّمي لأراها
تكلّمي يا درّنات الماء
تكلّمي يا سلعوّة درب الأربعين
لكنْ انشقّت الحملةُ عن أسطوانة إداريّة؛
من كان لديه جثّة ليَنطقها الآن أو يسجّلها
في الكمبيالات،
قال طبيب إسماعيل باشا وهو يُجري معادلةً
حسابيّةً في رأسه: جَمعتُ ستمائة أوقية من
الغضاريف،
آذانِ الشايقيّة، يا مولاي، ليست سيئة، لكنّها
تتعفّن بسرعة.

الرخويات في الخلفية

بطيئةٌ بطيئةٌ مثل اللّغة
وفي آثارِهَا على الرّملِ تهدِرُ البريّةُ بالترجمة،
ما هذا العالم؟
البطنُ المبقورُ الحافلُ بالطّرائدُ هذا العالم
القمَرُ مُرقّطاً يَسبحُ على ظهرِه في البازلت
العالم
يَضربُ بفخذيه مُستكشِفاً فلزاتِ التّوصيلِ
الجيّد
مُنقّباً غيهبَ روحه عن القصدير
العالم كلّ مَن لا يَذكرُ دودةَ قزّه مَسجونةً في
خُصيةِ الإسكندر الأكبر
إنّه لا يَتذكّر الله
ناهيك عنا عمّال الدّرَت،
طارَ ريشُ النّعام طارَ الذي رفَسَ الطّيران طارَ
المنزوعُ الفوّاحُ المحشورُ في أكياسٍ قطنيّة
إلى مُصَوّع
ثمّة خريطةٌ توضيحيّةٌ يتبادلها جنديّان مثل
نارجيلة مملّة
حول كيفَ يُمكنُ لثَورين فقط رفعَ قلبي بكلّابة
اتّبعوا الإرشادات يا جماعة
باقي العمليّة إنزال عادي
على فئران قعر السّفينة.
الصّافرة بَرقت في خفاء البحر
الحُلفاءُ الحُلفاءُالحُلفاءُ في رَحم مُبقّع وغريب
بدأت تجارةٌ صغيرةٌ قوّامُها القورمالين
العالمُ رائحةُ فورمالين مُهرّب
ضاعَت جثّةُ البحر في أمواج جُثث العبيد
أجهضَتنا السّفينةُ
الإمكانُ احترَق
وتوقّفت اللّغةُ، التي لم نعرفها أبداً، عن
الوجود.

تنشر بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية، والقصائد كاملة على الموقع الإلكتروني

إنسان عصر النهضة

نيتشه المناهض للمنظومة

أبو بكر العيادي

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

❑ نيتشه، ككل عبقري، شغل الناس حيًا، وشغلهم ميتا، وما زالت فلسفته حتى يوم الناس هذا مثار جدل. فهو لدى البعض لا يجمل الاقتراب منه لاحتواء فكره على نصوص توهم بالتفوق العرقي، فيما يرى البعض الآخر أن العيب ليس فيه بل في من اقترب منه ولم يفهم فلسفته، أو نحا بها منحى غير الذي ذهب إليه صاحب "العلم المرح"، و"ما وراء الخير والشر". وقد خصته مجلة "فلسفة" الشهر الماضي بعدد ممتاز حمل صورته وعنوانا بارزا: نيتشه المناهض للمنظومة، وحوى مساهمات لثلة من الفلاسفة الفرنسيين والأجانب تناولت أهمّ محاور فكره كالنيهيلية، والأخلاق، والجسد، وأبولونوديونيزوس، والعود الأبدي، والإنسان الأرقى.

من بين الذين يحرصون على تصويب ما نسب إليه خطأ وأدّى إلى مجانبة طروحاته، الفيلسوف الفرنسي كليمان روسيه، صاحب كتاب "الواقعي ومثيله"، فهو يعتقد أن الدارسين، على تعاقب الأجيال، لم يقفوا إلا على نسخ خاطئة من نيتشه. والسبب أن الحظ شاء أن تخونه أخته إليزابيت فورستر نيتشه، وزوجها الذي كان نازيا بارزا ساهم في بعث مخيمات للشباب الآري في باراغواي، حتى من قبل أن يمسك هتلر رسميا مقاليد السلطة.

ذلك أن الأخت وزوجها استوليا على مخطوطات نيتشه عندما فقدَ مداركه العقلية قبل أن ينهار تماما عام 1889، وسمحا بأن يُتخذ فيلسوفا رسميا لنظام هستيري مجرم، والحال أن نيتشه (1844–1900) لو عاش في زمن هتلر لكان من أوائل المنفيين إلى المعتقلات بسبب نقده اللاذع للذهنية الألمانية، وهجومه الدائم لمعادي السامية، فضلا عن شخصيته ونمط عيشه.

وليس للأخت من فضل سوى أنها ساهمت في التعريف به بعد أن كان ينشر كتبه على نفقته، ولا يبيع منها سنويا أكثر من عشرين نسخة. كما شاء له حظه المنكود أن يستحوذ عليه هيدغر ليقوّله ما لم يقله.

فقد راح في دروسه التي نشرت في جزأين، بعد تخليه عن النازية خلال الحرب العالمية الثانية، يحاول مَحْوَ ما علق بنيتشه من تهم، ولكنه كان في الواقع يكرّس تلك التهم، أولا بجعل نيتشه مجرد حلقة وصل بين هيغل وكانط وهو ذاته، ثانيا باستناده إلى كتب لم يؤلفها نيتشه مثل كتاب "إرادة القوة" الذي اختلقته أخته. فهيدغر، في رأي روسيه، لم يستند فقط إلى كتاب لا وجود له، وإنما أيضا إلى ما يزعم أن نيتشه "استشعره وفضّل إخفاءه أو التكتم عنه"، وما هو في الحقيقة سوى فلسفة هيدغر نفسه. دليل روسيه أن نيتشه لم يهتم إطلاقا بالأونطولوجيا أي علم الكائن، وأن الكائن لا يمثل مشكلة بالنسبة إليه، لأنه– شأنه شأن سبينوزا – ليس من النفاة، بل من الإثباتيين، فالحقيقي في نظره هو الاتصال بالواقعي دون لبس، في حين أن هيدغر من الفلاسفة الذين ينفون المحسوس، ويميّزون بين مستوى جوهري أونطولوجي للواقع ومستوى غير جوهري متعلق بمعرفة الأشياء (ontique) وبذلك جعل من نيتشه مجرد جبلّة خارجية (ectoplasme) سابقة لوجوده. أما المظهر الثالث لسوء الحظ الذي رافق نيتشه، فيتمثل في استحواذ فلاسفة اليسار الفرنسي على فكره مثل بيير كلوسّوفسكي وجاك دريدا وميشيل فوكو وجيل دولوز، إذ جعلوا منه مفكرا تقدميا ثوريا يهدم كل الأيديولوجيات بلا استثناء متجاهلين أن الاحتفاء بالفرح وقبول العالم بحلوه ومرّه هما من تيماته الكبرى.

أما الفيلسوف مارك دو لوناي، الذي ترجم نيتشه وبعضا من كبار الفلاسفة الألمان مثل هوسرل وأرندت وهابرماس ووضع كتابا عن تجربته بعنوان "ماذا تعني عملية الترجمة"، فقد تناول استعمال نيتشه للنيهيلية (العدمية)، هذا المفهوم، الذي أطلقه أول مرة الكاتب الروسي تورغنييف على مجموعة من الأنارشيست الإرهابيين في روسيا خلال القرن التاسع عشر لأنهم كانوا ينكرون كل قيمة أخلاقية أو ميتافيزيقية، تبناه نيتشه ليطبقه على كل من يدافع عن دين أو أخلاق أو فلسفة تحقّر الحياة. فما النيهيلية في رأيه سوى عرضة من أعراض حياة منهكة منحطة عاجزة عن تحمل الوجود، وقبوله كما هو، وأنها بدأت مع سقراط الذي لا تستطيع فلسفته أن تَثبُت إلا بما يسميه نيتشه في ازدراء "العالم الخلفي" للقيم المطلقة كالجمال والخير والحق، تلك القيم التي لا يبلغها إلا العاقل. وفي رأيه أنها قيم تستهين بالحياة الواقعية بدعوى عدم امتلاكها نقاءَ عالم الأفكار. وتواصلت مع أفلاطون الذي لم يأخذ مأخذ الجدّ حضور التراجيدي في الوضع البشري، خلافا لأعلام المسرح اليوناني القديم. ولكن هجومه الأشدّ كان على المدافعين عن مثالية الأخلاق اليهودية المسيحية لكونها تستهين بالقوة والغريزة والجسد والطبيعة. وفي رأيه أن دافع الأخلاق الدينية الأول هو البغضاء، أي كره الحياة. وقد بيّن منذ كتابه "جينالوجيا الأخلاق" ما تخفيه دروس الأخلاق والحقائق المطلقة، فدعاتها يهدرون وقتهم وجهدهم في شتم الحياة باسم عالم آخر غير مضمون، وكره وجود ما عادوا يملكون قوة لمحبته. وليس المقصود بالجينالوجيا البحث عن زمن سابق لولادة فكرة أو قيمة، بل التولد الأكثر عمقا الذي يصل ميتافزيقا معيّنة بدوافع وجدانية.

والأخلاق، في تصور نيتشه، هي عكس الإيثيقا كما يوضّح الفيلسوف رافاييل إنتوفن الصحافي بإذاعة فرنسا الثقافية وقناة أرتي الفرنسية الألمانية. فالإيثيقا كما تتبدى له عند نيتشه تهتم بالواقعي، وتعتمد على التفهم، وتنوب عن وحدة الجسد والذهن، وتتوجه إلى الأفراد الذين يشكلون مجموعة دون أن تلغي كون كل فرد منهم لا يقل ذكاء عن أيّ إنسان آخر، وتسعى لفحص الفعل أو الحدث قبل إصدار الحكم، في حين أن الأخلاق تهتم بالمعيار، وتتوسل بالأوامر والتحريم واللعن بالمفهوم الكنسي، وتصلح للتوجه إلى الجماعات التي تخضع للعصا والجزرة، وتخلط عمدا بين وصف الشيء وفرضه. فالإنسان الذي نصفه بأنه "على خلق" هو في الغالب منحرف يمنح نفسه مبادئ أقوى من طبعه ويضحي بالعالم وبالآخرين وفق إدراكه الممالئ لنفسه. ويرى أنتوفن أن مطرقة نيتشه ليست فقط مطرقة عدو للتقاليد (iconoclaste)، بل هي وسيلة فيلسوف اختار في معركته أن يفهم ويكشف عن الوجه الآخر لفضائلنا.

ولا يختلف عنهم ألكسندر لاكروا مدير تحرير المجلة وصاحب كتاب "كيف نحيا حين لا نؤمن بأيّ شيء؟" في فهمه لنقد نيتشه للأخلاق، وفي رأيه أن قوة هذا الفيلسوف تكمن في كونه لا يقنع بنقد تحديد ماهية الخير والشر كما تتداولها المسيحية، بل يقدم حجة ضدّ منظومة القيم، ويبين أن الأخلاق، كمجموعة تعاليم تحض على التقوى والاستقامة، ومعايير تستعمل للحكم على أفعال الناس، إنما هي وسيلة هيمنة. فالرهبان يعلّمون رعيّتهم أن تتحلى بالصبر والخشوع والزهد في الحياة الدنيا، وتعدها بسعادة خالدة حالما تغادر هذا العالم. وما تلك في نظر نيتشه إلا خدعة من "طائفة الرهبان" لخدمة مصالح الأقوياء، وكلام معسول غايته إبقاء الشعب في حالة خضوع واستسلام. ومن ثَمّة يدعو إلى نبذ فكرة القضاء والقدر (fatum) واعتماد ما سماه (amorfati)، أي أن نحب الحياة كما هي بحلوها ومرّها، مبتكرا نظرية العود الأبدي.

هذا العود الأبدي يفسره الفيلسوف الإيطالي باولو ديويرو مؤسس جمعية "هيبر نيتشه" ومؤلف كتاب "نشوء فلسفة الفكر الحر" بكونه تعبيرًا عن عالم لا تسيّره أيّ بنية ثابتة ولا أيّ غائية، وامتحانا لانتخاب الأقوياء والضعاف عن طريق الـ"أمور فاتي" أي أن نحب ما يحدث كيفما يحدث. والسؤال هو معرفة من يملك القوة لحبّ الحياة إلى درجة قبول فرضية استعادة كل أطوارها، حتى المؤلمة والمشينة، بشكل يتكرر بلا نهاية، ويعود الإيجابي –كالسلبي– "في نفس ترتيبه ونفس تعاقبه". هذه الفكرة، التي يُعد زرادشت خير مثال لها، هي أمر فظيع بالنسبة إلى الضعيف، لأنه لا يحب الحياة.

> نيتشه، ككل عبقري، شغل الناس حيا، وشغلهم ميتا، وما زالت فلسفته حتّى يوم الناس هذا مثار جدل

ولا يعني نيتشه بالقوة والضعف هنا التكوين الجسدي أو المكانة الاجتماعية، فالأقوياء لديه هم من تكون إرادة القوة عندهم فاعلة، أما الضعاف فأولئك الذين تنحصر تلك الإرادة لديهم في ردة الفعل، وإنما يقصد أن يتصرف المرء بطريقة تجعله يريد العود الأبدي لحياته كلها، لا ليمحو منها خيباتها وآلامها، بل ليحبّ وجوده بشكل يجعله يعيد خلق كل لحظة دون أن يكون مهتما بعالم خلفي أو غائية للكون والحياة، وحتى بالموت.

هذه النظرية قد يكون من جرائرها تعزيز الأقوياء ودفع الضعاف إلى اليأس والانحدار، ولكن نيتشه يرى فيها أداة لتحسين النسل وتحويل الإنسان المتفوق إلى إنسان فوق العادة.

مفهوم الإنسان فوق العادي (Übermensch) بعبارة نيتشه، والذي اختلف العرب في ترجمته (الإنسان الأعلى، الإنسان الأسمى، الإنسان الأرقى) هو الذي ألقى بظلال كثيرة على فكره، حيث اتخذه الفاشيون خلال الحرب العالمية الأولى ثم النازيون في مطلع الثلاثينات مرجعية فكرية لأيديولوجيتهم. ويذكر الفيلسوف الألماني فولكر غرهارد في حديث للمجلة أن ألفريد بوملر، أبرز فلاسفة القومية الاشتراكية الألمانية، كان انتقى في كتابه "نيتشه، الفيلسوف والمفكر السياسي" مقولات من مؤلفات نيتشه، وتأوّلها على هواه ليجعل منه منظّرا للنازية، ويؤوّل "الإنسان الأرقى" بالفوهرر، أي الزعيم والقائد، الذي يجمع في شخصه بعبقرية نادرة كل ما هو ثقافي وفني وسياسي وعسكري.

ثم أردفه عام 1934 بكتاب ثان "نيتشه والقومية الاشتراكية" جعل فيه مفهوم "إرادة القوة" مطرقة أيديولوجية يستعملها الحاكم كما يشاء. وقال فيما قال "عندما نهتف 'هايل هتلر!'، فنحن نحيّي أيضا فريدريخ نيتشه".

وهو ما كان منطلقا لاستحواذ النازيين على نيتشه، حتى أن كتاب "هكذا تحدث زرادشت" كان لا يفارق الجنود الألمان في الجبهة. ولو أن غرهارد يقرّ بأن لنيتشه أشياء تفتح الطريق لمثل تلك التأويلات، كمعاداته للديمقراطية، وأرستقراطيته، وإشادته في كتاب "جينالوجيا الأخلاق" بـ"الدابة الشقراء"، ذلك المفهوم الذي وقع تأويله بصورة "الآري" الجرماني الشمالي.

أما الفيلسوف الألماني كارل لوفيت، صاحب كتاب "فلسفة عَود الشيء نفسه أبدا"، فيرى أن نيتشه يريد أن يعطي الإنسانية هدفا يتجاوز الكائن–الإنسان الحالي ولا يكون داخل "العالم الخلفي" أي الآخرة، بل في نطاق سيرورة العالم. هذا الإنسان ينبغي أن يتسامى على ذاته، وهو معنى (Übermensch) الذي ينطلق منه نيتشه في دعوته إلى العودة ووضع قيم جديدة لإرادة القوة. فهو يشخّص "العقم العميق للقرن التاسع عشر"، لأنه لم يصادف إنسانا أدرك مثالية جديدة، ما يجعل نظرية العود الأبدي في معناها التاريخي والأنتروبولوجي "مركز ثقل الإيثيقا الأسمى" من أجل إرادة فقدت أهدافها ضمن وجود صار سريع الزوال.

هي نظرية تريد تغيير تصوّرنا للإنسان من خلال إعادة تحديد مفهومه ومؤثراته، وزرادشت هو المثال، فهو النمط الأسمى للإنسان، إذ يحكم نفسه بنفسه، ويخضعها لنظام صارم.

وكان الفيلسوف المجري جورج لوكاتش قد ذهب أبعد من ذلك. فقد رأى أن معركة نيتشه ضد المسيحية نابعة من اعتباره إياها أصل الديمقراطية الحديثة، كاعتباره مساواةَ الناس أمام الرب التي جاءت بها المسيحية بداية انحطاط الديمقراطية.

ذلك أن الديمقراطية في نظر نيتشه ليست تدهور الدولة فحسب، وإنما هي أيضا تبلّد أوروبا وتضاؤل الإنسان الأوروبي. لأنها، بإلغائها التفاوت بين البشر، تقود البشرية كافة إلى الانحطاط، وتنتج بحسب عبارة زرادشت "الإنسان الأخير"، أي المقابل السلبي للمثال النيتشوي "الإنسان الأرقى".

ويرى لوكاتش أن ألفريد بوملر لا يحيد عن المعنى الذي قصد إليه نيتشه بالإنسان الأخير، حين وصفه بـ"موظف المجتمع الديمقراطي الألماني"، حيث تزول الفوارق وتسود هيمنة الغوغاء في أعلى المجتمع وفي أسفله.

ولوكاتش يقرّ بأن نظرية نيتشه ليست مماثلة للأيديولوجيا الهتلرية الرسمية، نظرا لأن البربرية الإمبريالية لديه تبقى حلمَ مستقبل، فيما الأيديولوجيا الفاشية كانت نتيجة تفكك الإمبريالية المتطورة، مثلما يقر بوجود فوارق فكرية وجمالية وأخلاقية بين الطرفين، إلا أنه يعتقد أن ألفريد روزنبرغ كان محقا حينما عدّ نيتشه سلف الفاشية الألمانية، لكونه أورد في الفلسفة الألمانية تمجيد البربرية.

ويرى الإيطالي جورجو كولّي أن دعوة نيتشه إلى الإنسان الأرقى إنما هي دعوة إلى تجاوز الإنسان الحالي، الذي يتسم بالعدمية والانحطاط، دعوة عاجلة لا تقنع بانتظاره بل تعمل على قدومه وتسعى إليه، لأن الانتظار دون فعل معناه حلول الإنسان الأخير، أي ذلك الذي يرفض الإبداع، أي إنسان البغضاء الذي لا يفعل بل يكتفي برد الفعل.

وفي رأيه أن المقصود بالإنسان الأرقى ليس ذلك الفارس المغوار كما فهمه هتلر بل هو شبه النموذج الإنساني لعصر النهضة، الذي تلخص سماته مقولة "العقل السليم في الجسم السليم"، ولكن دونما ربّ، ولا دولة، ولا ملاذ بعالم آخر، ولا إيمان بأيّ معبود. لأن الإنسان الأرقى ينبغي أن يكون "معنى الأرض"، أي المؤكد الأكبر لكل شيء، ومتقمص القيم الديونيسية، ومعتنق الـ"أمور فاتي"، لكي يستعيد غرائز الغزو التي أنكرتها الأخلاق وكبتتها منذ القدم. فإذا ما تحرر من كل أشكال النيهيلية وكره الحياة، فسوف يجد القوة ليرغب بامتلاء وبشكل دائم للعود الأبدي لوجوده.

في كتابه "الإنسان الثائر"، يقول ألبير كامو "إذا استثنينا ماركس، فإن مغامرة نيتشه لا مثيل لها في تاريخ الفكر، ولن نخلّص أبدا من رفع المظلمة التي سُلّطت عليه. نعرف دون ريب عبر التاريخ فلسفات تمّت ترجمتها وخيانتها، ولكن لحدّ نيتشه والقومية الاشتراكية، لم يحصل قط أن قوبل فكر كامل ينيره نبل وتمزق روح استثنائية بمثل هذا الفيض من الكذب المنشور على مرأى العالم، وهذا الركام الفظيع من جثث المعتقلات".

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية

ماركو بيللوكيو: السينما والأوبرا والسياسة

مهرجان فينيسيا يصالح المخرج الكبير ويستعيده

أمير العمري

❑ يكرم مهرجان فينيسيا السينمائي في دورته الثانية والسبعين، المخرج الإيطالي الكبير ماركو بيللوكيو (76 سنة) ويعرض نسخة جديدة من فيلمه الأول "الأيدي في الجيوب"، في "مصالحة" خاصة بعد أن أعلن بيللوكيو قبل ثلاث سنوات أنه لن يعود مطلقا للمشاركة بأفلامه في المهرجان الذي اتهمه بتهميش السينما الإيطالية، خاصة بعد خروج فيلمه "الجمال النائم" من مسابقة المهرجان عام 2012 دون الحصول على جائزة رئيسية. وفي إطار المصالحة عاد بيللوكيو هذا العام إلى مسابقة فينيسيا بفيلمه الجديد "دم دمي" الذي يصعب التكهن بما سينتهي إليه أمام لجنة التحكيم الدولية.

"الأيدي في الجيوب" (1964) هو أول أفلام ماركو بيللوكيو، ويعتبره الكثير من النقاد مع فيلم "قبل الثورة"، أول أفلام المخرج برناردو برتولوتشي، بداية "موجة جديدة" في السينما الإيطالية، بعد حركة الواقعية الجديدة. لكنه لم يكن فيلما سياسيا بل كانت جوانب الجدة والتميز فيه تتجسد في قدرة مخرجه الشاب (25 سنة) على التعبير عن تلك الحالة من عدم التجدد، من انعدام الرؤية، من الغضب الكامن تحت السطح الذي سينفجر في عموم إيطاليا مع نهاية الستينات في شكل موجات من الغضب والاحتجاج والتمرد.

يعبر هذا الفيلم، مجازا، عن الاضطراب الاجتماعي، وغياب اليقين الفكري، ولكن من خلال التركيز على "الأسرة" المشروخة، غير السوية، التي تكمن في داخلها عوامل انهيارها.

إنها أسرة من الطبقة الوسطى، تقيم في منزل بمنطقة ريفية نائية، فوق ربوة جبلية وعرة، ويبدو المنزل من الداخل بأثاثه العتيق، كأنه لم يعرف لمسات الحداثة بعد، وتتكون الأسرة من الأم، وهي عمياء، فقدت السيطرة على أبنائها: الأكبر أوغوستو الذي يعمل في المدينة ويرتبط بعلاقة حب مع فتاة تدعى لوسيا، أمنيته أن يغادر المنزل الكئيب ويتزوج من لوسيا ويعيش معها في المدينة، ولكنه مرتبط بالأسرة بحكم اعتماد الأم عليه وعلى ما يأتي به من دخل مادي، وهو بهذا المعنى، الرمز البطريركي.

هناك شقيقان لأوغوستو هما الأصغر "ليوني"، وهو مصاب بالصرع وشبه متخلف عقليا، و"أليساندرو" الذي يتعرض أيضا بين وقت وآخر، لنوبات خفيفة من الصرع، وأخيرا هناك الشقيقة "جوليا" التي تبدو طفولية، أي غير ناضجة تماما رغم أنوثتها الواضحة.

الأجواء داخل هذه العائلة شديدة التوتر فلا يبدو أن هناك أحدا يشعر بالسعادة ولكن الجميع خاضعون للتقاليد المتزمتة.

تنمو في ذهن أليساندرو فكرة التصفية التدريجية لأفراد أسرته. يبدأ بقتل أمه العمياء، يدفعها للسقوط من أعلى الربوة الجبلية، ثم يغرق شقيقه الأصغر في البانيو. وبهذا يتيح الفرصة لأن يحقق أوغوستو أحلامه في الزواج والتحرر من قيد الأسرة، ويظل يتباهى بما فعله أمام شقيقته "جوليا" التي تبدو منجذبة إليه مشتركة معه ولو نفسيا، في لعبة القوة التي يمارسها لكي يثبت لنفسه أنه أكثر الجميع ذكاء.

إنه يمارس القتل بدم بارد كقرار يعكس شعوره بالغثيان من وجوده وسط تلك الأسرة التي يتسع اغترابه فيها يوما بعد يوم ويتضاعف بفعل العزلة الباردة خارج المدينة، فوق تلك الربوة الكئيبة التي يمتدّ أسفلها الوادي الزاخر بالمصانع.

معالم أسلوب

تتمثل ملامح أسلوب بيللوكيو في فيلمه الأول، في تعبيره ببراعة واقتصاد عما يكمن تحت سطح الأشياء من خلال تكوين اللقطات، الميزانسين، الاهتمام بالخلفية، التناقض في الإضاءة، استخدام التناقض بين الأبيض والأسود، الحوار الموحي المقتصد، الأداء التمثيلي الذي يتم التحكم فيه بدقة في اللقطات القريبة، المونتاج الذكي الذي يعرف كيف ينتقل من لقطة إلى أخرى، بحيث يخلق إيقاعا خاصا طبيعيا للمشهد، دون أن نلحظ أيّ قفزة في الانتقال من حجم إلى آخر، ومن زاوية إلى أخرى، لكننا نلحظ التأثير الدرامي لهذا الانتقال.

عن الفرق بينه وبين بيللوكيو يقول برتولوتشي: كان ماركو يدرس السينما في معهد السينما بروما، بينما درست أنا السينما مع بازوليني عندما كان يصوّر فيلمه الأول "أكاتوني". قابلت ماركو عدة مرات، لكننا كنا مختلفين. أنا ولدت في بارما، وهي مدينة تتميز بالجمال الشديد والرونق والأناقة في المعمار، بينما ولد هو ونشأ في مدينة بيتشينسا وهي مدينة صعبة. والمسافة بين المدينتين حوالي 60 كيلومترا. كان فيلمي الأول نوعا من السيرة الذاتية عن البورجوازي الصغير، ابن الطبقة الوسطى المتمرد، وكان يعكس جمال مدينة بارما.

اهتمامات المخرج

أما "الأيدي في الجيوب" فكان يروي قصة تجسد نموذجا مصغرا (ميكروكوزم) للمجتمع المحافظ: منطقة محاطة بالضباب، مليئة بالمطر، وعلى حين يمثل الابن الأكبر للعائلة فكرة الامتثال للتقاليد، يعكس أليساندرو فكرة التمرد من خلال التدمير. وكان لوكاستيل، الممثل الذي أدى الدور، يذكرني بأدائه بمارلون براندو وهو شاب، عندما ظهر في فيلم "عربة اسمها الرغبة" (1951). ولم يكن الفيلم سياسيا لكنه كان يعكس رفض الطبقة من خلال رفض العائلة.

تتوزع اهتمامات بيللوكيو بين السياسي والاجتماعي، الرمزي والواقعي والعاطفي. وفي الكثير من أفلامه خاصة تلك التي أخرجها في الستينات والسبعينات، بعد "الأيدي في الجيوب" كان مشغولا بالقضايا السياسية في إيطاليا المعاصرة ضمن سياق السينما السياسية الإيطالية التي برز فيها إلى جانب روزي وداميانى وبتري ومونتالدو.

من أهم أفلامه السياسية في الستينات "الصين قريبة" (1976) الذي كان يعكس التمزقات التي قسمت اليسار الإيطالي بين الاشتراكيين والماويين ولكن أيضا من خلال الانشقاق داخل العائلة الواحدة، وفي السبعينات كان أشهر أفلامه "باسم الأب" (1971) الذي يرسم صورة رمزية للمجتمع الإيطالي من خلال مدرسة داخلية كاثوليكية يديرها قساوسة، تبدو كقلعة أو كسجن، يمارس فيها رجل الدين أقسى درجات العنف ضد الطلاب ويخطط الطلاب للهرب باللجوء إلى أكثر الطرق غرابة.

قتل ألدو مورو

في فيلم "صباح الخير ليلا" (2003) يعود بيللوكيو إلى الموضوع السياسي من خلال قصة تروى من وجهة نظر امرأة شابة اشتركت في اختطاف وقتل رئيس الوزراء الإيطالي الأسبق ألدو مورو عام 1978، وهو الحدث الذي هز إيطاليا كلها في تلك الفترة، وكان وراءه تنظيم الألوية الحمراء الفوضوي المتطرف. وبنى بيللوكيو فيلمه هذا على الكتاب الذي سجلت فيه المرأة مذكراتها عن تلك الفترة. وهو يقدم فيه رؤية تبتعد عن السياسة، بقدر ما تقترب من الجانب الإنساني.

إنه يسبر أغوار تلك الحالة الذهنية والنفسية التي تؤدي إلى مثل هذا النوع من القتل، وتشترك فيه امرأة لديها أحاسيس ومشاعر متضاربة، وهي تتخيل في لحظة ما أنها ستعصي أوامر"الألوية الحمراء" وتطلق سراح ألدور مورو، في حين أننا نعرف من خلال مشهد آخر أنه قتل بالفعل.

ماركو بيللوكيو.. سينمائي ينسج من الواقع والشعر

مناقشة تناقضات اليسار والتساؤل عن مصير إيطاليا في «الصين قريبة»

انعكاسات الفاشية روحيا وجسديا على المرأة في فيلم «النصر»

وفي فيلم "لسن شقيقات" الذي أخرجه عام 2010 يعود بيللوكيو إلى العائلة، ولكن بعد أن تغيّر الواقع الإيطالي كثيرا وانهار النسق الطبقي التقليدي القديم.

إنه فيلم معاصر شديد الحيوية والجدة حول العلاقات المعقدة بين الأخ وشقيقته الغائبة باستمرار، وابنتها التي تنمو وتحتاج إلى من يوجهها في سن المراهقة، والخالتين اللتين تفكران في توسيع مقبرة الأسرة استعدادا لاستيعاب الموتى الجدد من العائلة، في حين ينشغل بطلنا بالحصول على المال لبدء عمل خاص، والارتباط بفتاة سرعان ما تهجره بسبب فشله المتكرر، ومحاسب الأسرة أو القائم بأعمالها، الذي ينهي حياته في مشهد تذكاري.

النصر

وهو يعود في فيلمه "النصر" Vincere عام 2009، مجددا إلى عالم السياسة مسلطا الأضواء على الحقبة الفاشية في إيطاليا ولكن من خلال دراما نفسية تدور حول شخصية "إيدا داسلر" التي أعجبت بالزعيم الشاب الصاعد موسوليني قبل أن يصبح "الدوتشي" وساعدته وأمدته بالمال لتأسيس صحيفته، وأقامت معه علاقة أسفرت عن إنجاب ابن منه، لكن موسوليني تنكر لها بعد أن وصل إلى السلطة، ورفض الاعتراف بابنه ثم أودع المرأة مصحة للمختلين عقليا.

ويصور الفيلم صمود هذه المرأة ومحاولاتها المضنية من أجل إثبات الحقيقة، ومقاومة كل محاولات تدميرها نفسيا وجسديا. وخلال وجودها في "الأسر" تكتب إيدا خطابات إلى البابا والملك ورئيس الحكومة والنائب العام والوزراء، تطالبهم بتحرّي الحقيقة وإطلاق سراحها والسماح لها برؤية ولدها. وتتدهور الحالة العقلية لإيدا داسلر تدريجيا، لكنها تظل مصرة على روايتها، غير مستعدة للتراجع تحت أيّة ضغوط أو تعذيب.

وتبرز في الفيلم كما في معظم أفلام بيللوكيو، أجواء الأوبرا في توظيف الموسيقى والأصوات الطبيعية على شريط الصوت، مع التحكم في تصميم حركة الممثلين والأداء عموما في إطار المكان، بطريقة قد تشوبها بعض المبالغة المسرحية كما في مشهد محاكاة الابن لوالده في طريقته في الخطابة أمام زملائه في المدرسة، وصولا إلى تجسيد حالة الخلل العقلي التي يصل إليها الابن قبل أن يغادر الحياة مبكرا. و"النصر" كانت صيحة موسوليني التي يختتم بها خطاباته.

الجمال النائم

يعود بيللوكيو إلى المزج بين القمع السياسي والقمع الجسدي وانعكاسه على المرأة في فيلم "الجمال النائم" (2012)، أما مدخله لموضوع الفيلم الذي يدور حول الموت الرحيم، أو "الحق في الموت"، القصة الحقيقية التي وقعت في إيطاليا عام 2009 عندما قضت محكمة لأب بأن يوقف الأجهزة الطبية التي ظلت تبقي على حياة ابنته التي أصيبت في حادث سيارة لمدة 17 عاما.

> في إطار المصالحة عاد بيللوكيو هذا العام إلى مسابقة فينيسيا بفيلمه الجديد «دم دمي» الذي يصعب التكهن بما سينتهي إليه أمام لجنة التحكيم الدولية

وقامت ضجة كبرى في إيطاليا وقتها، وانبرت حكومة بيرلسكوني بالاتفاق مع الفاتيكان لإصدار قانون عاجل يحظر ممارسة "الموت الرحيم".

من هذا المدخل يتناول بيللوكيو موضوعه من خلال 4 قصص، تتمحور حول القتل والموت والحب، ويتوقف طويلا أمام الجانب الأخلاقي في موضوع القتل الرحيم، ويلمس بقوة الجانب السياسي الذي تمثل في نفاق حكومة بيرلسكوني، وادعائها الدفاع عن الحق في الحياة، ويصور كيف يحسم وزير في حكومة بيرلسكوني أمره في النهاية ويقرر أن يتصدى لمشروع القانون في البرلمان بالرفض متحديا حزبه.

ولعل ما يميز الفيلم ان بيللوكيو لا يتخذ موقفا أو يحكم على مواقف الأطراف المختلفة فيه، بل يكتفي بعرضها وتجسيدها من خلال تناقضاتها الذاتية. صحيح أنه يستخدم السرد الملتوي، غير الخطي في الكثير من أفلامه، لكنه يظل مسيطرا على الحبكة، رغم جوانب شخصياتها المتشابكة، ويترك مساحة للانتقال في الزمن، والقفز بين الأماكن والشخصيات والأحداث، لكنه يعرف أيضا كيف يسيطر عليها ويستعيد الصلة في ما بينها. تغيرت اهتمامات بيللوكيو بلا شك، من التمرد ورفض العائلة والمجتمع في أفلامه الأولى، إلى رفض الجنوح إلى التطرف والعنف ثم الإرهاب، ولكن دون أن يفقد قدرته على نقد المؤسسة السياسية وإفرازاتها السلبية.

بيللوكيو يمضي في مسيرته، حيث يحافظ على مكانته كمخرج- مؤلف مرموق داخل وخارج إيطاليا، يعبر في أفلامه عمّا يشغله من أفكار كسينمائي ينتمي أساسا إلى اليسار، ولكنه رغم ذلك، يلتقي فكريا مع اثنين من أعظم السينمائيين الإيطاليين في كل العصور: جياني إيميلو (الإنساني) وإيرمانو أولمي (الكاثوليكي).

روما ترمم أبرز معالمها الأثرية

ثورة في الكولوسيوم لتغيير عادات السياح القديمة

ضخامة الكولوسيوم تجعل كل من يراه يتساءل عن الكيفية التي تمكن القدماء بواسطتها من بناء مدرجات بهذا الحجم، كان يلتقي فيه الجماهير يجمعهم الشعور الغامر بالإثارة والفرح والحزن أثناء متابعة مباريات المصارعة، وظل السياح يزورونه بالآلاف كل سنة مبدين إعجابهم بالهندسة الرومانية، لذلك تحاول بلدية روما ترميمه والحفاظ عليه.

مشروع الترميم يواجه دعاوى قضائية تهدد بتعطيله

❏ **روما** – يفرك أبناء روما أعينهم غير مصدقين، فالعمدة الجديد للمدينة التي تلقب بالخالدة إيجانزيو مارينو يعمل على تنفيذ "ثورة" في الكولوسيوم، وهو مدرج عملاق كان يستخدم في مباريات المصارعة والاحتفالات الجماهيرية في العصر الروماني حيث لم تتغير عادات السياح منذ أجيال.

ومن المقرر أن تبدأ أخيرا، أعمال الترميم في هذا المعلم البارز للعاصمة الإيطالية والتي تأخرت مرارا كعادة أهالي روما.

بل إن الأكثر إثارة للدهشة هو أنه لن يسمح، اعتبارا من أغسطس المقبل، للسيارات الخاصة بالسير بالقرب من أكبر مسرح نصف دائري يرجع تاريخه لروما القديمة، وسيتعين على حافلات السياح أن تنتظر في أماكن أخرى. وهذه الخطوات والهش، على الرغم من حاجته العاجلة للترميم.

ورغم أن العمدة يعلم أن أي إغلاق لشارع في روما يسبب على الفور مزيدا من الضوضاء والازدحام المروري في أماكن أخرى، إلا أنه مصمم على تنفيذ مشروعه.

فهو يريد أن يظهر للجميع أنه راع للسياسة الثقافية والبيئية حتى على الرغم من أن التجار الذين يخشون من كساد أعمالهم يعارضون أي تغيير، وبدأ الخلاف بنزاع تختلط فيه التراجيديا بالكوميديا يتعلق بالكولوسيوم ذاته.

وقد مر عامان ونصف العام منذ أن تم إعلان مشروع لتجديد هذا الهيكل في عهد العمدة السابق، وذلك برعاية رجل الأعمال دييجو ديلا فالي الذي يدير شركة تدوز للمنتجات الجلدية. وعندما طرح المسؤولون في وقت لاحق من خلال وسائل الإعلام أكثر الخطط طموحا في هذا الصدد، قوبلوا بعاصفة من الاعتراضات والدعاوى القضائية.

ولم يتم بعد تسوية جميع هذه الدعاوى القضائية، غير أن العمدة أعلن أن العمل يوشك أن يبدأ.

وستتكلف عملية تنظيف وتثبيت صفوف الأعمدة بالكولوسيوم التي اتسخت بمرور الزمن ويبلغ ارتفاعها 50 مترا ثمانية ملايين يورو، ومن المتوقع أن يستغرق هذا العمل وحده عامين ونصف العام وسيتم إقامة مدخل جديد للسياح إلى الكولوسيوم.

وقال العمدة لجميع المشاركين في تنفيذ المشروع "إننا على وشك أن نحقق حلما كان براودنا منذ عقود، ونحن سندشن عملية ذات قيمة ثقافية كبرى"، وفي مقارنة مبالغ فيها تحدث العمدة مارينو عن "أكبر حديقة للآثار على ظهر الأرض". وهو ضرورية بالنسبة للعمدة، اليساري الاتجاه، ليس فقط لإنقاذ الكولوسيوم من مظاهر التلف الناتج عن عوامل التعرية وكذلك التدهور الحادث، ولكن أيضا لبدء تجميع حديقة واسعة للآثار في المنطقة حول المحفل الروماني، وهو قصر قديم كان مركزا للأنشطة الاحتفالية والتجارية في العصر الروماني.

ويأتي كل عام ما يصل إلى ستة ملايين زائر لمشاهدة هذا المعلم السياحي الكبير الذي يرجع تاريخه للقرن الخامس عشر.

كما يرى السياح لمحة من الفوضى الضاربة في روما العصرية.

وتم وضع حواجز لتسهيل عملية إقامة خط لمترو الأنفاق، وتمتد الحواجز من الكولوسيوم حتى المحفل الروماني، وخلال أيام الأسبوع تزدحم حركة المرور لتتخذ شكلا عاصفا حول الكولوسيوم الضخم يعني بذلك جميع الآثار المتبقية من روما القديمة التي تحيط بالكولوسيوم وبالمحفل الروماني، وهما أكثر المواقع المحبوبة من جانب السياح.

وحيث أن أبناء روما متشككون بطبعهم، فإنهم يتخذون موقف المراقب انتظارا لما ستسفر عنه التطورات، ومترقبين ما إذا كان سيتحقق شيء على أرض الواقع.

والخطوة التالية ترقى إلى مرتبة ثورة صغيرة في مدينة مكبلة بالازدحام المروري، فحوالي نصف المساحة بين المحفل الروماني وبين الكولوسيوم وميدان فينيسيا ستكون محظورة على السيارات الخاصة.

وسيسمح فقط بمرور الحافلات وسيارات الأجرة على أن تسير ببطء. ويستطيع سكان روما والسياح حتى الآن الاستمتاع فقط بشارع خال من مرور السيارات على طول المحفل الروماني والمواقع القديمة وذلك في أيام الآحاد. ويفكر العمدة بالفعل في خطط مستقبلية، فمع نهاية العام الحالي سيتحقق مزيدا من الراحة والهدوء.

ويعتزم العمدة توسيع الطرق الجانبية من ثلاثة أمتار إلى ستة، وذلك على طول شارع دي فوري إيمبريالي حيث يوجد الكولوسيوم وهو الشارع الذي أقامه الدكتاتور بنيتو موسوليني، وبالإضافة إلى ذلك سيتم تخصيص طريق للدراجات يصل إلى حديقة كولي أوبيو وهي فكرة جديدة بالنسبة لروما.

ويأمل العمدة مارينو أن تشكل كل هذه الخطوات "حديقته الأرضية الكبيرة في قلب روما"، وسيراقب المواطنون في روما وملايين السياح من مختلف دول العالم ما إذا كانت جهوده ستكلل بالنجاح.

> ثمانية ملايين يورو تكلفة عملية تنظيف وتثبيت صفوف الأعمدة بالكولوسيوم التي اتسخت بمرور الزمن ويبلغ ارتفاعها 50 مترا، ومن المتوقع أن يستغرق هذا العمل وحده عامين ونصف العام

■ للسياح آراء

الجزائر تتأرجح في الميدان السياحي

❏ **الجزائر** – مع حلول كل صيف يتكرر المشهد في الجزائر. مئات الآلاف يحزمون أمتعتهم ويغادرون باتجاه أوروبا والولايات المتحدة وآسيا، لكن خصوصا نحو الجارة تونس لقضاء أيام أو بضعة أسابيع بحثا عن الراحة والاستجمام، وهي الفرصة التي على ما يبدو لم تتح لهم في وطنهم بالرغم من توفر كل المقومات التي تجعل منه بلدا سياحيا بامتياز.

وتمتاز الجزائر بالعديد من المرافق السياحة في مختلف مناطق البلاد ولكل منها نكهته الخاصة، فمن الشواطئ المتوسطية إلى المرتفعات الجبلية الخضراء، ومن الكورنيش والأرصفة البحرية وصولا إلى بعض المدن الجزائرية المتميزة بعراقة الموسيقى الأندلسية وإلى الصحراء التي تحيي المخيلة بشروق شمسها وغروبها.

ويتساءل كثيرون عن الشيء الذي يمنع الجزائر، هذا البلد الذي يمتدّ شريطه الساحلي على أكثر من 1200 كيلومتر وصحراؤه على أكثر من 2000 كيلومتر ومؤهلات طبيعية استثنائية، من بلوغ مستوى تونس والمغرب على الأقل، مفضلا البقاء على هامش التطور السياحي.

وتظهر بيانات اقتصادية أن نسبة السياح المتدفقين على الجزائر، من إجمالي السياح في العالم، لا تتجاوز 2 بالمئة سنويا، وهو ما يجعلها مصنفة من حيث حصة السياحة في الناتج المحلي الخام في الرتبة 147 من مجموع 174 دولة. ببساطة الجزائر لم يزرها سوى 1.9 مليون (أغلبهم من المغتربين المقيمين بأوروبا) من بين 800 مليون سائح في العالم خلال العام الماضي.

● **علاوة حاجي اعلامي:** ترتبط وضعية السياحة المزرية في الجزائر بتداعيات الأزمة الأمنية التي عصفت بها خلال تسعينيات القرن الماضي، والتي أثرت بشكل سلبي على صورتها في الخارج، مع الأخذ بعين الاعتبار الدور السلبي الذي لعبته بعض وسائل الإعلام الأجنبية التي رسمت صورة قاتمة للجزائر خلال تلك الفترة، ما أدى إلى تقلص أعداد السياح الذين يقصدونها بنسب كبيرة.

لكن الإشكالية التي تعيق تطور السياحة في الجزائر لا تنحصر حتما في الجانب الأمني، وإنما ترتبط أيضا بالخدمات السياحية وثقافة المواطن السياحية التي تطورت سلبا بالنسبة للسياحة.

● **مين، موظف بمؤسسة خاصة:** المتأمل في الأسعار المقترحة بالجزائر، يعتقد نفسه وكأن البلد ينافس جزر المالديف والباهاماس وميامي وبرشلونة وماليزيا، في حين أن الخدمات المقدمة لا تستحق دينارا واحدا، فتكاليف الإقامة ليوم واحد بفندق الشيراتون بالعاصمة أو بمدينة وهران (غرب البلاد) أكبر بكثير من تكاليف الإقامة بفندق 3 أو 4 نجوم لمدة أسبوع بتونس، فضلا عن خدمات وجو عام أفضل بكثير. لذلك يختار الجزائريون قضاء أسبوع أو أكثر في تونس، وحتى المغرب.

● **السيدة جميلة:** يشكّل نقص المرافق هاجسا حقيقيا للعائلات، وحتى الأشخاص الذين يستعدون للسفر بشكل فردي. وذلك لانعدام بنية سياحية بالجزائر، لأن السياحة ليست بحرا وفندقا. كما أنها ليست أيضا التغني على مدار السنة بالإمكانيات التي تزخر بها الجزائر، بقدر ما هي مسألة توفير الأمن والهدوء والنظافة. التهاب أسعار الفنادق والمركبات السياحية دفع بالعديد من الجزائريين إلى الاستثمار في السياحة من خلال انتشار ظاهرة استئجار البيوت والمنازل في المدن الساحلية.

■ أين تذهب

غروب الشمس يعانق ناطحات السحاب في الكويت

❏ **الكويت** – عند غروب الشمس، وهناك.. بعيدا عن مركز المدينة على الواجهة البحرية في الكويت العاصمة، تلفت نظرك تلك الإطلالة الجمالية الرائعة التي تمتزج فيها ظلال ناطحات السحاب التي تميز الكويت بجمال تصميماتها وتفرد أشكالها بمياه الخليج الزرقاء لتشكل لوحة يصطف قاطنو الكويت لمشاهدتها والاستمتاع بها لاسيما في ساعات الغروب، فالمباني الأنيقة التي تسر الناظرين ببنائها الحديث تزيد جمال الواجهة البحرية رونقا وبهاء بإبداعاتها الهندسية وارتفاعاتها الشاهقة المتراصة كالنخل الباسقات.

ناطحات السحاب في الكويت هي أجمل ما يمكنك مشاهدته من الأبنية الحديثة، حيث يشهد العقد الأخير على روعة بناء الأبراج العالية التي تتمركز في العاصمة الكويت وخصوصا على الواجهة البحرية بعيدا عن مركز المدينة، وستدهشك البنايات التي تهدف إلى جعل الكويت مركزا ماليا وتجاريا في المنطقة.

في السابق، لم تكن الحكومة تصرح ببناء ناطحات السحاب في الكويت، لكن الأمر تغير منذ عام 2006 عقب دعوة أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح بجعل الكويت مركزا ماليا وتجاريا بين جيرانها، وهذا كان بمثابة الضوء الأخضر الذي انطلقت على إثره المشاريع الكبرى، حيث ارتفعت أول ناطحة سحاب في سماء الكويت مؤذنة ببداية ظهور الأبراج العالية.

ويقول المدير الإداري ببرج الحمراء أحمد السهيل "إن مشاريع ناطحات السحاب تُبنى لتدوم، ولذلك فإن الرؤية عند بنائها لا ينبغي أن تكون قاصرة على مكوثها لسنوات قليلة بل يجب أن تمتد لمدى بعيد". وأضاف أن "ناطحات السحاب تحتاج إلى جرأة كبيرة أثناء التخطيط والتنفيذ لكي يكون بقاؤها مضمونا، ويتوازى مع ذلك ضرورة أن تكون تصميماتها من الخارج لافتة حتى تعطي قيمة للمكان التي تُبنى فيه وتصبح من معالمه السياحية، وهذا هو الحاصل في بلد مثل هونغ كونغ على سبيل المثال".

ويتمتع برج الحمراء بتصميم فريد جعل من تنفيذه تحديا عمرانيا، فهو يقوم على مساحة تصل إلى 300 ألف متر مربع، ويصل ارتفاعه إلى 414 مترا وهو مكون من 80 طابقا.

وتبلغ مساحة الطابق 2400 متر مربع بارتفاعات طوابق تختلف عن أي برج آخر في العالم لتصل إلى 10 أمتار في بعض الطوابق، ما يجعله يساوي 100 طابق بالمعايير العالمية، كما تحيط بالمشروع من الخارج مساحات خضراء ونافورات مائية تقدر مساحتها بـ6 آلاف متر، ولأنه أول وأطول ناطحة سحاب منحوتة في العالم، فقد حاز على عدة جوائز عالمية.

أما أحمد السميط، العضو المنتدب لشركة أبراج المتحدة المالكة لثاني أكبر برج في الكويت وهو برج "كيبكو"، فأكد أن البرج مبنى ذكي بمعنى الكلمة نظرا لتمتعه بالكثير من التقنيات العالية مثل الألياف الضوئية "الفايبر أوبتكس"، إضافة إلى احتوائه على كثير من المساحات التي تتناسب مع السوق وتلبي احتياجاته.

الأبراج العالية بالهندسة المعمارية الحديثة تزيد الكويت روعة

■ مواعيد سياحية

◄ **مؤتمر السياحة العلاجية في دبي**

■ دبي تستضيف المؤتمر الدولي العاشر للسياحة العلاجية يومي 6 و7 سبتمبر بمدينة دبي الطبية، بمشاركة وزراء الصحة والسياحة من معظم الدول العربية، وسيتم في نهايته إصدار "إعلان دبي لتطوير السياحة العلاجية في المنطقة" إلى جانب مشاركة ممثلي نحو 80 دولة من أفريقيا وآسيا وأوروبا، إضافة إدول عربية اخرى.

◄ **منتزه مستوحى من فيلم أفاتار**

■ شركة ديزني تعلن عن تطوير متنزه مستوحى من أجواء فيلم أفاتار الشهير. وهو المتنزه المتوقع أن يفتح أبوابه أمام الجماهير في العام 2017. وتقوم ديزني مؤخرا، بتحويل قسم مملكتها الحيوانية الموجود في عالم ديزني في فلوريدا إلى منتزه تطغى عليه أجواء مماثلة لتلك التي ظهرت في فيلم أفاتار.

◄ **عجلة السياحة في مصر تتحرك**

■ سجلت أعداد السائحين الوافدين إلى مصر ارتفاعات كبيرة خلال الفترة الماضية، وذلك منذ بداية موسم الصيف، حيث أعلن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء بمصر، ارتفاع عدد السائحين الوافدين من كافة دول العالم إلى مصر بنسبة 2.9% ليصل إلى 911.6 ألف سائح خلال يوليو 2015، مقابل 885.8 ألف سائح في نفس الشهر من العام الماضي.

◄ **الأردن تستقطب الخليجيين**

■ أكد وزير السياحة والآثار الأردني أن الإمارات تعد من أهم الوجهات الرئيسية بالنسبة للأردن سياحيا. وقال أن التركيز على السياحة العلاجية يأتي ضمن أولويات هذا التوجه حيث تم في هذا الإطار الاتفاق على تعاون مستقبلي مع هيئة الصحة بدبي لتقديم الخدمات العلاجية للإماراتيين في الأردن فضلا عن تبادل الخبرات والتعاون على الصعيد المهني

◄ **تونس تخسر مليون سائح**

■ قالت وزيرة السياحة التّونسية، إنّ "عدد السياح نهاية شهر آب، نحو 3 ملايين، مسجلا بذلك تراجعا قدره مليون سائح مقارنة بنفس الفترة من 2014". وأوضحت أنّ "قطاع السياحة يعيش أزمة منذ 2010، تفاقمت بعد الثورة ليتراجع عدد السياح بنسبة 50 بالمئة" مع تتالي الهجمات الإرهابيّة

أم«روبوتية» تؤسس لمجتمع روبوت يتعايش مع الإنسان

الخبرة تكفل لها توريث الصفات المستحبة للنسل الجديد

الثورة العلمية والتكنولوجية تسهم بتغير الكثير من الأمور في مختلف قطاعات الحياة، كما يقول بعض الخبراء الذين أكدوا على أن المستقبل سيشهد تحولا هاما خصوصا مع ازدهار بعض الصناعات والابتكارات العلمية التي ستصبح من الأساسيات المهمة، منها صناعة الروبوت وتطويره التي شهدت طفرة هائلة في السنوات الأخيرة، حيث دخلت هذه الآلات في عمل الكثير من المؤسسات بل أصبحت لها مشاعر وأحاسيس.

❏ **لندن** – نجح علماء من جامعة كمبردج في ابتكار أمّ "روبوتية" يمكنها أن تقوم "بتنشئة صغارها" بنفسها، ثم تتولى اختبار قدراتهم لتقوم بتصميم جيل قادم من خلال تحليل المعلومات المستقاة من مراقبة "الصغار"، ما يكفل لها "توريث" الصفات المستحبة للنسل الجديد مع استبعاد مواطن الضعف والخلل.

وقال أندريه روزيندو الذي تولى هذا المشروع بقسم الهندسة بالجامعة "ابتكرنا روبوتا يمكنه تنشئة روبوتات أخرى ولدينا في الأساس أمّ روبوتية لديها وحدات إلكترونية مكعبة عديدة يمكنها استخدام الصمغ في تجميع مكونات منها لتصبح روبوتا صغيرا يتولى العمل بمفرده، فيما تباشر الأمّ تقييم سلوك هؤلاء الصغار لتستعين بهذه المعلومات في تخليق جيل جديد من الروبوتات".

وخلال الاختبارات التي أجريت على الأمّ الروبوت كانت هذه الأمّ تقوم بتغيرات مختلفة عفوية في تركيب المكعبات الصغيرة، مثلما يجري في حالة التغيرات التي تحصل في الجسم الحي. وبعد انتهاء هذه الاختبارات كانت الأمّ تأخذ تلك الروبوتات الصغيرة التي كانت تتحرك أسرع من الآخرين. وبعد الاختبار العاشر اختارت الأمّ الروبوتات الصغيرة التي تراوحت سرعتها من 2.8 إلى 6.7 سم/ثانية. هذه النتائج تعطي العلماء الأمل في أن هذه الطريقة ستصبح الأساس في تصميم روبوتات قادرة على التفكير، والتطور ذاتيا في الاتجاه الأفضل.

ولا يتدخل البشر في هذه الإجراءات إلا من خلال إصدار أوامر بالكمبيوتر لتخليق روبوت قادر على الحركة، فيما تستعين الأم بعدد يتراوح بين مكعب وخمسة مكعبات بلاستيكية تلصقها ببعضها بالصمغ.

وكل مكعب به محرك صغير بداخله، حيث تصنع تشكيلات ذات تفاوت بسيط تنتج عنها معدلات مختلفة من الحركة عند تشغيل المحركات. وتجري الأمّ اختبارات على سلوك كل روبوت صغير في إطار زمني معلوم ليتم نقل أفضل الصفات إلى الجيل القادم من الروبوتات.

وقال الباحثون إن بوسع الأمّ أن تنتج مئات من الصغار لتراقب أداءهم وتلفظ الغث منها وتحتفظ بالسمين كي تنشئ جيلا أفضل، فيما يشبه فيلما من الخيال العلمي.

هذه الروبوتات المتطورة، وعلى الرغم من أهميتها الكبيرة، تثير الكثير من المخاوف، خصوصا وأن البعض يخشى من استفحال خطرها وتهديداتها المستقبلية التي قد يصعب السيطرة عليها.

وبرهنت نتائج خمس تجارب مختلفة نشرت في الآونة الأخيرة في دورية "بلوس وان" على مدى قدرة الأم الروبوتية على تحسين أداء صغارها بمرور الزمن. واستعان الباحثون بعدد 500 روبوت وصنّعت الأم 500 روبوت صغير، فيما يهدف مجال الروبوتات القادرة على تنشئة روبوتات أصغر إلى بناء روبوتات صغيرة دون أي تدخل بشري لتطبق الروبوتات مقولة "البقاء للأصلح" الخاصة بالنشوء والارتقاء في الجنس البشري.

وعلى الرغم من تشاؤم بعض الخبراء وخوفهم من تفوق الروبوتات على القدرة الإنسانية يتفاءل آخرون بأن تستفيد البشرية من بحوث الذكاء الاصطناعي المستمرة حاليا، بل يؤكد هؤلاء أن الروبوتات قد تساعد في التعويض عن الإخفاقات البشرية.

ويؤكد أستاذ هندسة الميكانيك وعلوم الفضاء بجامعة كورنيل، وأحد مطوري الروبوتات الذكية، هود ليبسون، الذي يتوقع أن تتجاوز قدرات الذكاء الاصطناعي مثيلتها لدى الإنسان في القرن القادم.

ومن بين الذين ينتابهم شعور بالخوف على مستقبل البشرية، العالم الفيزيائي البريطاني الشهير ستيفن هوكينغ الذي حذر من أن تطوير ذكاء اصطناعي كامل قد يمهد لنهاية الجنس البشري.

وأوضح هوكينغ أن بمقدور تقنيات الذكاء الاصطناعي أن تعيد تصميم نفسها ذاتيا، وتتطور بشكل متسارع، وهو أمر يتجاوز قدرات الجنس البشري، مما قد يؤدي إلى استبدال الإنسان بالتقنيات الاصطناعية كونها أكثر تطورا.

يذكر أن الروبوت "ببير"، يمكن الإصغاء للمتحدث دون مقاطعة، كما يمكنه مواساة الشخص الحزين، وهذا ما يجعل منه روبوتا صديقا ووفيا للإنسان يمكنه التحدث ويحمل قلبا اصطناعيا مليئا بالأحاسيس البشرية.

وتعهد مصنعو الروبوت عند تقديمهم له بأن "ببير" سيكون "روبوتا بشريا صُنع

> لا يتدخل البشر في مشوار الروبوت «الأم»، إلا من خلال إصدار أوامر بالكمبيوتر لتخليق روبوت قادر على الحركة، فيما تستعين الأم بعدد يتراوح بين مكعب وخمسة مكعبات بلاستيكية تلصقها ببعضها بالصمغ

وصُمم ليعيش مع البشر". ويمكن للروبوت أيضا القيام بالواجبات المنزلية وتولي بعض الخدمات الاجتماعية. كما يمكنه أن يتكلم مع صاحبه وأن يتفاعل مع مشاعره وأن يظهر أيضا المشاعر، بل يمكنه حتى البكاء، إذ تبدأ عيناه بالإضاءة بصورة خافتة لتبدو وكأنهما تبكيان.

وهذا يعني أنه بإمكان صناعة عائلات وأجيال من الروبوت بمشاعر وقلوب تفرح وتحزن، وتختلف عائلة عن الأخرى وجيل من الربوت عن جيل قادم، وليس مستبعدا أن تتواصل الروبوتات فيما بينها بالإيماءات والتعبيرات ونبرات الصوت من خلال برنامج الذكاء الاصطناعي، بل يمكنها أن تحزن وتفرح لبعضها من خلال محرك العواطف كما تطلق عليه الشركة المصنعة لبيبر، والتي تؤكد أن الأشخاص يمكنهم أن يتواصلوا مع بيبر تماما كما يفعلوا مع الأصدقاء والعائلة من البشر.

كثرة نطاقات الإنترنت توسع دائرة نشاط القراصنة الإلكترونيين

القراصنة في بحث دائم عن منافذ جديدة لصنع روابط إلكترونية تقود المستخدمين لتحميل برامج خبيثة واقتناص بيانات شخصية أو إرسال رسائل غير مرغوب فيها لأصدقائهم، وحتى ارتكاب جرائم أخطر من مجرد إزعاج الغير عبر وسائل الاتصال، تصل خطورتها إلى درجة الاختلاس والتحيل والابتزاز.

❏ **نيويورك** – يُسلّم الجميع بأن للشبكة العنكبوتية دورا هاما في نشر الأفكار والأخبار والسياسات والثقافات والمعاملات الاقتصادية، في عالم افتراضي واسع و معقد، عبر تقنية بسيطة في متناول الجميع. وهذا ما جعل جل المؤسسات والشركات بكل توجهاتها، تستثمر إمكانات هذه الشبكة وهو ما ولّد بالفعل مخاطر ذات أبعاد أمنية، تهدد مواقع إلكترونية أو مؤسسات ناشطة بها، بل وأخذت تمسّ بأمن الدول والمجتمعات على اعتبار أن الجرائم الإلكترونية باتت تشكل تحديا كبيرا للاقتصاد العالمي.

وأفادت دراسة صناعية بأن التوسع الكبير في العناوين الجديدة للإنترنت أتاح فرصا غير محدودة أمام المجرمين لاستغلال النطاقات الغامضة مثل دوت زيب أو دوت كيم أو دوت بارتي.

ورغم تزايد الأبحاث لمحاولة ابتكار أنظمة تكفل لأي كمبيوتر الحماية اللازمة، فإنه في المقابل يعمل القراصنة على تطوير الحيل المضادة لهذه الحصون الأمنية، ومعنى ذلك أن خطر انتهاك أمن و سلامة الكمبيوتر مستمر مع استمرارية هذه التحصينات الأمنية، وذلك راجع لكون من يقوم بالقرصنة الإلكترونية هو شخص أو عدّة أشخاص متمكّنون في برامج الكمبيوتر وطرق إدارتها، أي أنّهم مُبرمجون ذوو مستوى عال يستطيعون بواسطة برامج مساعدة اختراق أي كمبيوتر والتعرف على محتوياته، ومن خلالها يتم اختراق باقي الأجهزة المرتبطة ببعضها في نفس الشبكة.

وخلص تحليل لعشرات الملايين من مواقع الإنترنت أجرته شركة الأمن الإلكتروني "بلو كوت" إلى أن أكثر نطاقات الإنترنت الشائعة خطورة هي دوت زيب ودوت كانتري، بينما كانت النطاقات الأكثر أمانا هي دوت لندن ودوت تيل ودوت تشرش.

وهو ما يختلف عما وقعت ملاحظته حسب تقرير نشر سنة 2009 ، حينذاك تبين أن دوت كوم ودوت أنفو كانت هي أكبر المصادر للمواقع الخطرة بنسبة 32.2 بالمئة و15.8 بالمئة على التوالي.

وكشف التقرير أن أكثر من 15 مليون اسم نطاق تم فحصها في دوت كوم وجد أن مجموعات النطاقات الخطرة يساوي 918.873، وكذلك من بين 629.601 نطاقا تم فحصها في دوت أنفو وجد أن مجموع النطاقات الخطرة يساوي 403.137، مما يؤكد أن هناك جهودا مبذولة على مر السنين من القائمين على المواقع الإلكترونية لضمان حماية أنجع لمستعملي الإنترنت.

وأطلقت الهيئة القائمة على إدارة تعريفات الشبكة العنكبوتية (آيكان) مؤخرا، مبادرة لتوسعة عدد النطاقات لتعزيز المنافسة والاختيار على الإنترنت. وفي البداية كان هناك ستة نطاقات فقط هي دوت كوم ودوت اديو ودوت جاف ودوت ميل ودوت نت ودوت اورج.

ويتعين على المنظمات التي تريد بيع نطاقات جديدة دفع رسوم قدرها 185 ألف دولار إلى (آيكان) والبرهنة على قدرتها على إدارة سجلات هذه المواقع.

ويصعب تحديد حجم سوق مبيعات أسماء نطاقات الشبكة العنكبوتية عالميا، بسبب أن الكثير من المبيعات يجري بشكل خاص. والسعي وراء نطاقات قد يتكلف ملايين الدولارات، فيما الحصول على نطاقات غامضة قد يتم مقابل نحو 99 سنتا.

وفي ظل كل هذه التطورات والتوسع في العناوين الجديدة للإنترنت يرى الخبراء أن (الايكان) يجب أن تضع حدا لمخاطر القرصنة وتقود المبادرة الرامية إلى جعل بيئة الإنترنت أكثر أمنا، ذلك أن الحرب الهجومية على قراصنة الإنترنت تبدأ من (الأيكان) نفسها خاصة وأن القرصنة لم تعد تتعلق بمجرد هاو من الهاكرز يسعى من خلال أفعاله إلى إثبات نجاحه في استخدام الإنترنت بهدف التفاخر بين الأصحاب كشخص يَمتلك مواهب.

وكلّ ما يشغله هو التسلّل إلى كمبيوترات الآخرين وسرقة بريدهم الإلكتروني، مع ترك ما يفيد أنه فعل ذلك كشكل من أشكال الغرور، بل إن الأمر تعدى ذلك وأضحى خطيرا على اعتبار أن الجريمة الإلكترونية أضحت من الجرائم الدولية التي قد تمس من استقرار الدول.

وقد تصبح في القريب العاجل وسيلة من الوسائل الاستعمارية الجديدة، فلم يعد يرتكبها أفراد بل أضحت هناك منظمات إرهابية ترى في هذه الجرائم وسيلة إما للاستقطاب وضم أنصار جدد أو للترهيب والابتزاز، بل إن القرصنة الإلكترونية أضحت تمارس من دول لأهداف استخباراتية، كما وقع اكتشافه من فضيحة التنصت الدولية.

وهو ما جعل من بعض الملاحظين يرون أن هناك دولا عظمى و وراؤها شركات عملاقة تتحكم في المجال الافتراضي ولا تصدر مضادات القرصنة إلا بغاية تحقيق ربح مادي وليس بهدف تحقيق الأمن الافتراضي، مقتنعين بأنه مهما بلغ ذكاء المقرصنين فإنه بالإمكان التغلب عليه لو وجدت الإرادة لذلك.

جديد التكنولوجيا

❏ غوغل تعلن عن قيام متصفح الإنترنت كروم الشهير بإيقاف الكثير من عناصر الإعلانات، التي تعتمد على تقنية الفلاش، تلقائيا اعتبارا من الأول من الشهر الحالي.

وأوضحت الشركة الأميركية أن الهدف من وراء هذا الإجراء يتمثل في المقام الأول في منع تدهور الأداء والاستهلاك المرتفع للطاقة الكهربائية بالأجهزة الجوالة. ويعمل قفل الفلاش بصفة خاصة إلى إيقاف عناصر الإعلانات، التي تظهر على حافة الشاشة، مثل إعلانات الفيديو، التي تعمل تلقائيا.

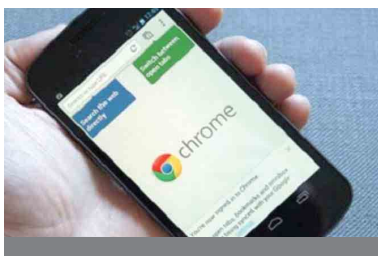

❏ أبل تحصل على تسجيل رسمي لبراءة اختراع جديدة بعنوان "شبكات لاسلكية مع إمكانية الكشف عن الحرائق"، بحسب مكتب حقوق الملكية وبراءات الاختراع الأميركي.

ووصفت براءة الاختراع الجهاز الجديد بأنه قادر على الكشف عن الحرائق والتعرّف على المُستخدمين الموجودين بالقرب من موقعه الجغرافي لإرسال تنبيهات إليهم مع تفعيل أنظمة الإنذار الموجودة في الأبنية ومُراسلة مراكز الإطفاء.

❏ تطبيق "تيب" يقدم طريقة مبتكرة لتتبع النشاط الرياضي للمستخدم، بحيث يتوجب على المستخدم الاعتناء بالكائن الموجود بداخل التطبيق والمحافظة على صحته.

وفكرة تطبيق "تيب" تقوم على إجراء رياضة الجري أو المشي من أجل الحصول على نقاط يمكن بها الاهتمام بالكائن الموجود بداخل التطبيق، بحيث يتم شراء الأطعمة والمشروبات له، بالإضافة إلى الاهتمام بمظهره، وهو ما قد يدفع المستخدم لممارسة الرياضة بشكلٍ لطيف ومسلّ.

❏ "لينكد إن" تعيد تصميم خدمة المراسلة بين مستخدميها، لتتخلى عن التصميم القديم الذي يشابه خدمات البريد الإلكتروني التقليدية، والذي لم يحظ بشعبية كبيرة.

وأوضحت الشركة، التي تملك أكبر شبكة للتواصل الاجتماعي بين المهنيين في العالم، في منشور لها على مدونتها أن الخدمة صُممت لتشابه تطبيقات التراسل الفوري العصرية، وستتضمن مزايا، مثل الصور المتحركة "جيف"، والملصقات، والرموز التعبيرية، لإضفاء "طابع شخصي أكثر" على المحادثات الفردية والجماعية.

❏ شركة فيسبوك تبدأ باختبار مساعد شخصي رقمي على برنامجها للمحادثة "مسنجر" على غرار المساعد الشخصي من غوغل على أنظمة آندرويد ونظيره من آبل "سيري". وأوضح ديفيد ماركوس، من شركة فيسبوك، أن المساعد الشخصي "أم" يتجاوز عتبة المساعدة المعلوماتية ليقوم بتنفيذ مهام عملية عوضا عن المستخدم، إذ يمكن أن يشتري حاجيات المستخدم على الشبكة، أو يرسل الهدايا للأصدقاء في المناسبات، ويمكنه تنفيذ حجوزات المطاعم، وترتيبات السفر والمواعيد وغير ذلك الكثير.

اللياقة البدنية خلال فترة المراهقة تطيل العمر

المراهقون الذين يداومون على أداء التمارين يحققون مستويات عالية في اختبارات الذكاء

انخفاض مستويات اللياقة البدنية وزيادة مؤشر كتلة الجسم أمر شائع بين المراهقين في شتى أنحاء العالم. وحذرت عدة دراسات من المشاكل التي تواجه المراهقين بسبب انخفاض ونقص اللياقة، وشددت على الحرص على ممارسة الرياضة بمعدل 30 دقيقة في اليوم، نظرا لأن الرياضة والحركة لهما دور في الحد من زيادة الوزن ورفع مستوى النشاط.

ممارسة الرياضة خلال فترة المراهقة لها منافع طويلة الأمد

□ **واشنطن** – أثبتت دراسة أميركية صينية حديثة أن ممارسة الرياضة في مرحلة الشباب تحد من خطر الوفاة بسبب أمراض القلب والسرطان في الكبر.

وقيمت الدراسة بيانات 75 ألف سيدة تقريباً، تتراوح أعمارهن من 40 إلى 70 سنة. واشتملت هذه البيانات على معلومات مفصلة عن الأنشطة الرياضية في المرحلة العمرية من 13 إلى 19 سنة وعوامل حياتية في مرحلة البلوغ (مثل الوزن الطبيعي ونسبة الخصر إلى الأفخاذ والتدخين السلبي والاستهلاك اليومي من الفواكه والخضراوات) ومعدلات الوفاة.

رصدت الدراسة 5282 حالة وفاة، من بينها 2375 حالة إثر الإصابة بالسرطان و1620 حالة وفاة إثر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، بعد فترة متابعة بلغت في المتوسط 12.9 سنة.

وبغض النظر عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية في مرحلة الكبر، أظهرت نتائج الدراسة أن ممارسة الرياضة في مرحلة الشباب ساعدت على خفض خطر الوفاة في الكبر إثر الإصابة بالسرطان بنسبة 16 بالمئة، وإثر الأسباب الأخرى بنسبة 15 بالمئة. كما أن ممارسة الرياضة في مرحلة الشباب ومرحلة الكبر أسهمت أيضا في خفض خطر الوفاة في سن مبكرة بنسبة 20 بالمئة.

وأشارت نتائج الدراسة إلى أهمية تشجيع الشباب على ممارسة الرياضة والأنشطة الحركية للحد من معدلات الوفاة المبكرة. كما أكدت على أن الوقاية ينبغي أن تبدأ في سن مبكرة.

وتوصلت دراسة أميركية أنجزت في وقت سابق إلى أن اللياقة البدنية تجعل أداء المراهقين أفضل من الذين يعانون من الكسل الشديد في أغلب أوقاتهم. وأكدت أن اللياقة البدنية لها تأثيرات إيجابية على الصحة

> المراهقون كانوا أكثر ميلا للإقلاع عن التدخين عند اشتراكهم في برنامج شمل اللياقة الامتناع عن التدخين، ولزيادة عدد الأيام التي مارسوا فيها 30 دقيقة من التمارين

الجسمانية والعقلية، مشيرة إلى أن الذين يتمتعون بلياقة بدنية عالية، يؤدون وظائفهم أفضل بكثير من الذين يشعرون بالكسل المستمر، في ما يخص النواحي الدراسية أو الاختبارات التي يمرون بها في دراستهم.

وقالت إن عوامل اللياقة البدنية تلعب دوراً كبيراً في تحديد مستوى ذاكرة الإنسان والقدرة على التعلم المستمر.

وأوضحت الدراسة أن الأشخاص الذين يداومون على أداء التمارين والاهتمام بصحتهم يحققون مستويات عالية مناختبارات الذكاء والعقل. وأن الذين لا يهتمون بصحتهم البدنية، يحققون مستويات منخفضة في نفس الاختبارات، الأمر الذي يثبت أن الصحة البدنية تؤثر بشكل فعال على الصحة العقلية والنفسية للإنسان.

هذا وأظهرت دراسة سويدية ارتفاع احتمال العيش لفترة أطول بالنسبة للرجال الذين كانوا مفتولي العضلات في فترة مراهقتهم. وبينت الدراسة التي درست حالة أكثر من مليون مراهق على مدى أربعة وعشرين عاما أن المراهقين الذين كانت قوتهم العضلية أضعف في القدمين والساعدين والقبضة ترتفع لديهم مخاطر الموت المبكر. وأشارت إلى أن القوة العضلية تعكس اللياقة البدنية العامة.

وأوضحت أن الاهتمام ببناء العضلات يجعل الإنسان يعيش مدة أطول، كما أن الضعف في اللياقة البدنية والقوة العضلية أحد عوامل الموت المبكر. فالرجال الذين كانوا شديدي البدانة أو النحافة تتساوى الاحتمالات السيئة بالنسبة إليهم خلال مراحل حياتهم، خاصة إذا كانت معدلات القوة العضلية أضعف لديهم، بينما ترتفع احتمالات النجاة من الوفاة المبكرة بالنسبة للرجال الأقوياء البنية حتى لو كانوا يعانون من زيادة في الوزن.

وكانت نسبة المراهقين الذين تمتعوا بقوة عضلية عالية ضمن المعدلات المطلوبة في بداية الدراسة تتراوح بين 20 إلى 35 بالمئة، وانخفضت لدى هذه النسبة احتمالات الوفاة المبكرة لأي سبب وحتى الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.

أما المراهقون ما بين 16 إلى 19 عاما الذين حققوا معدلات قوة عضلية أقل مقارنة بزملائهم، فقد ارتفعت لديهم معدلات الوفاة قبل بلوغ سن الخمسين، في حين كان المراهقون الذين التحقوا بالتجنيد في الجيش السويدي مطالبين بتمرينات إضافية للذراعين والساقين للوصول للقوة العضلية المطلوبة.

وصرح ناطق باسم المعهد البريطاني لأمراض القلب أن "الفائدة التي تعود من البدء في أي نشاط رياضي خلال أي مرحلة عمرية، هي أنها كما تظهر الدراسة تحمي الأطفال من تطور الأمراض معهم خلال فترات حياتهم المستقبلية، وكذلك تحسن أدائهم الدراسي، وترفع من مستويات نشاطهم الذهني".

كما أظهرت دراسة أميركية أخرى أن مقدارا بسيطا من التمارين اليومية يمكن أن يساعد المدخنين من المراهقين على التخفيف من تلك العادة المضرة أو الامتناع عنها.

ودرس الباحثون حالات 233 مراهقا في 19 مدرسة ثانوية في ويست فيرجينيا الأميركية، التي تشتهر بارتفاع معدلات التدخين فيها، حيث تصل نسبة المدخنين دون الثامنة عشرة في هذه الولاية إلى 13 بالمائة تقريبا، وفقا للمراكز الأميركية لمكافحة الأمراض والوقاية منها.

وكان جميع المراهقين في الدراسة مدخنين بشكل يومي، وبلغ متوسط التدخين لديهم 10 سجائر في اليوم و20 سيجارة في عطلة نهاية الأسبوع. كما كانت لديهم عادات غير صحية أخرى

وقالت المعدة الرئيسية للدراسة كيمبرلي هورن، مساعدة عميد كلية الصحة العامة والخدمات الصحية لدى جامعة جورج واشنطن: من المألوف أن ينخرط المراهقون المدخنون في عادات غير صحية، فالتدخين والخمول يسيران يدا بيد عادة.

وقسم الباحثون المراهقين إلى ثلاث مجموعات؛ شاركت الأولى في برنامج الامتناع عن التدخين مع برنامج اللياقة البدنية، وشاركت الثانية في برنامج للامتناع عن التدخين فقط، وتلقت المجموعة الثالثة محاضرة قصيرة مناهضة للتدخين فقط.

وبمجرد مشاركتهم في الدراسة زاد جميع المراهقين من نشاطهم البدني اليومي، ولوحظ تراجع ملحوظ في عدد السجائر المدخنة عند الذين زادوا من عدد الأيام التي مارسوا فيها التمارين لفترة 20 دقيقة على الأقل في اليوم، وهو ما يعادل المشي لمسافة قصيرة.

وخلصت الدراسة إلى أن المراهقين كانوا أكثر ميلا للإقلاع عن التدخين عند اشتراكهم في برنامج مشترك شمل الامتناع عن التدخين واللياقة، ولزيادة عدد الأيام التي مارسوا فيها 30 دقيقة على الأقل من التمارين.

وأوضحت هورن أن الدراسة تقدم دليلا آخر على فائدة التمارين التي يمكن أن يحصل عليها المراهقون الذين يحاولون الامتناع عن التدخين.

> النشاط الرياضي يحمي الأطفال من تطور الأمراض معهم خلال فترات حياتهم المستقبلية، وكذلك يحسن أداءهم الدراسي

ومن جهة أخرى أظهرت دراسة حديثة أن ممارسة الرياضات الجماعية والتمرينات خلال فترة المراهقة، قد تعود بمنافع طويلة الأمد على النساء وقد يقلص خطر الوفاة بسبب السرطان وأسباب أخرى.

وخلص الباحثون الذين حللوا بيانات عن عدد المرات التي مارست فيها النساء الرياضة خلال فترة المراهقة إلى أن النشاط لمدة 1.3 ساعة في الأسبوع له تأثير إيجابي مع تقدمهن في السن.

وقالت إن التمرينات خلال فترة المراهقة مرتبطة بتراجع خطر الوفاة بين النساء في منتصف أعمارهن أو أكبر، وأثبتت أن النساء اللواتي كن نشطات بدنياً خلال أعوام مراهقتهن كن أقل عرضة بنسبة 16 بالمئة للوفاة بالسرطان وأقل عرضة بنسبة 15 بالمئة للوفاة نتيجة كل الأسباب الأخرى.

ومن جانبها تنصح المراكز الأميركية لمكافحة الأمراض والوقاية منها بأن يقوم الأطفال والمراهقون ما بين سن (6–17 سنة) بنشاط بدني لمدة 60 دقيقة يوميا.

جاذبية المرأة مرتبطة بمحافظتها على لياقتها البدنية

□ **لندن** – أكدت دراسة أنجزت في جامعة أبردين البريطانية، أن التطور الهائل في مجال اللياقة البدنية على مدى السنوات الماضية جعل الرجال يجدون المرأة التي تحافظ على لياقتها البدنية عن طريق ممارسة الرياضة والتمارين المختلفة أكثر جاذبية عن غيرها.

وكشفت الدراسة أن الرجال يجدون المرأة النحيفة أكثر جاذبية من الممتلئة، حيث يربط عقله الباطن النحافة وشكل الجسم النحيل بالشباب والخصوبة والصحة الجيدة.

> المرأة الأنحف، والتي يصل مؤشر كتلة جسمها إلى ما يقرب من 19، صنفت بأنها الأكثر جاذبية

وقال الأستاذ جون سبيكمان، الذي قاد فريق البحث "من حيث التطور تنقسم اللياقة البدنية إلى شيئين هما، البقاء على قيد الحياة والقدرة على الإنجاب. ما أردنا التحقق منه هو فكرة النظر إلى شخص ما لنشعر بجاذبية جسدية نحوه".

وتوصلت الدراسة إلى نموذج يجمع بين العلاقات على أساس مستويات السمنة المختلفة، ومتوسط العمر المتوقع والخصوبة.

واختبر الباحثون هذه النتيجة على أكثر من 1300 شخص، من الذكور والإناث، من المملكة المتحدة وتسع دول أخرى. وتم عرض 21 صورة لسيدات بأحجام مختلفة على المشاركين في الدراسة وطلب منهم إعادة ترتيب الصور من الأقل إلى الأكثر جاذبية.

وكان من المتوقع أن ينظر الرجال للمرأة التي يصل مؤشر كتلة جسمها إلى 24 أو 24.8 على أنها أكثر جاذبية جسديا، وهو شكل شبيه لجسد كيم كارداشيان قبل الحمل.

وصنفت المرأة الأنحف، والتي يصل مؤشر كتلة جسمها إلى ما يقرب من 19، بأنها الأكثر جاذبية. وكلما زاد مستوى السمنة أو البدانة، أصبحت المرأة أقل جاذبية في التصنيف. وهو ما يتناقض مع نموذج "اللياقة البدنية" الرياضي الذي أكد أن قمة الجاذبية هي المرأة التي يصل مؤشر كتلة جسمها إلى 24 أو 24.8.

وقالت الدراسة إن المرأة ذات القوام الممتلئ تبدو أكبر سنا من المرأة الرشيقة التي يتراوح مؤشر كتلة جسمها ما بين 17 و 20، وهو مؤشر كتلة جسم أنجلينا جولي والعارضة جيزيل بوندشين. وكانت هذه النتائج متقاربة بين مجموعات اختبار من أوروبا وأفريقيا وآسيا.

وكشف الأستاذ جون سبيكمان أن كلمة "فيتنس" تم اختراعها من أجل القدرة على "الصراع للبقاء والإنجاب".

وخلصت الدراسة إلى أن تطور مستوى اللياقة البدنية للنساء هو ما يجعلهن أكثر جاذبية.

يذكر أن دراسة إيطالية سابقة كشفت أن النساء صاحبات الأجسام المتناسقة أكثر أنوثة وأكثر جاذبية مقارنة بنظيراتهن النحيفات، لأنهن يتمتعن بأجسام مثيرة.

المراة تصبح أقل جاذبية كلما زاد مستوى السمنة او البدانة

التصدي للتطرف يفرض على المجتمع الدولي تغيير خطابه تجاه المرأة

المجموعات الإرهابية تمكنت من استدراج النساء بخطاب روحي ورومانسي

المجموعات الإرهابية المتطرفة مثل داعش وبوكو حرام تمكنت بطرق متعددة من كسب تعاطف عدد هام من النساء في جميع أقطار العالم، ولو بدرجات متفاوتة. وقبل حوالي ثلاث سنوات، كانت النساء في شمال غرب باكستان يدعمن المتشددين عن طريق التبرع بالذهب والمجوهرات الثمينة والموافقة على انضمام أبنائهن إلى التنظيمات المتطرفة.

❏ **لندن** – يمكن إشراك النساء على نحو فعال في عملية مكافحة التطرف، لكن الأمر يتطلب الكثير من التركيز وتضافر الجهود من أجل الوصول إليهن وإشراكهن بجدّية في مقاومة التطرف خاصة في المناطق التي ينتشر فيها هذا الفكر أو تعيش حروبا ونزاعات مسلحة.

هذه الرسالة وجهتها إحدى ناشطات المجتمع المدني في باكستان في حديث لها مع مجلة "فورين بوليسي" الأميركية، حيث قالت إنها كانت تساهم في نقاشات حول إشراك النساء الباكستانيات في اجتثاث التطرف من جيل الشباب. وحذرت من أن المتطرفين باتوا أكثر تأثيرا في صفوف النساء مقارنة بالمعتدلين، وذلك من خلال الخطاب الذي يعتمدونه.

ورغم أن المجتمع الدولي أقر سلسلة من القرارات في مجلس الأمن، والتي من شأنها أن توفر فرصة أفضل لانخراط النساء في شؤون تعزيز السلام وحل النزاعات ومن بينها القرار عدد 1325 الصادر عام 2000، الذي يدعو إلى اعتماد تدابير خاصة لزيادة مشاركة النساء في تحقيق السلام وحمايتهن من العنف المتصل بالنزاعات أو القائم على التمييز الجنسي، إلا أن الإشارات الواضحة إلى القضايا الناشئة، مثل مواجهة التطرف العنيف، كانت غائبة في كثير من الأحيان. وهو ما أفضى إلى عجز المجتمع الدولي على توفير طرق تعامل مثمرة مع النساء في مكافحة ضعف الأمن.

وتعيش النساء والفتيات اليوم على وقع أعمال عنف وجرائم وحشية ما كان العقل ليتصورها، فمنذ عام 2014 تقدر منظمة العفو الدولية تعرض حوالي 2000 امرأة وفتاة للخطف، والاغتصاب والزواج القسري على يد مجموعة بوكو حرام في نيجريا.

وتفيد منظمة الأمم المتحدة أن حوالي 2500 امرأة وطفل هم من أسرى الحرب لدى الدولة الإسلامية في سوريا وشمال العراق، في حين تعرض حوالي 1500 مدني للعبودية الجنسية.

وخلال حلقة نقاش في معهد السلام التابع للأمم المتحدة، قالت زينب بانغورا، الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة لشؤون العنف الجنسي، إن العالم "يشهد ظاهرة جديدة، حيث يتم استخدام العنف الجنسي كتكتيك للإرهاب، لتهجير المجتمعات وتدمير البنى القائمة للعائلة والمجتمع، وزرع الرعب في قلوب السكان المدنيين، واستخلاص المعلومات الاستخبارية، وتوفير العائدات المالية من تهريب النساء والفتيات، والاتجار بهن، وإهدائهن، وأخذ الفدية مقابلهن..".

ومنذ اندلاع النزاع المسلح في سوريا، ارتفعت معدلات الزواج المبكر بشكل ملحوظ، حيث تشير الأمم المتحدة إلى أن نسبة السوريات المتزوجات دون عمر 18 عاما بلغت 32 بالمئة، بعد أن كانت لا تتجاوز 13 بالمئة قبل اندلاع الحرب.

وتعد الدوافع الاقتصادية لسبب الرئيسي للزيجات المبكرة وللزواج القسري.

من جهة أخرى يعد انخراط النساء في التطرف العنيف مسألة معقدة، حيث أنهن يمثلن عناصر حركية في التنظيمات الإرهابية. ويقدر الخبراء في الشأن السوري أن داعش تمتلك أكثر من 20 بالمئة من المتطوعات الإناث، ويسود اعتقاد بأن 550 من المقاتلين الأجانب في صفوف التنظيم هم من النساء. وقد طوّر تنظيم داعش خطابه الموجه إلى النساء بهدف تجنيدهن عبر إغوائهن بخطابات رومانسية وروحية مفادها أن العالم بحاجة إلى النساء الورعات لبناء مجتمع نقي.

> إشراك النساء بشكل كامل في القطاع الأمني من أجل الاستفادة من جهودهن على الصعيد العالمي، واعتماد استراتيجية في مكافحة التطرف وبناء السلام تقوم على المواهب من مختلف دول العالم

وتقوم النسوة بمهمات التجنيد والتعليم وبناء المجتمعات، ويتم تزويجهن للمجندين الذكور كحافز للرجال على الانضمام والبقاء في التنظيم، كما يتم تشجيعهن على الإنجاب من أجل تدعيم أسس الدولة والالتزام بالقضية. وتبدو الحاجة ملحة لاعتماد استراتيجية تهدف إلى وقف تدفق المجندات الإناث إلى التنظيمات المتطرفة، ونزع الأفكار المتطرفة من أذهانهن وإعادة دمجهن في مجتمعاتهن الأصلية.

وفي جميع أنحاء العالم، تجمع النساء بين أدوار تقليدية وأخرى معاصرة لتعزيز سبل التصدي للتطرف؛ ففي السودان، تقوم "مغنيات الحكمة"، وهن نساء نافذات بالغناء للترويج لقيم التسامح، والتعايش والسلام.

أما في الصومال، فيتم استخدام الروابط الناشئة عن زواج النساء بين القبائل والعشائر، للمساعدة في الوساطة. وفي الكثير من أجزاء العالم، تسعى الوكالة الأميركية للتنمية إلى تعزيز دور النساء والشباب في العمليات السياسية لإحلال السلام، عبر تمكينهم من المشاركة في الإيفاء بالحاجات ذات الأولوية كالتنمية والمصالحة، والدعوة إلى المساواة، ونشر فوائد السلام.

ولتعزيز دور المرأة في التصدي للتطرف العنيف يجب أن يمر هذا المسار بمراحل عديدة، منها تعزيز المساواة بين الجنسين وتوسيع دعم الولايات المتحدة لشبكات النساء والشباب في المجتمعات التي تواجه تحديات التطرف العنيف.

ولا بد من رسم استراتيجيات لحماية وإشراك النساء في الجهود المبذولة لوقف التجنيد والتطرف، ولإشراك النساء بشكل كامل في القطاع الأمني من أجل الاستفادة من جهودهن على الصعيد العالمي، واعتماد استراتيجية في مكافحة التطرف وبناء السلام تقوم على المواهب من مختلف دول العالم.

ويبدو أنه لم يعد أمام المجتمع الدولي اليوم عديد الخيارات سوى تعزيز جهود وقدرات المرأة في مقاومة الفكر المتطرف العنيف، من خلال التركيز على قضايا التمييز بين الجنسين واعتماد أفكار النساء في السياسات الناشئة وخطوطها الإرشادية، وذلك عبر توعية النساء وتغيير نوعية الخطاب الموجه لهن وتطوير السياسات الموجهة لصالح المرأة.

في جميع أنحاء العالم، تجمع النساء بين أدوار تقليدية وأخرى معاصرة لتعزيز سبل التصدي للتطرف

إقصاء المرأة في الإعلام الجزائري نموذج مصغر لمعاناتها من التمييز

وضع المرأة في الجزائر لا يختلف كثيرا عن أوضاع النساء في بقية دول المغرب العربي من حيث الحقوق المضمنة في التشريعات ومدى تفعيلها وتطبيقها على أرض الواقع، هذا ما أكده تقرير رصد صورة المرأة في الإعلام الجزائري، حيث كشف فوارق كبيرة بين صورة الرجل وصورة المرأة في وسائل الإعلام، كذلك بين إحصائيا أن دخول المرأة لعالم الإعلام كمهنة لم يضمن لها في المقابل الصورة والحضور اللذين تستحقهما.

❏ **الجزائر** – دراسة صورة المرأة الجزائرية التي يقدمها الإعلام الجزائري وقياس حضورها فيه كموظفة وكموضوع إعلامي يحيلاننا إلى البحث في طرق تعاطي الإعلام العربي كوسيلة اتصال وكسلطة رابعة مع قضايا المرأة وفي نظرته لها، أو بالأحرى نظرة القائمين على المؤسسات الإعلامية للمرأة التي تنعكس في الصورة التي تقدمها برامجهم، وهذا بدوره يعكس سياقا مجتمعيا وثقافيا كاملا، حيث نستنتج من صورة المرأة في المادة الإعلامية نظرة المجتمع لها والفرص والحظوظ التي تنالها مقارنة بالرجل في الشأن العام.

وتمثل النساء تقريبا نصف المشتغلين في قطاع الإعلام في الجزائر ، لكن هذا لم يتح لهن ظهورا وحضورا يتناسب مع تواجدهن المهني في القطاع، كما أن المعلومات والأخبار التي تهم المرأة إما أن تكون قليلة أو أنها تكرس الصور النمطية للمرأة أو أنها تقدم رسائل تعبر –بشكل مباشر أو غير مباشر– عن نظرة دونية للمرأة.

هذا ما كشفه التقرير الذي أجرته الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان بالاشتراك مع منظمة "مينا ميديا مونوتورينغ" التي رصدت برامج تلفزيونية وإذاعية في الفترة الممتدة من 28 يناير إلى 17 فبراير 2015، وخلصت دراستهما إلى أن المشوار مازال طويلا أمام المرأة الجزائرية لتحقق المساواة، كمّا وكيفا، في ميدان الإعلام السمعي والمرئي ولتظهر الجزائرية في الصورة التي تتناسب مع دورها وقيمتها الحقيقية إما كمهنية أو كفرد في المجتمع أو كضيف يدلي برأيه في مختلف البرامج التي يتلقاها الجمهور.

ويبدو المشوار أطول أمام الجزائريات ليتخلصن مما اقترن بتاء التأنيث من صور نمطية تحصر حضور المرأة في البرامج الخفيفة والبرامج ذات الصلة بالدور التقليدي للمرأة، مثل برامج المجتمع والأسرة والصحة والتجميل والمنوعات الترفيهية.. وتبعدها عن البرامج "الجدية" مثل السياسة والاقتصاد والعلوم.

القنوات التلفزيونية والإذاعات المحلية التي تمت متابعتها كشفت لمحللي نتائج الرصد ومؤلفي التقرير أنها ترسخ ما يتجه له المجتمع التقليدي، حيث تناط بعهدة المرأة الأدوار الثانوية كمهنية ويقزّم ظهورها كفرد فاعل في المجتمع أو في السياسة أو في الاقتصاد، وتمثل النساء نسبة 42.6 بالمئة من المهنيين في وسائل الإعلام المكلفين بإعداد الريبورتاجات، ونسبة 55.7 بالمئة من الصحفيين على الميدان، ونسبة 53 بالمئة من مقدمي البرامج. لكن هذا الحضور القوي في العمل الصحفي في هذه الوسائل الإعلامية لم يقلب المعادلة لصالحها وظل ظهورها ضعيفا جدا مقارنة بالرجال، حيث لا يتجاوز نسبة 19.10 بالمئة. كما أن هذا الحضور الضعيف في حد ذاته يقدم الصور النمطية والسلبية للمرأة، فمثلا البرنامج الخفيف والمنوعاتي يخصص للصحفيات، والبرامج الجدية مثل السياسة والاقتصاد تخصص لزملائهم الرجال.

أما كموضوع إعلامي أو كشخصية من خارج الطاقم العامل في هذه المؤسسات، فنجد أن المرأة لا تمثل إلا واحدا على خمسة من الشخصيات التي تتحدث عنها التلفزات وواحدا على سبعة في الإذاعات.

ولا يتوقف التمييز ضد المرأة في الإعلام الجزائري عند هذا الحد، بل إنه يطال الشخصيات المدعوة للحضور في النقاشات والحوارات في مختلف البرامج، حيث أن ظهورها يكاد ينعدم في برامج السياسة والاقتصاد.

الإعلام الجزائري لا يظهر صور المرأة في موقع القوة

وبلغة الأرقام، فإن الأخبار الخاصة بالنساء لا تتجاوز 2.7 في المئة، كما أن الإنتاجات الإعلامية الخاصة بالنساء تقل بحوالي 37 مرة عن تلك الخاصة بالرجال، زيادة على أن التركيز عليهن في المواضيع السياسية والاقتصادية لا يتجاوز 10 في المئة، رغم أن المذيعات العاملات أكثر من المذيعين.

وإن ربطنا هذا التقرير وما أورده من إحصائيات ونتائج تتعلق بحضور المرأة في الإعلام الجزائري بواقع المرأة الجزائرية وبحضورها في جميع نواحي الحياة، فلن نستغرب ما توصل له الرصد من نتائج. فالمرأة الجزائرية رغم ما حققته من تقدم ملحوظ منذ استقلال الجزائر في مجال التعليم حيث ارتفعت نسبة التعليم الفتيات من 37 بالمئة عام 1966 إلى 92 بالمئة عام 2008، ولعلها اليوم اقتربت من بلوغ نسبة 100 بالمئة، ورغم ارتفاع نسب حاملات الشهائد العليا واكتسابهن للمؤهلات الثقافية والعلمية التي تخول لهن منافسة الرجال في الدخول لسوق الشغل، غير أن هذه النجاحات في التعليم لم تنعكس على سوق الشغل ولم تترجم إلى ارتفاع في اليد العاملة النسائية في أغلب الميادين وأهمها.

وبحسب الإحصائيات الرسمية، فإن عمالة المرأة الجزائرية مرتكزة في مهن دون أخرى حيث تتواجد بنسب عالية في مجالي التعليم والصحة وفي المهن والوظائف القريبة من دور النساء الأسري والمجتمعي وفي الأنشطة الحرفية واليدوية والمناصب الإدارية الثانوية، في حين تكاد تغيب عن القطاعات الصناعية الكبرى والقطاعات العلمية وريادة الأعمال والمؤسسات الكبرى والمناصب الهامة في الدولة.

هذا التفاوت بين ارتفاع نسب المتعلمات والحاصلات على شهائد عليا من جهة وبين انخفاض اليد العاملة النسائية في جميع المجالات من جهة ثانية يعكس التناقض في المجتمع الجزائري الذي وإن آمن بأهمية رفع الأمية عن المرأة، إلا أنه لم يفسح أمامها المجال لأخذ نصيبها من سوق الشغل ولم يتخل عن الأفكار التي تكرس اللامساواة بينها وبين الرجل في العمل.

> ليس التمكين الاقتصادي والتمييز في العمل على أساس الجنس هو فقط ما تعاني منه الجزائريات، بل إن حضورهن في الحياة السياسية لا مجال لمقارنته بالحضور الرجالي

وليس التمكين الاقتصادي والتمييز في العمل على أساس الجنس هو فقط ما تعاني منه الجزائريات، بل إن حضورهن في الحياة السياسية لا مجال لمقارنته بالحضور الرجالي في المناصب العليا في الدولة وفي الأحزاب السياسية وفي المقاعد البرلمانية وغيرها، وكما بقية النساء في المغرب العربي لا تكلف النساء إلا بحقائب وزارية تنحصر في الثقافة أو التضامن أو الشؤون الاجتماعية أو التعليم، أما الحقائب الأهم مثل رئاسة الوزراء أو وزارة الداخلية أو الخارجية فإنها حكر على العنصر الرجالي.

وعلى هذا النحو يبقى تفعيل النصوص القانونية الضامنة لحق المرأة في المساواة من قبيل الخطاب النظري والوعود والتشدق بالتوجه نحو الديمقراطية.

ويرجع بعض الدارسين لوضع المرأة الجزائرية تأخر تطبيق مبادئ المساواة بين المرأة والرجل في الجزائر، إلى طبيعة المجتمع الذي يتمسك بأفكار محافظة تستند إلى مرجعية تقليدية مفادها أن المكان الطبيعي للمرأة هو البيت والتكفل بدورها العائلي والاجتماعي.

كما يرجح علماء الاجتماع أن أهم أسباب التمييز ضد المرأة تتمثل في وضعيتها القانونية في الدستور الجزائري، حيث خيّم قانون الأسرة ومكانتها داخل المجتمع لمدة طويلة على قضايا حقوق المرأة.

ربات المنازل الأكثر عرضة لانتقادات الأزواج

الزوجات العاملات يتمتعن باستقرار أسري أكثر من غير العاملات

تتعرّض الزوجات من ربات المنزل إلى الكثير من الانتقادات من قبل أزواجهن، سواء على مستوى متطلّبات المنزل والحياة، أو احتياجات الزوج نفسه، حيث يعمل الزوج غالبا خارج المنزل للقيام بدوره المالي التقليدي، "المُعيل"، وتبقى الزوجة في البيت لتدبّر شؤونه وترعى الأطفال، فتقع في دوامات الموازنة بين متطلبات المنزل واحتياجات الزوج وانشغالها بأبنائها، ما يمثّل أرضية خصبة للكثير من المشاكل والصراعات الزوجية.

محمد رجب

اعتياد المرأة على الجلوس في البيت يجعلها روتينية وتقليدية تفتقد إلى التغيير وتطوير نفسها

□ على عكس المتوقع بأن المرأة غير العاملة والمقيمة في المنزل تمتلك الكثير لتعطيه لزوجها وبيتها، فإن الأمر يختلف بمجرد أن تنجب الزوجة طفلها الأول وتصبح أما، وتسيطر عليها عاطفة الأمومة أكثر من أيّ شيء آخر، وتتسع مساحتها على حساب تقلّص العواطف الأخرى، وهو ما يجعلها تنشغل بطفلها على حساب باقي مكونات حياتها، بما فيها زوجها، وربما بيتها أيضا واحتياجاته.

يُفترض بربات البيوت أن يرعين أطفالهن كثيرا، كما يُفترض بهن أن يُطعمنهم طعاما صحيا، ويُقلّلن من الوقت الذي يقضيه الأطفال أمام شاشات التلفاز وأجهزة الكمبيوتر، وأن تتيح كل منهن لنفسها الوقت لتُعدّ فيه ثلاث وجبات شهية يوميا من أجل الأسرة، وتنظّف المنزل وترتّبه، وتراعي كل شؤونه، فهذه هي وظيفة ربة المنزل التي إن قصرت أو أنقصت شيئا تنهال عليها الانتقادات من جانب الزوج، وتبدأ المشاكل وأزمات الأسرة.

وتشير الإحصائيات إلى أن حوالي 70 بالمئة من الزوجات "ربات البيوت" يهملن أنفسهن واحتياجات بيوتهن بمجرد أن يتحوّلن إلى أمهات، وترتفع النسبة إلى 75 بالمئة مع إنجاب الطفل الثاني.

بينما تتخطى تلك النسبة الـ80 بالمئة بعد الطفل الثالث، وتصبح الأم متفرغة لرعاية أطفالها على حساب مسؤوليتها تجاه زوجها وبيتها.

وقد خلصت دراسة كويتية إلى أن الزوجات العاملات يتمتّعن باستقرار أسري أكثر من الزوجات غير العاملات، اللاتي يعانين من مشاكل زوجية، وترتفع نسب الطلاق بينهن أكثر من الزوجات اللاتي يخرجن كثيرا.

> ربات البيوت غير قادرات بأسلوبهن التقليدي على الحفاظ على استقرار الأسرة، إذا لم تطور كل منهن نفسها فإنها تفقد الأسرة روحها وقدرتها على الاستمرار

وأوضح الدكتور مدحت عبدالهادي، المتخصص في العلاقات الزوجية قائلا: اعتياد المرأة على الجلوس في البيت يجعلها روتينية وتقليدية تفتقد إلى التغيير وتطوير نفسها، وهو ما يجعلها عرضة لانتقادات زوجها، الذي يريد أن يراها في صورة تضاهي ما يراه في الحياة من تطوّر وتغيير، خاصة مع الزوجات المنعزلات داخل البيت، موضحا أن الزوجات "ربات البيوت" ينقسمن إلى عدة أنواع، فمنهن الذكية التي تقسّم وقتها بين رعاية الأبناء وترتيب المنزل وتلبية احتياجات زوجها. وفي نفس الوقت تطوّر من نفسها وبيتها، وتلك هي النموذج المثالي والتي تكون الأنجح في علاقاتها الزوجية.

وهناك نوع ثان من ربات البيوت المنعزلات عن الحياة، وهن الزوجات التقليديات اللاتي يقمن بأعمال المنزل ورعاية الأطفال، قد تتحوّل علاقاتهن مع أزواجهن إلى علاقة تقليدية فاقدة للمشاعر والأحاسيس.

أما النوع الثالث فهي الزوجة التي تعطي كل وقتها إلى رعاية الأبناء، على حساب إهمال متطلبات البيت والزوج، وهذا النوع الأكثر انتقادا وفشلا في الحياة الزوجية.

ويشير الدكتور عبدالهادي إلى أن ربات البيوت غير قادرات بأسلوبهن التقليدي على الحفاظ على استقرار الأسرة، إذا لم تطوّر كل منهن نفسها فإنها تفقد الأسرة روحها وقدرتها على الاستمرار.

أما الدكتورة حنان زين، مديرة مركز السعادة الزوجية، فترى أن غريزة الأمومة عند النساء تتفوق على غيرها من الأحاسيس والمشاعر، فحتى إذا كانت المرأة تحب زوجها، فإنها مع إنجاب الطفل الأول يأخذ الكثير من وقتها ويشغل الحيز الأكبر من فكرها واهتمامها، وهو ما يجعل الزوج يشعر بالاختلاف، فبعد ما كان يدخل البيت يجده في أفضل حال وزوجته تنتظره، أصبح وجوده غير مؤثر، ولا يلفت انتباهها واهتمامها قبل أن تصبح أما.

وتنصح الدكتورة حنان الزوجة بضرورة الموازنة بين احتياجات البيت ورعاية الأطفال وزوجها الذي يُعتبر جزءا أساسيا من مكونات حياتها، وأن تحرص على تطوير نفسها وتغيّر نمط الحياة باستمرار، مما يشعر الزوج بأنه مازال محل اهتمام وحب من زوجته، فتتبدّل انتقاداته لها إلى ثناء وحب، تأخذ الأسرة إلى الاستقرار والنجاح

ومن جانبها، توضح الدكتورة هبة العيسوي، أستاذة علم النفس الاجتماعي بجامعة عين شمس، أنه لا يبدأ نقد الزوج لزوجته عادة سوى عندما يعتقد الرجل أنه يجب على الزوجة أن تتعامل بصورة أفضل مع الأمور وتسيطر على حياتها أكثر، فكلما كبر الأطفال ازداد غضب الرجال عندما يبدو لهم أن زوجاتهم لا يتولين الأمور بصورة متماسكة، لافتة إلى أنه عندما ينتقد الرجال زوجاتهم، يؤدي ذلك غالبا إلى انزواء الزوجات في ألم وغضب، وهو ما يولّد المشاكل والشجارات الزوجية.

> 70 بالمئة من الزوجات «ربات البيوت» يهملن أنفسهن واحتياجات بيوتهن بمجرد أن يتحولن إلى أمهات، وترتفع النسبة إلى 75 بالمئة مع إنجاب الطفل الثاني.

وتضيف العيسوي: أن سبب انجذاب الرجل لزوجته هو إذا كانت هادئة ومحبة، وتستمع له عندما يتحدّث عن نفسه كثيرا، كما أنها إذا كانت مرنة على الأرجح وتنظّم جدولها وفقا لجدوله، ومع اختلاف تلك المرونة يشعر الرجل بالضيق ويزداد غضبه، فيتحوّل ذلك إلى انتقادات ورفض لزوجته.

المرأة كنَدٍّ للرجل

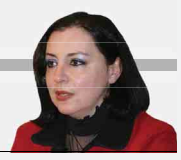

هيفاء بيطار

□ أجمع علماء النفس والأطباء النفسانيون أن أساس جريمة الاغتصاب يكمن في النظرة الدونية للمرأة وفي اعتبارها شيئا. وليست العوامل الاقتصادية –من فقر وبطالة– والعوامل البيئية –من كبت جنسي واستحالة أو صعوبة الزواج– وكذلك لباس المرأة المثير والمغري، كلها عوامل ثانوية، فجوهر جريمة الاغتصاب يكمن في النظرة الدونية للمرأة، وهذه النظرة مُترسخة في حياتنا اليومية وفي ممارساتنا، وفي المناهج التعليمية والدينية. لا أزال أذكر أن العديد من دروس مادة المُجتمع كانت تعرف أن واجبات الزوجة هي إسعاد زوجها وإسعاد أسرتها، وبأن واجب الزوج هو إعالة أسرته. أي أن الأسرة هي جنة المرأة وجوهر وجودها أما العمل فهو جوهر كيان الرجل. هذه اللوحة التي تترسخ كمفهوم في أذهان الأطفال والمراهقين، مبطنة بشكل واضح بدونية المرأة، فالمرأة مُقدسة ومُحترمة وتكون الجنة تحت أقدامها حين تكون أمّا. كما لو أن جوهر كيان المرأة هو في كونها وعاء يحمل الأبناء، رحما للإنجاب وللعناية بالأولاد والزوج، أما المرأة الطموحة، والتي تريد أن يكون لها كيان مستقل وبصمة في مجتمعها فتوصف بالأنانية والاسترجال، ولا تكون مرغوبة في سوق الزواج.

ليست المناهج التعليمية وحدها التي تُرسخ دونية المرأة بل كذلك طريقة التعليم الديني، ويحضرني نقاش حاد بيني وبين أحد رجال الدين حول تفسير آية في الإنجيل: كل من يتزوج بمُطلقة فقد زنى. وتعجبتُ أن الزواج من مُطلقة يُعتبر زنىً، ولماذا لا تذكر الآية الحالة المقابلة، أي التي تتزوج من رجل مُطلق تُعتبر زانية؟ يومها قمعني رجل الدين واعتبر كلامي يلامس حدود الكفر.

إن ترسيخ المفهوم الديني بوجوب الرأفة بالنساء كما لو أنهن كائنات هشة سريعة العطب ولا تتحملن الشدائد، الرأفة التي تعني إلى حد بعيد الشفقة، والإنسان لا يشفق إلا على من هو أضعف منه وأدنى منه، مع أن الواقع يدل أن النساء يتحملن الشدة والألم والمصائب أكثر من الرجال، وكذلك تبرير تعدد الزوجات كأنه حق للرجل، أقر به الدين، مع أن تعدد الزوجات وُجد في ظروف معينة وبشروط معينة، لكننا نجد الكثير من المثقفين والفقهاء ورجال الدين يدافعون عن حق الرجل في تعدد الزوجات ويستندون إلى حقائق باطلة منها أن غريزة الرجل الجنسية أقوى من غريزة المرأة، مع أن العلم أثبت تساوي الغريزة عند الرجل والمرأة، ولا أنسى الحوار مع داعية وعالمة اجتماع كانت تدافع بشراسة عن حق الرجل في تعدد الزوجات، وقد تلقت اتصالا من إحدى المتابعات للبرنامج وسألت سيدة بأن زوجها تزوج عليها ابنة خالتها التي ترملت منذ أربعة أشهر وبأنها تشعر بألم الخيانة والذهول وألم أولادها المراهقين ولا تعرف كيف تشرح لهم سبب زواج زوجها من ابنة خالتها؟ فما كان من الداعية وعالمة الاجتماع سوى أن هنأتها لأن زوجها رجل شهم ستر أرملة من الغواية ونصب نفسه أبا لأطفال يتامى!! يمكنني أن أستشهد بآلاف القصص الواقعية والتي تعكس كلها النظرة الدونية للمرأة، وقد يكون من الجوهري لعلاج جريمة الاغتصاب أن يُعاد النظر بكل المناهج التعليمية في عالمنا العربي وبطريقة تدريس الدين حيث لا يتم التركيز إلا على الآيات التي تُظهر المرأة ككائن هش وضعيف وغير ناضج كما لو أن ثمة خطأ جينيا في خلق المرأة، هذه المفاهيم تترسخ في لا وعي الفتاة والشاب وتؤدي في ما بعد إلى شرخ قد لا يمكن لحمه.

وأخيرا لا بد أن أذكر التناقض المُخزي والمُخيف بين تعريف العنف ضد الرجل والعنف ضد المرأة في كثير من كتب علم الاجتماع التي قرأتها: فالعنف ضد الرجل هو أن تمتنع زوجته عن واجباتها الجنسية تجاهه (أي عنف نفسي) أما العنف ضد المرأة فهو أن تتعرض للضرب والأذى الجسدي (أي عنف جسدي) ، كما لو أن المرأة بلا روح؟ لماذا لا يُعتبر تعدد الزوجات عنفا "نفسيا" يُمارس على المرأة.

إن أساس حل كل مشكلة هو الغوص في الجذور، ولن تُحل جرائم الاغتصاب سوى بترسيخ ثقافة المرأة الند، المرأة المتساوية في القيمة الإنسانية والوجدانية تماما للرجل.

طبق اليوم

مفتول بالدجاج

* **المكونات:**
- كيلوغرام ونصف دجاج، مقطع
- كيلوغرام مفتول
- 3 بصلات مفرومة ناعمة
- 3 أكواب حمص مسلوق
- 6 حبات طماطم
- ملعقة صغيرة ثوم مهروس
- ملعقة كبيرة معجون الطماطم
- 2 ملاعق كبيرة زيت زيتون
- ملح وفلفل حسب الرغبة
- ملعقة كبيرة بهارات مشكلة
- 7 أكواب ماء ساخنة مغلية

* **طريقة الاعداد:**
- في قدر على نار متوسطة، توضع قطع الدجاج، البصل، الثوم المهروس، الملح، الفلفل، البهارات المشكلة ويقلب الخليط جيدا لمدة 5 دقائق.
- يسكب الماء المغلى فوق الدجاج ويترك حتى ينضج الدجاج لمدة 45 دقيقة ثم يضاف إليه الحمص ويترك لمدة 5 دقائق.
- لعمل صلصة البندورة، في الخلاط الكهربائي، توضع البندورة وتخلط للحصول على عصير بندورة.
- في قدر على النار، يوضع عصير البندورة على نار متوسطة ويترك حتى يغلي.

* في وعاء، يذوب معجون الطماطم في ثلاث ملاعق ماء ويوضع فوق عصير البندورة ثم يترك ليغلي وتتماسك الصلصة.
- تضاف صلصة البندورة إلى مرق الدجاج ويترك الوعاء على نار متوسطة لمدة 5 دقائق.
- يوضع المفتول في قدر مع المرق، والحمص ويخلط كل ذلك بواسطة شوكة بهدوء ثم يوضع على نار عالية ليبدأ بالغليان، تخفف النار ويترك على نار هادئة.
- يسكب المفتول في طبق التقديم، وتوضع عليه قطع الدجاج والحمص ويقدم ساخنا.

موضة

أزياء تمزج بين الصيف والشتاء

□ قدم المصمم اللبناني عبد محفوظ تشكيلة فساتين السهرة لموسم خريف وشتاء 2015 – 2016، ضمن أسبوع الموضة في باريس.

استهل المصمم عرضه بألوان حيوية لا تدل للوهلة الأولى على أنها مجموعة فساتين شتوية، وتضمنت المجموعة تصاميم أنثوية، من فساتين طويلة، وفساتين قصيرة، وفساتين منفوشة.

استطاع المصمم أن يمزج ألوانا جذابة في الفساتين، بحيث يظهر الفستان بلون محدد، ويأتي لون آخر ليتناغم معه بلمسات بسيطة.

وقبل نهاية العرض، انتقل المصمم إلى الخريف والشتاء حيث مالت الألوان إلى الدرجات الداكنة، دون اختيار تصاميم هادئة تناسب هذه الأجواء، بل زادت التصاميم حيوية وفخامة.

استخدم عبد في مجموعته خامات مختلفة أهمها الساتان والشيفون وبعض التطريزات المميزة، ومن الألوان استخدم عبد الأسود والأحمر والفوشيا والأصفر والأزرق بدرجاته وغيرها من الدرجات التي مزج فيها الدرجات التقليدية مع الدرجات الباستال والصارخة.

الشياطين الحمر.. خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء

مانشستر يونايتد يبحث عن التخلص من جلباب فيرغسون في حضرة فان غال

أليكس فيرغسون شيد أسطورة مان يونايتد

مازال فريق مانشستر يونايتد الإنكليزي يبحث عن التوازن الحقيقي الذي كان عليه منذ سنوات لا سيما تحت قيادة الأسطورة أليكس فيرغسون، ورغم التعزيزات الكبيرة التي قام بها المدرب لويس فان غال إلا أن كتيبة الشياطين الحمر لم ترتق إلى مستوى الجمع بين الأداء والنتيجة.

هيثم فتح الله

لتطعيم الفريق بالعناصر الشابة وعناصر الخبرة لكي يتمكن من تشكيل فريق فيه روح الشباب وروح الخبرة معا، عندها بدأ فان غال باستقطاب اللاعبين وعقد عدة صفقات لإسناد مراكز الضعف التي يعاني منها الفريق وكون خلال موسمين فريقا متخما بالنجوم ولديه ما يكفي في كل المراكز.

□ قبل عام من اتخاذ السير أليكس فيرغسون قراره باعتزال التدريب والتخلي عن وظيفته في نادي مانشستر يونايتد أدلى بتصريح إلى وسائل الإعلام بأنه مطمئن للفريق بتشكيلته التي تضم عناصر تمتلك خبرة وأخرى شابة قادرة على الاستمرار والعطاء وإحراز البطولات للسنوات القادمة. وبعد عام من ذلك اتخذ السير قرارا مفاجئا باعتزال التدريب الذي أربك إدارة النادي التي قامت باختيار بديل لفيرغسون بسرعة ودون دراسة مستفيضة. ووقع الاختيار على مدرب إيفرتون الأسكتلندي ديفيد مويس ليخلف السير أليكس كمدير فني للفريق. وإن كان مويس مدربا جيدا يشهد له تاريخه مع نادي إيفرتون إلا أنه لم تكن لديه الخبرة الكافية في التعامل مع لاعبين دوليين من الدرجة الأولى تعودوا على حصد الألقاب وإحراز البطولات فوقع في المحضور وتشنجت علاقته معهم مما أثر بشكل سلبي على أداء الفريق وبالتالي انعكست على النتائج حيث قبع في موسم 2012-201 في المركز السابع وخسر جميع البطولات التي شارك فيها بالإضافة إلى المستوى الهزيل الذي ظهر به في جل المباريات.

عندها قررت إدارة النادي عزل المدرب مويس والبحث عن مدرب بديل يمتلك شهرة واسعة وخبرة كبيرة لإنقاذ الفريق من الوضع غير العادي والارتقاء بمستواه إلى مصاف فرق المقدمة الإنكليزية فجاء الخيار على المدرب الهولندي القدير فان غال الذي هيأت له إدارة النادي جميع مستلزمات النجاح في مسعاه لإحراز البطولات. ففتحت خزائن النادي للمدرب الجديد بدون حدود

فلسفة فان غال

فلسفة فان غال لم تعط أهمية كبيرة إلى خط هجوم نادي مانشستر فلم يستطع إلى اليوم أن يجد اللاعب الذي يمكن أن يشغل مركز المهاجم الهداف الذي يقود الفريق إلى إحراز الأهداف وتحقيق الانتصارات بل ترك المهاجم واين روني وحده دون مساندة، فضاع مع بقية رفاقه حيث يتبادل اللاعبون الكرات من منتصف الملعب إلى منطقة جزاء الخصم بتمريرات قصيرة ومن ثم يعودون بها إلى الخلف وهكذا دواليك. دون أن يكون هناك أي تأثير على مرمى الخصم وعندما يحدث تهديد لمرمى الخصم ترى الفرصة تذهب أدراج الرياح بسبب رعونة التصرف بالكرة أو ضعف المهارات التهديفية لدى اللاعبين.

وإذا ما قمنا بإحصاء عدد مناولات الكرة بين لاعبي مانشستر يونايتد سنجد رقما كبيرا من المناولات وإذا ما حللنا هذه المناولات سنجد أن أكثر من نصفها إلى الخلف وليس إلى الأمام وهذا ما يعطينا انطباعا بأن الفريق متعب جدا ومرهق وبطيء في بناء الهجمات وربما يكون ذلك بسبب تحميل اللاعبين أكثر من طاقتهم أثناء التمارين أو ربما الحالة النفسية السيئة لدى بعض الذين ليست لديهم الرغبة في الأداء السريع والروح القتالية للانقضاض على الخصم كما كانوا يفعلون سابقا وبالتالي فقدان التوازن بالملعب وإعطاء الفرصة للخصم للارتداد على فريق مانشستر والتغلب عليه.

الغريب في المدرب فان غال أنه خلال موسمين لم ينتبه إلى ما كان يفعله السير سابقا حيث كانت لدى فيرغسون خطة لعب هجومية سريعة تعتمد على الجناحين الأيسر والأيمن بالإضافة إلى قوة ضاربة من الوسط فكان يستخدم فالنسيا وأشلي يونغ وناني كأجنحة وفي قلب الهجوم لديه روني وفان بيرسي بمساندة من خط الوسط وارتقاء جانبي الدفاع إلى الأجنحة ليكتسح الفرق بالأداء والنتائج.

أما فان غال فيبدو أنه أصدر تعليماته إلى الأجنحة بعدم التقدم نهائيا واختار اختراق دفاعات الخصم من الوسط وهذا ما جعله أمام عقم تهديفي سهل مهمة المنافسين في سد منافذ الخطوط الدفاعية وجعل فريق مانشستر يضيع بين المناولات العرضية والمناولات الخلفية دون تبادل الكرات بين المهاجمين لاختراق دفاعات الخصم والوصول إلى المرمى.

خطة مغايرة

والأغرب في المدرب فان غال أنه خلال موسمين لم يتمكن من إيجاد تشكيلة ثابتة تستطيع الانسجام وتقديم أداء مقنع بل كان في كل مباراة يستخدم خطة مغايرة للأخرى وتشكيلة جديدة تضع اللاعبين أمام واقع مغاير للمباراة التي سبقتها. وبالرغم من أن الفريق يعاني من مشاكل كبيرة في خط الهجوم إلى الآن إلا أن فان غال قام بالاستغناء عن لاعبين من أمثال اللاعب الموهوب يانوزاي واللاعب المكسيكي هيرنانديز واللاعب البرتغالي ناني ولم يقم بإعدادهم لرفع مستواهم وإدماجهم مع بقية زملائهم كما كان يفعل سلفه فيرغسون بل فضل شراء لاعبين جاهزين للعب مع تشكيلة الفريق وهنا برزت مشكلة عدم الانسجام والتفاهم بينهم مما أدى إلى ضعف الأداء وضياع العديد من الفرص في مواجهة مرمى الخصوم.

إذ فشل فان غال في هذا الموسم بعد أن شاهدنا أداء متواضعا ونتائج مخيبة للآمال في بداية مشوار نادي مانشستر مع فرق الدوري الإنكليزي المتوسطة، فسوف لن يجد له عذرا يعلق عليه أسباب الإخفاقات بعد أن تم تدعيم الفريق بعناصر جيدة بالإضافة إلى عناصره السابقة وأن ما ينقصه هو الأداء السريع والاختراقات البينية واللعب على الأجنحة وهذه أبسط قواعد التدريب والخطط في كرة القدم. أما الملاحظة المهمة التي ظهرت أثناء الأربع مباريات التي خاضها مانشستر هذا الموسم هي تأخر فان غال في إجراء التغيرات المناسبة في تشكيلته لكي يقلب النتيجة لصالحه كما كان يفعل سلفه فيرغسون فبعد فوات الأوان يقوم بإجراء التبديلات التي لا يسعفها الوقت لتغير النتيجة.

وإذا بقي فان غال إذا بنفس الفلسفة والأسلوب اللذين جعلا مانشستر يونايتد يسيطر على الكرة بنسبة عالية جدا دون تحقيق الأهداف والفوز بالمباريات، فسيسير بالفريق خطوات إلى الوراء ويخرجه من دائرة الفرق الكبيرة وسيضيع موسمه هذا مثل الموسمين السابقين وسيندم فان غال وإدارة النادي على ضياع هذه الفرص التي صرفت عليها الكثير من الأموال لتقود النادي إلى تسلق جدول ترتيب الفرق والعودة إلى مسار الإنجازات التي حققها طيلة العشرين سنة الماضية في البطولات المحلية والأوروبية.

الفوز على تشاد هدف مدرب الفراعنة الوحيد لتجاوز الانتقادات

كوبر لـ«العرب»: لا يمكن اختيار لاعبين يرضى عنهم 90 مليون مصري

يعوّل الأرجنتيني هيكتور كوبر مدرب منتخب الفراعنة على تحقيق فوز مريح على مضيفه منتخب تشاد المصنف 171 عالميا اليوم الأحد، لإسكات موجة الانتقادات المتزايدة له والتي بدأت حدتها تتصاعد في الأيام التي سبقت المباراة لدرجة دفعت البعض لتشبيهها بأنها مثل تسونامي، حيث استبعد عددا من لاعبي الأهلي والزمالك المعروفين لصالح لاعبين أقل نجومية منهم، وكانت بداية الانتقادات التي طالت المخضرم الأرجنتيني بسبب العدد الكبير من اللاعبين الذين تم استدعاؤهم، الأمر الذي يشتت ذهن الجهاز الفني أثناء التدريبات، بحسب الصحفيين والشارع الرياضي المصري.

محمد الفرماوي

❑ **القاهرة** - تزايد التشكيك في كفاءة مدرب المنتخب المصري الأرجنتيني هيكتور كوبر في عدد كبير من وسائل الإعلام الرياضي في مصر خلال الأيام الماضية، بسبب استبعاده لعدد من لاعبي الأهلي والزمالك المعروفين لصالح لاعبين أقل نجومية منهم.

واتهمه بعض الإعلاميين بأنه سلم أذنه لمساعده المصري أسامة نبيه الذي جامل لاعبي الزمالك، من أجل تقوية علاقاته بناديه الأصلي، وضمان مكان له في الجهاز الفني للفريق في حالة إقالته من جهاز المنتخب.

ومع ذلك دافع نبيه عن نفسه قائلا "إن ظروف كل مباراة تحسم الشكل النهائي للقائمة"، مبررا استدعاء حمادة طلبة مدافع الزمالك بأنه لاعب يساوي أربعة لاعبين لإجادته اللعب في أكثر من مركز داخل الملعب.

وكان كوبر قد ضم 27 لاعبا للمعسكر منهم 10 لاعبين من الزمالك، و8 من الأهلي و7 محترفين بينهم أحمد حجازي ورامي ربيعة اللذين وقعا مؤخرا على عقود الانضمام للأهلي، ولاعب واحد فقط من كل من سموحة وإنبي.

> الأرجنتيني المخضرم هيكتور كوبر يبرر اختياراته في صفوف المنتخب المصري بأنها كانت الأفضل من خلال تقييم قام به على مدار الأشهر الخمسة التي قضاها على رأس الجهاز الفني للمنتخب

وكانت بداية الانتقادات بسبب العدد الكبير من اللاعبين الذين تم استدعاؤهم ما يشتت ذهن الجهاز الفني أثناء التدريبات، فضلا عن اختيارات كوبر نفسها بعد أن استدعى حمادة طلبة مدافع الزمالك، في الوقت الذي استبعد فيه العديد من اللاعبين الدوليين المعروفين خصوصا لاعبي الأهلي أحمد فتحي وحسام غالي وعبد الله السعيد.

كما لم يضم لاعبين في مركز الظهير الأيمن غير حازم إمام الذي انضم مصابا للمنتخب، قبل أن يسمح له كوبر بمغادرة المعسكر لإتمام زفافه وقضاء ليلة برفقة عروسه.

كوبر بدا متماسكا في الاتصال الهاتفي الذي أجرته "العرب" معه قبل ساعات من سفر بعثة الفراعنة إلى العاصمة التشادية نجامينا، فقد رد على ما يثار عنه باقتضاب وهدوء "المحترفين"، حيث فنّد تلك الاتهامات بأن الشعب المصري تجاوز تعداده التسعين مليونا، ومن الصعب أن ترضي اختياراته كل هذا العدد من المواطنين، مؤكدا أنه لو فعل ذلك سيكون إنجازا لم يحدث في تاريخ كرة القدم.

وبرر الأرجنتيني المخضرم اختياراته بأنها كانت الأفضل من خلال تقييم قام به على مدار الأشهر الخمسة التي قضاها على رأس الجهاز الفني للمنتخب، مشيرا إلى أن عدم وجود حسام غالي أو غيره في قائمة مباراة تشاد لا يعني عدم وجودهم مع المنتخب في الفترة المقبلة، وعن ضم حمادة طلبة قال كوبر "اللاعب جيد جدا ويحتاجه المنتخب نظرا لإجادته اللعب في كل مراكز الخط الخلفي".

والانتقادات التي وجهت لكوبر تطرقت لفترة المعسكر الطويلة التي لم تتخللها مباريات ودية بناء على طلبه، وهو ما رد عليه المدرب بقوله "رفضت الوديات تجنبا لإرهاق اللاعبين الذين يواصلون الموسم المستمر، منذ حوالي عام كامل دون راحة".

ليعود فيؤكد أنه وافق على إقامة مباراتين وديتين الشهر المقبل أمام كل من الكاميرون (9 أكتوبر) وأستراليا (14 أكتوبر) استعدادا للدخول في معسكر طويل في الفترة من 1 نوفمبر إلى 17 نوفمبر، يتخلله خوض مباراتين في الدور الأول بالتصفيات المؤهلة لمونديال روسيا 2018 أمام أيّ من تشاد أو سيراليون اللذين سيلعبان معا في الدور التمهيدي.

> كوبر ضم 27 لاعبا للمعسكر منهم 10 لاعبين من الزمالك، و8 من الأهلي و7 محترفين بينهم أحمد حجازي ورامي ربيعة اللذين وقعا مؤخرا على عقود الانضمام للأهلي، ولاعب واحد فقط من كل من سموحة وانبي

ومن أهم الانتقادات التي وجهت لكوبر اصطحابه لاعبي المنتخب لحضور حفل زفاف لاعب الأهلي وليد سليمان والزمالك حازم إمام، الذي سمح له بالزفاف أثناء المعسكر، ومع ذلك برر تصرفه بأنه سمح لباسم مرسي مهاجم الزمالك بالمغادرة لحضور مراسم دفن والده وحضور العزاء خلال المعسكر الذي سبق مباراة تنزانيا، قبل أن ينضم مجددا للمعسكر ويحرز هدفا للمنتخب، معلقا بأنه إذا كان الهدف حصاد تصرفه مع مرسي في موقف حزين، فكيف سيكون حصاد سماحه لإمام بموقف سعيد مثل الزواج؟

كان كوبر ينوي حضور حفل جمعية اللاعبين المحترفين لاختيار أفضل لاعب في الموسم، قبل أن يرفض حسن فريد نائب رئيس اتحاد الكرة والمشرف على المنتخب المصري، متهما المدرب بالتساهل وعدم تنفيذ فكرة المعسكر بالغلق على اللاعبين وعدم تشتيتهم ذهنيا.

وكانت مصر قد فازت في الجولة الأولى للتصفيات بثلاثية دون رد على تنزانيا في المباراة التي أقيمت بملعب "برج العرب" منتصف يونيو الماضي، علما بأن قواعد التصفيات تؤهل أوائل المجموعات الثلاثة عشرة، فضلا عن أفضل منتخبين حققا المركز الثاني بجانب البلد المنظم، وتضم مجموعة مصر أيضا منتخب نيجيريا الذي تلتقيه في الجولة المقبلة.

كوبر يسعى لإخماد نار الانتقادات التي طالته من بوابة تشاد

الدون يفقد الهيبة على الميدان

مراد البرهومي

❑ في حديث الزمان وعلى امتداد حقبات طويلة يحكى عن لاعب فذ وألمعي، كان إلى وقت قريب أحد أفضل لاعبي العالم، بل ربما أفضل لاعب على الإطلاق، ولم يكن ينافسه على مركب الصدارة والسبق سوى لاعب آخر هو النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي.

إنه البرتغالي كريستيانو رونالدو النجم الأول في منتخب بلاده وفريق ريال مدريد، رونالدو ملأ الدنيا بإبداعاته وتألقه اللافت، فشغل الجميع وأبهر العالم بأسره سواء فوق الميدان أو خارجه، لقد تمكن على امتداد أكثر من عشرية أن يفعل كل شيء، مع كل الفرق التي لعب معها وخاصة مانشستر يونايتد وريال مدريد، ولولا بعض الحظ وضعف في منتخب بلاده لوصل إلى محطات أكبر سواء في كأس العالم أو كأس أوروبا للأمم.

اليوم وربما غدا يبدو الأمر مختلفا قليلا، فبدايات الموسم الجديد في منافسات الدوري الأسباني تبدو صعبة للغاية على "الدون" كريستيانو الذي بدت خطواته متثاقلة وإنجازاته قليلة وسحره باهتا وتأثيره على فريقه ريال مدريد منعدما، بدا كأنه فقد الهيبة والحظوة والقيادة.

فما الذي فعل هذا الأمر برونالدو؟ ربما الإجابة لا تحتمل اجتهادا كبيرا، وربما قد تحتاج عكس ذلك إلى البحث عن مبررات عديدة وأسباب كثيرة ساهمت في تراجع انطلاقة رونالدو في هذا الموسم.

وقبل البحث عن الإجابة كان حريا تقديم بعض المعطيات التي تشير إلى هذا الانخفاض في المستوى، والتأثير في مستوى الفريق عامة من قبل أفضل لاعب في العالم خلال العام الفائت. لغة الأرقام تشير إلى أن رونالدو شارك في مباراتين ضمن منافسات الدوري، لكنه لم يسجل أيّ هدف والحال أن زميليه خايمس رودريغاز وغاريث بيل سجلا هدفين في مباراة واحدة، الإحصائيات تؤكد أيضا أن اللاعب البرتغالي لم يكن صاحب أيّ تمريرة حاسمة في مباراتين على التوالي، والحال أن حضوره في بداية الموسم الماضي كان جيدا بدليل أنه سجل منذ المباراة الافتتاحية ضد نادي قرطبة، كما أنه نال أضعف الدرجات عند تقييم مستوى اللاعبين.

والأكثر من ذلك أنه خلال فترة الإعداد للموسم الجديد لم يعرف رونالدو ذلك النجاح والمعدل التهديفي العالي الذي عرفه في أغلب المواسم السابقة مع الريال، أي منذ قدومه سنة 2009، وأرقامه الحالية لا تشير مبدئيا إلى أنه سيكون قادرا على المنافسة على لقب هداف الدوري، رغم أنه أنهى الموسم الماضي في الصدارة برصيد 48 هدفا بالتمام والكمال، أي بفارق خمسة أهداف عن ميسي.

السبب فيما يحدث لرونالدو يبدو منذ الوهلة الأولى مرتبطا بتغيير مركزه في الملعب، فمنذ قدوم المدرب الأسباني رفاييل بينيتيز، ارتأى المدير الفني الجديد للريال أن يحول رونالدو من مركز جناح كلاسيكي إلى مركز مهاجم صريح، مقابل منح بيل فرصة اللعب في الرواقين والتحرك بحرية أكبر، فتألق الثاني وفشل إلى حد اللحظة الأول في التأقلم مع خطته الجديدة.

وهو التفسير الذي قدمته أغلب وسائل الإعلام الأسبانية، وكذلك رئيس النادي بيريز الذي أكد أن رونالدو لا يعاني بالمرة وكل ما في الأمر أنه بحاجة إلى بعض الوقت حتى يتأقلم مع واقعه الجديد، وسيعود قريبا إلى ممارسة هوايته المفضلة أي تسجيل الأهداف.

ومع ذلك يبدو واقع الأمر أكبر من هذا، والأسباب الكامنة وراء تراجع مستوى "الدون" مرتبطة بقدوم المدرب بينيتيز، فرونالدو كان يكن كل الحب والاحترام للمدرب السابق للريال أنشيلوتي الذي تمت إقالته بطريقة لا تليق بمكانة هذا الرجل، لقد تأثر رونالدو كثيرا برحيل أحد أفضل الفنيين الذين تدرب معهم.

رونالدو لاح عليه التأثر أيضا في نهاية الموسم الماضي عندما رحل الحارس الأسطوري أيكر كاسياس، فرغم بعض المعطيات التي تحدثت عن فتور في علاقة اللاعبين، إلا أن كريستيانو يدرك تماما أن كاسياس كان من أفضل اللاعبين في الفريق وخروجه أثر في الجميع على حد سواء.

معطى آخر ربما يكون سببا مهما في تعثر بداية "الدون"، وتتمثل في رغبته الجامحة في تعويض ما خسره الفريق الموسم الماضي، فالريال خرج بخفي حنين من منافسات الدوري المحلي وأيضا دوري الأبطال، ليصبح العبء أكبر هذا الموسم، لذلك مازال رونالدو في حالة من الركود والجمود التي تبقى في حاجة إلى شيء يكسرها سريعا، والثابت أن تسجيل هدف قد يعيد لهذا النجم وهذا "الدون" هيبته المفقودة والتي تركها مؤقتا لفائدة غاريث بيل وخايمس رودريغاز.

بقي أن نشير إلى أن كريستانو رونالدو لم يخسر هذه الهيبة والسحر خارج الملعب، إذ حافظ على صورته الناصعة في مجال الأعمال الخيرية، حيث لا يتردد بالمرة في استغلال كل الأحداث والمواقف كي يختار لنفسه مكانا في الصفوف الأمامية، والدليل على ذلك تعاطفه الكبير مع الولد السوري الغريق.

* كاتب صحفي تونسي

ميسي يقود الأرجنتين لسحق بوليفيا

❑ **واشنطن** – في مباراتين وديتين لكرة القدم أقيمتا بالولايات المتحدة أمس الأول الجمعة فازت الأرجنتين –7صفر على بوليفيا بفضل أربعة أهداف من نجميها ليونيل ميسي وسيرجيو أغويرو، في حين تعادلت المكسيك 3–3 مع ترينيداد وتوباغو.

وشاركت الأرجنتين بتشكيلة معظمها من لاعبي الصف الثاني، في حين شارك ميسي الذي أسهم بهدفين بديلا في آخر 20 دقيقة، ليرتفع بذلك عدد الأهداف التي أحرزها المنتخب الأرجنتيني في شباك بوليفيا في مباراتين وديتين هذا العام إلى 12 هدفا.

وأحرز إيزيكيل لافيتسي أيضا هدفين للمنتخب الأرجنتيني، وأضاف أنخيل كوريا الهدف السابع لوصيف بطل أميركا الجنوبية.

وحسب تقارير إعلامية في بوليفيا فإنه بفضل قرض قيمته 21 ألف دولار قدمه مدافع بوليفيا المخضرم رونالد رالديس لمنتخب بلاده، تمكن الفريق من تغطية نفقات الرحلة إلى الولايات المتحدة لخوض المباراة في الوقت الذي تعصف فيه فضيحة فساد بالاتحاد البوليفي للعبة الشعبية.

وقال جيرارد مارتينو مدرب الأرجنتين بعد الفوز الكبير "أعتقد أن النتيجة معبرة، نظرا لمدى جدية وقوة أداء فريقنا وقوة أداء اللاعبين الجدد والشبان الذين لم يلعبوا كثيرا مع الفريق".

وأضاف المدرب "المباراة كانت مفيدة بغض النظر عن المشكلات التي واجهها منافسونا من أجل خوض المباراة". وستخوض الأرجنتين المصنفة الأولى عالميا والتي تستعد لتصفيات أميركا الجنوبية المؤهلة لنهائيات كأس العالم 2018 في روسيا، مباراة ودية أخرى في دالاس بولاية تكساس يوم الثلاثاء المقبل أمام المكسيك التي تعادلت 3–3 مع ترينيداد وتوباغو في سولت ليك سيتي.

وتستعد المكسيك تحت قيادة المدرب المؤقت ريكارو فيريتي لمواجهة الولايات المتحدة على مكان في كأس القارات لعام 2017 في الشهر المقبل.

وأنقذ البديل هيكتور هيريرا منتخب المكسيك عندما أحرز هدف التعادل قبل أربع دقائق من نهاية زمن اللقاء.

وأحرز المهاجم جوزي ألتيدور هدفين في الشوط الثاني، ليقود المنتخب الأميركي الذي يدربه الألماني يورغن كلينسمان لقلب تأخره والفوز 1–2 على بيرو في العاصمة واشنطن، وجاء الهدف الأول من كرة مرتدة بعد ركلة جزاء نفذها ألتيدور.

ورغم غياب مهاجميها لويس سواريز وإدينسون كافاني، فازت أوروغواي على بنما –1صفر في بنما سيتي، بفضل هدف أحرزه لاعبها كريستيان ستواني في الدقيقة 82.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

فوتوغرافي عصامي يوثق الصومال المسحوقة في معرض عالمي

في بربينيان (جنوب فرنسا) وضمن أكبر مهرجان دولي للصور الصحفية "فيزا 27 للصورة"، قدم المصور الصحفي بوكالة الأنباء الفرنسية الصومالي محمد عبدي وهاب معرضا بعنوان "الصومال المسحوقة"، يشهد على هذا البلد العربي الأفريقي المزق والمنسي.

❑ **بربينيان (فرنسا)** – يقول المصور في وكالة الأنباء الفرنسية الصومالي محمد عبدي وهاب "عندما أرى داود الصغير وعلى وجهه ابتسامة، يتكئ على عكازين ليركل كرة القدم، أقول لنفسي إنه لا بد من الاستمرار في الإدلاء بشهادتي والتمسك بالأمل في الصومال".

فهذا الصبي (9 سنوات) الذي تسبب له شلل الأطفال بإعاقة قاسية، قد خلدته واحدة من صور وهاب في معرض "الصومال المسحوقة" في بربينيان (جنوب فرنسا)، في إطار "فيزا 27 للصورة"، وهو مهرجان دولي كبير للصور الصحافية.

ولم يغب داود عن ذهن هذا المصور الذي يبلغ الثامنة والعشرين من العمر، وتعلم المهنة بنفسه، حتى أصبح منذ 2011 مراسلا كبيرا للوكالة في الصومال.

وقال وهاب "كان الصبي يلعب بالكرة أمام كوخه المتواضع من القش والصفيح، في معسكر سيد للاجئين في مقديشو. وعشية مباريات كأس العالم في كرة القدم في 2014، سألني "هل تأتي وتلعب معي؟"، وبتأثر أوضح المصور "كان ينضح بالحيوية والنشاط ويأمل في المستقبل، ولا يبالي بإعاقته الجسدية".

ولم تعد الصومال التي مزقتها حرب طويلة اندلعت في 1991 بعد الإطاحة بالدكتاتور سياد بري، تستأثر باهتمام الصحافيين "لتغطية" ما يحدث فيها، رغم الهجمات الدامية شبه اليومية، باستثناء وهاب وغيره.

وقال المصور "هذا خيار كل الأوقات، لأن التقاط الصور يمكن أن يشكل خطرا، إذا لم يعجب ذلك أطراف النزاع". وتدور الحرب بين الحكومة المدعومة من الغرب وقوة مسلحة من الاتحاد الأفريقي، وبين حركة الشباب الإسلامية، والحياة اليومية في الصومال، تعني البؤس والفوضى والهجمات.

محمد عبدي وهاب شاهد على مأساة بلد عربي منسي

ففي صورة التقطتها كاميرا وهاب، تبدو إحدى الأمهات وهي تعبر الشارع وتلتفت ناحية سيارة اندلعت فيها النيران في حين تمسك بابنتها التي ارتسم الخوف والرعب على وجهها.

وفي صورة أخرى، يتحدث رجل مع مجموعة من الأشخاص، ويدل بيده الممدودة إلى انفجار عنيف آخر، ويظهر في صورة أخرى مهجّرون جمعوا في ظل شجرة تحت أشعة الشمس، أمتعتهم بعد تدمير مكان إقامتهم المرتجل.

ومع ذلك فالصور التي يفضلها وهاب، هي تلك التي تعكس مظاهر الفرح رغم بشاعة الموت، كصورة صبيين يحمل كل منهما على رأسه سمكتين كبيرتين، وتلتمع عيونهما بمشاعر الرضى والارتياح، وتعكس ابتساماتهما شعورا بالفخر والزهو.

ووهاب الطفل الذي شهد ويلات الحرب، كان يحلم بدوره، وقال "دائما ما أردت أن أصبح مصورا، آنذاك أعطاني صديق كان جاري آلة تصوير قديمة، كنت في الخامسة عشرة من عمري".

وأضاف "لم يعلّموني شيئا، تعلمت بالممارسة ومن تلقاء نفسي"، معربا عن أسفه لأنه "لم يلازم المدرسة فترة طويلة بسبب الحرب".

وقال "لكني بدأت أصور ما أراه، وكان صديقي يقول لي (هذه جيدة وهذه لا)، حتى قال لي مدهوشا في أحد الأيام بعدما رأى إحدى صوري: هكذا كنت سألتقطها". عندئذ بدأت مهنته وكان حينها في السادسة عشرة من عمره.

وقال عبدي وهاب الذي خرج للمرة الأولى من بلاده للمجيء إلى بربينيان "أهلي ما زالوا غير موافقين، يستبد بهم الخوف ويرتجفون من الرعب في كل لحظة"، فقد شارك محمد في تشييع جنازات 20 من زملائه، ويؤكد "مقتل حوالي ثلاثين صحافيا" منذ بدأ العمل مع "فرانس برس" في 2011.

ويختم حديثه بالقول "إذا ما خسرت صديقك، تقول في نفسك إن دورك قد يأتي غدا".

مؤسس «آبل» من أصول سورية

❑ **لندن** – لم تكن صورة الطفل أيلان عبدالله الكردي كافية لتفتح عيون جزء كبير من الجمهور الغربي، على مأساة اللجوء السوري.. هكذا اختار بعض الناشطين "تسهيل القصة"، وروايتها بطريقة قد تبدو أقرب إلى الجمهور الغربي "تذكير صغير: ستيف جوبز أيضا ابن مهاجر سوري".

دايفيد غالبرايث الذي يعمل في حقل التكنولوجيا، قرّر إذن تقريب الفكرة، وتبسطيها في حثه على فتح الحدود واستقبال اللاجئين السوريين في الغرب، وأوروبا تحديدا، حيث أعاد غالبرايث التذكير بأن والد ستيف جوبز مؤسس شركة "آبل" الشهيرة، وأشهر الرجال على الإطلاق في عالم التكنولوجيا، كان مهاجرا سوريا، وصل إلى الولايات المتحدة في خمسينات القرن الماضي.

وأوضح أنه فور رؤيته لصورة أيلان تساءل "ماذا كان يمكن لهذا الطفل أن يصبح، لو أعطيت له الفرصة ليعيش؟". فيما كتب آخر "أنا أكتب هذه التغريدة من هاتف اخترعه ابن مهاجر سوري، إنه ستيف جوبز"، ويعني الـ"آي فون".

وعبر أثير إذاعة فرنسا، أطلق النجم الفرنسي من أصول أرمنية الشهير شارل أزنافور صرخة لاقت صداها سريعا، إذ طلب صاحب "لا بوام" من السلطات الفرنسية والشعب الفرنسي "تأمين حياة ووجود ومستقبل للاجئين الهاربين من الحرب".

سريعا، انضم إليه عدد من النجوم الفرنسيين، على رأسهم جولييت بينوش، عمر سي، وجان لوي ترانتينيان، وسيدريك كلابيش، وأرنود ديسبليشان.

وكان كل هؤلاء، قد وقعوا على عريضة استنكروا فيها "التصرف الفرنسي غير الأخلاقي مع اللاجئين، بطريقة تتعارض مع المبادئ التي قامت عليها الجمهورية الفرنسية".

بيونسيه تنشد مع نجوم العالم أغنية «حب إلى الأرض»

❑ **نيويورك** – انضم بول مكارتني وجون بون جوفي وشيريل كرو وفيرجي وكولبي كايالت وناتاشا بدنغفيلد إلى بيونسيه وكولدبلاي وإد شيران ومجموعة أخرى من نجوم الموسيقى والغناء العالميين، الذين شاركوا في أداء أغنية للترويج لمبادرة للأمم المتحدة لدعم اتفاقية تغير المناخ العالمي.

وشارك في الأغنية وهي بعنوان "أغنية حب إلى الأرض" أكثر من 16 موسيقيا من الطراز العالمي، وصدرت الأغنية حصريا على موقع "أي تيونز أمس الأول الجمعة، وستكون متاحة على المواقع الأخرى وخدمات توزيع الموسيقى في 11 سبتمبر الجاري.

وتدعم الأغنية الضغط الذي مارسه الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون للتوصل إلى اتفاقية عالمية للتخفيف من آثار تغير المناخ، والتي يتم وضع الصيغة النهائية لها بنهاية هذا العام.

وجاء إصدار الأغنية بعد يوم من إعلان الأمم المتحدة أن فنانين من بينهم بيونسيه وكولدبلاي وإد شيران سيكونون جزءا من حملة إعلامية عالمية، لتقديم جولة جديدة من أهداف الأمم المتحدة الإنمائية للسنوات الـ15 القادمة.

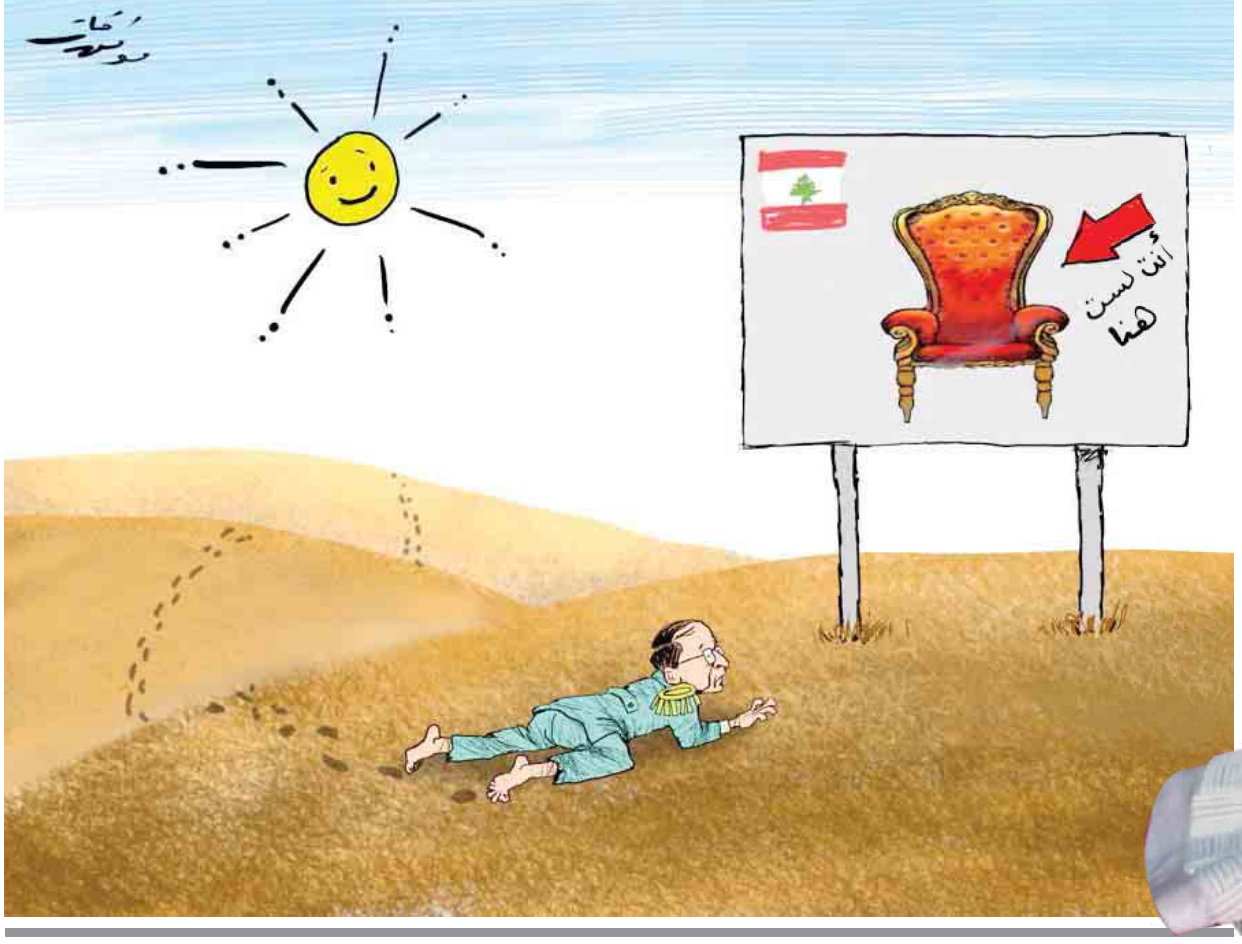

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

صلاة باطلة

❑ حضرت إلى مكتبي وقت أن كنت رئيس تحرير الجمهورية، منقبة، ما إن جلست حتى روت.. وأفاضت!

خطورة ما قالته جعلني أطلب منها أن تكتبه بخط يدها، وتدوّن رقم هويتها الشخصية، وتليفون منزلها والجوال الخاص بها، وتأكيدا لكلامها قدمت رقم بلاغها للنائب العام وفيه حكايتها المثيرة، ورغم كل البراهين التي قدمتها لم أنشر قصتها، كانت تتهم شيخا شهيرا بمعاشرتها في الحرام، والشيخ له جمهوره التليفزيوني، ومسجده الذي يؤم الناس فيه.

المصريون يطلبون بركته أينما حل، لم أرغب في نشر قصتها خوفا على الإسلام، سألت المرأة بعد أن خلعت نقابها: كيف وأنت بهذا الجمال والخبرة بعد أن تزوجت مرتين، أن يخدعك رجل ويعيش معك في الحرام؟

أجابت: كيف أراجع وأتأكد من رجل تأتمنه الدولة على الإسلام! ما يقوله يصدقه الملايين، لا يمكن أن أتصور ارتكابه لمعصية..

كانت تصلي العشاء يوميا في مسجده بعمارة فاخرة يمتلكها بحي المهندسين الراقي، وما أن تنتهي من التسبيح والاستغفار حتى تلحقه إلى شقته في دور مرتفع، كان يستقبلها في غرفة أولاده ذات المدخل الخاص عندما تكون زوجته غائبة، استغلها جسديا وعقليا.

دخلت به إلى عالم الإنترنت ووضعت شرائطه وأدعيته على موقع خاص صممته بنفسها، عاد عليه ذلك بخير وفير، استغلته شركاته المتخصصة في الحج والعمرة.

قال لها إنه تزوجها بغرض المتعة وهو حلال، وأظهر لها كتبا تؤيد رأيه، فجأة هجرها ولفظها ولم يعد يرد على مكالماتها، سألت شيخا آخر، فقال لها أنها ارتكبت الزنا.

طاردته طالبة منه أن يصحح أخطاءه وبعد ذلك يطلقها، لم يفعل، كانت شجاعة ذهبت إلى النيابة وهاتفتني طالبة النشر، لأن "الشيخ" في التحقيق الآن..

تأكدت من مصادري، نشرت، جاء في التحقيق وصفها لجسمه وعلامات مميزة فيه، وقدمت رسائل شخصية وعاطفية منه على تليفونها المحمول، ما إن نشرنا حكايتها حتى هاجت الدنيا، لم يستطع الشيخ تكذيبها بعد نشر محضر النيابة ونص التحقيقات، كل ما فعله أنه نشر إعلانا في الأهرام يقول فيه "إذا جاءكم فاسق بنبأ".. إلى آخر الآية الكريمة.

كسدت شركاته للحج والعمرة، ولم يعد يستضيفه أحد، ولم يجد بدا من الزواج بالفتاة ثم طلقها، غسل سمعته بورقة، ونسى الناس حكايته وعادت شركاته للازدهار.

وحدث أن سافرت للحج بعدها بعام ووجدته يؤم المصلين على عرفات، بتكليف من شركة سياحية سافرت معها وليست من شركاته، وفورا انسحبت من الصلاة لأنها في رأيي باطلة أن تصلي خلف شيخ زان.

المهم أنه عاد لنجوميته، ساند المجلس العسكري والإخوان والسيسي، ثم انصرف الناس عنه رغم محاولاته بعد أن اكتشفوا مواهبه التمثيلية، وليست الدينية.